

مناسبة الاحتفال بمرور خمسة عام على فتح استانبول

العاھل العُثماني

أبو الفتح السلطان محمد الثاني

فاتح القسطنطينية

و

حياته العديدة

تأليف

على همت يركي آقسي

من رؤساء محكمة القس بتركيا سابقاً

تعريب

محمد إسماعيل بن عبد العزيز

Princeton University Library



32101 086544846



بمناسبة الاحتفال بمرور خمائة عام على فتح استانبول

al- 'Āhil al- 'Ulumāni

العاهل العثماني

أبو الفتح السلطان محمد الثاني

فاتح القسطنطينية

و

حياته العديدة

تأليف

علي هيمت بركي الأقسقي

من رؤساء محكمة النقض التركية سابقاً

Ali Himmət Berki

تعريب

محمد احسان بن عبد العزيز

الناشر

محمد سامي الدين الخالجي

الكتبي بمصر

١٩٥٣ — ١٣٧٢

طبعة السعادة بمصر



السلطان محمد الفاتح

الأهداء

الى صديق العزيز الأستاذ الجليل
فطين گوگمن مدير مرصد استانبول
سابقاً

المؤلف

(RECAP)

1789

.664

.17

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المترجم

القسطنطينية مدينة عظيمة الأهمية كثيرة المرايا حماها الله تعالى حملاً ضيقاً يأخذ بالآلاف ولا يكاد يوجد في غيرها من مدن العالم ولدلك كانت مصمحة أنظر الملوك والسلاطين وحلم القراة والفتحين من أقدم 'مصور' حارلوا فتحها دون أن يبالوا بغيرتهم فقد ذهبت محاولاتهم سدى أمام مساعها الطبيعية وحصونها المحكمة وأسوارها القوية حتى جاء العاهل العثماني السلطان محمد خان الثاني بمقد العزم على فتحها وأعد لها العدة وحاصرها من البر والبحر حصاراً شديداً دام نحو شهرين وانتهى باستيلائه عليها في العشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٥٧ هجرية^(١) (٢٩ مايو سنة ١٤٥٣ ميلادية) واتخذها عاصمة المملكة العثمانية وبذلك تحققت على يده الشارة السوية المحمدية : « لفتح القسطنطينية فلنم الأمير أميرها ولنم الجيش ذلك الجيش » .

وعند ما يحين يوم [٢٩ مايو سنة ١٩٥٣] يكون قد مضى على هذا الفتح المئين ولنصر العزيز خمسمائة عام ميلادى وبهذه المناسبة قررت الحكومة

(١) قال انفسر الآلوسى في تفسير قوله تعالى : [. . . بلدة حية وروب عمور] الآية ١٥ سورة سبأ ما نعه : « ومن الانعامات النادرة أن لعظ « بلدة حية » بحيات الجن واعتبارها لتأيت بأرضها كما ذهب إليه كثير من الأدباء وقع تاريخاً لفتح القسطنطينية وكانت راحة بلاد الروم .

التركة الاحتفال بذكرى فتحها وإحراج كتاب شامل عن حياة بطل هذه
الذكرى الخالدة والحالة السائدة في عصره من مختلف النواحي العسكرية
والعلمية والقضائية والإدارية والاقتصادية . . . وعهدت هذه المهمة العلمية
التاريخية إلى جماعة من العلماء وحمله الأعلام ليكتب كل منهم في ناحية من
النواحي الآتية ، وقد احتير للكتابة في حياته العديدة الاستاذ الجليل

« على همت بركي الوثأقي » رئيس محكمة القصر تركيا سابقاً ومن ألمع رجال
الفقه ولقائون فكان اختياراً موفقاً وقوساً أعطت بارباً فإنه حدم لقضاء
بزاغة وكفاءة قراءة أربعين عاماً قلب حلالها في مناصبه إلى أرقها ، وألف
كتاباً قيمة منها كتابه « منطق الحقوق » في أصول الفقه

عكف الأستاذ على دراسة موضوعه فدرسه درساً وافياً في رسالة
القاضي وزاغت ودقة العلم ونواضعه وأمانة المؤرخ وحياده وحماسته الواضحة
امبور فأحرج هذا الكتاب الذي بعد عملاً غير مسوق إليه في موضوعه
يستحق عليه الشكر والتقدير .

ويرى المصنع على الكتاب أن الأستاذ عرص حياة محمد انماح عرص
شملاً جميع مراحلها فأبرز منها نواحي السوء ولعظمة فوصفه أميراً شاملاً
بعبى تعلّمه وثقافته وتربيته عناية بالغة تهتبه للاصطلاح بأعباء الملك و... هله
للقيام بما ينتظره من الأحداث الحسام ويتلقى علومه على أيدي اساتذة
معروفين سعة اعم ومناة الخلق ويقرأ مير كار القواد والفتاحين و... صة
سيرة اسكندر الأكبر المقدوني ويرى في نفسه مزاياه فسحلم بفتوحاته
وانتصاراته .

وسلطانا تتولى اللسنة مرتين مرة في سن مبكرة جداً في حياة والده
ومآرأته واخرى بعد وفاته ويسير بالرعية سيرة حسنة على اختلاف محلهم
ومشبه ويشتر الأمن والعدل في ربوع البلاد التي يحكمها ، ويجمع تحت لوائه

شأت الدويلات الخاكمة في الأناضول القائمة على اطلال النولة السلجوقية ويجمع منها دولة عظيمة موحدة الإدارة قوية المياد مرموقة المكانة مرموقة الجاه .

وقائداً شجاعاً منصور اللواء يحوص عمار المارك يهزم جيوش الأعداء ويدوخ بلادهم ويزيل دولهم .

وسياسياً محكماً يدير شؤون مملكته الواسعة بعف وحكمة ونضع من النظم والقوانين والتقاليد ما يوطد أركان مملكته . ويصمم للحاكم مهاتمه وللسلطان ابته وعظمته .

وعالماً كبيراً عتوقاً على أهل العلم يؤثرهم بمره وبمثنى في قلب عاصمة مملكة الخديفة جامعة علمية كبيرة لا رال ما فيها العجمة قائمة حول مسجده المعروف باسمه تشهد لانيها بمبلغ عديته بالعلم وبالعلم عصفه على أهله ، وتنطق بما كان لعله من عزة وسؤدد في عصره ، ويستقدم من أنحاء البلاد الإسلامية كبار العلماء يحتضنهم ويحري عليهم واسع الررى ويجعل من قصره منتدى علمياً يتناقش فيه اعتماد المسائل العلمية العوضفة ، وقد يشاركهم في المناقشة مشاركة العالم المتمكن من علمه ويحد متعة كبيرة سواء في المناقشة أو عندما تسفر من الآراء العلمية .

وشاعراً مطموماً يقرض جيد الشعر ويقول بليغ النظم . وأديباً كبيراً ملماً بعدة لغات يملك ناصفة انبيان وبوانبه فصيح الكلام . ويجزل عطائه شعراء والأدباء أيا كانت حسانيته وبلادهم .

وهكذا يعضى الأستاذ مطلقاً الفرس في التتويه برأياه وتعدد سجاياه ويخلص منها الى أنه يحتل مكاناً ممتازاً لا في تاريخ الترك حسب بل في تاريخ العالم أجمع وأنه يعد بحق من أبرز الشخصيات العالمية بما قام به من أعمال جليلة وخلف من آثار حالمة .

وبعد ما فرغ الأستاذ من الكلام على شخصية الفاتح الفذة والأشادة بعقريته شرع في موضوع كتابه وهو الحياة العدلية والقضائية في عهده الراهق فهد لها أولاً تعرض موجز للقضاء في الإسلام في عهوده المختلفة إلى عهد العثمانيين ، ومحمد الفاتح بحاصة فذكر الوضع القضائي والتشكيلات القضائية والإدارية والأسس التي بنيت عليها واتقوا بين المعمول بها والتطورات التي مرت بها والهيئات التي أبط بها تطبيق .

وقد عى الأستاذ عناية خاصة بالتعاون المسبب إلى محمد الفاتح الموجود في مكتبة ، فإناء ، فاقضه مناقشة علمية حاض منب إلى أنه غير صحيحة النسبة إلى الفاتح . ولم يفت المؤلف أن يذكر تراحم بعض العلماء الذين تولوا القضاء ويقدم معلومات عن الحياة العلمية في ذلك الوقت ويذكر المجهود العلمية التي درسوا فيها وتخرجوا ، وشروط الالتحاق بها ومراحل لتعليم والبراع ، ويحس بالذكر الخاتمة التي أنشأها الفاتح والتي تعرف بالمدارس الثمان العالية [مدارس الصحة] فيبقى كل ما عرص له من المسائل حقه من البحث العلمي المدعم بأدلة لا يرقى إليها شك

ومن خلال هذه الأبحاث يتبين للقارى " الجهود التي بذلها العثمانيون في تنظيم بلادهم إدارياً كان او قضائياً وما أصابوه من النجاح والتوفيق في هذا المصمار ايضاً لم يكن بأقل من نجاحهم في ميدان القتال . فانهم قد نظموا البلاد التي فتحوها تنظيمًا شاملاً جميع مراقبها ومأجبها وفقاً لما كان سائداً في عصرهم من العرف والأساليب ، وفي حدود ما رسمت الشريعة الإسلامية من النظم والأحكام . ونقص ما في هذه النظم والأحكام من العدالة والتسامح والملازمة لطوائع المحكومين على اختلاف منطهم ونحلهم عاشت دولتهم أطول مدة عاشته دولة إسلامية ، صامدة كالطود الشامخ أمام الصربات الهدامة التي توالى عليها في غير هواة من كل جانب ، ولعل الذين يظلمون على هذا

الكتاب يذكرون أن العثمانيين لم يكموا قوماً فاتحين لا شأن لهم يذكر في
مبادئ العلم والحصارة كما يزعم المعروضة من مؤرخي العرب ومقلداتهم من
مؤرخي الشرق بل كانوا أمة علم وهي وإدارة وحضارة كما كانوا أنصاف
الحرب وكما الهيجاء وأما العوامل التي دفعت مؤرخي العرب إلى تشويه
سمعة الدولة العثمانية واخط من قدرها فلا يتسع المقام لمردها هنا وقد كفانا
مؤنة ذلك الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته القيمة على كتاب «حاضر
العالم الإسلامي».

ونعد فليست أطول الحديث عن الكتاب ومؤلفه فسبجد فيه القارىء
للكريم المصنف كل ما يرضى العلم والتاريخ والمصنف مما يشهد لمؤلفه بفكر
مرتب ورأى واضح وصحة الحكم والاستنتاج وغرارة المادة فيما تعرض
له من الأبحاث. وأرجو أن يظفر هذا الكتاب القيم من الباحثين ابدى
لا يعنهم إلا الحق والحقيقة ما هو حقيق به من الاهتمام والتقدير.

وشامت الأقدار الإلهية أن يزور الأستاذ الكبير مصر وأنيجت
لي فرصة التعرف به. فحدثني عن كتابه هذا مشيراً على تعريبه
فرحبت بالفكرة شاكرًا على حسن ظنه وثقته في أملا أن أودى بهذا
اعمل المتواضع خدمة صنية للحقيقة والتاريخ وأجد فرصة للإعراب عما
أكره نحو هذا العاهل الإسلامي العظيم من الحب والإجلال والاعتراف
بماله ولأسرته المتفانية في خدمة الإسلام من أيادي تشكر وفصل لا يسكر
واختتم كلمتي هذه سائلاً الله تعالى أن يحظى صاحب هذه الذكرى العطرة الخالدة
جراً ما وفقاً لما قدمه للعلم والدين والوطن من خدمات مشكورة وأنعم
مبرورة ويذله مدرك الأبرار والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقاً.

المترجم

محمد أحماد بن عبد العزيز

على عنها

ترجمة المؤلف

هو الاستاذ الحبيب هـ علي همت ركي هـ ولد ليلة الاثنين السادس وعشرين من صفر الخير سنة ١٢٩٩ هـ بقرية هـ اوبولاء هـ إحدى قرى ناحية هـ إبرادى هـ التابعة لقضاء هـ آفسكى هـ ولاية هـ آصاليه هـ [حـ آصاليه] من أعمال الأنصون ووالده الأستاذ عثمان ييمورجى راده من نقصة اشريعين وكان قاصياً بمدينة آلتان حيا روى تولوده .

أتم دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس بلدته ثم رحل الى استامبول لإتمام دراسته العالية فحضر دروس الأستاذ الكبير محمد شاكر كمرلى راده التوقادى من مدرسى جامع السلطان محمد الفاتح فقرأ عليه كتب الدراسة المقررة في ذلك العهد حتى حصل منه على الإجازة العلية . والتحق أصاً بمدرسه لقضاء اشريعى وواطى على دروسها حتى تخرج وكان أول دفعته . وكان تخرجه في المدرسة وحصوله على الإجازة العلية في سنة ١٣٢٧ هـ .

وبعد تخرجه سحر شهرين عين مسوِّداً في دار الافتاء الملحقة بالمشيخة الإسلامية مع استداناه لتدريس مادة هـ أحكام الأراضي هـ ، تدرسه القضاء شرعى . وفي ٣٠ يوليو سنة ١٣٣٠ عين قاصياً لمدينة هـ نوقات هـ بدة استاده وحبه المراسكر . وفي ١٥ سبتمبر سنة ١٣٣١ نقل منها الى هـ آماسيه هـ . وهكذا نقل من مدينة الى أخرى متدرجاً في المناصب القضائية والعلمية حتى عين نيساً ثانياً لمحكمة النقص في أغسطس سنة ١٩٣٣ م وبأشر أعمال الرئاسة إلى أن بلغ الس القاوية وهى خمس وستون سنة ومدت خدمته سنة أخرى للارتفاع بمجربته وكفاءته . ولكنه قبل اتمام الستة طلب إحاطته الى المعاش ليتفرغ للعلم فأجيب الى طلبه . ومن ذلك

الوقت الى الآن يخدم العلم عن طريق البحث والتأليف مع خدمة
اعدالة عن طريق المحاماة . ومن مؤلفاته المطبوعة : « الارث والانتقال » ،
«الأوقاف» ، «الميراث والتطبيقات» ، «منطق الحقوق» ، وله مؤلفات أخرى
غير مطبوعة .

ولحضرتة ثلاثة أنجال عني تربيتهم تربية دينية وثقافتهم ثقافة علمية
عالية وهم الأساتذة : عثمان قاص ، محمد شاكر ، وأحمد سعد الدين .
فالأولان أستاذان في الجامعة ، والأخير قاض في المحكمة . يرفع الله بهم
العباد والبلاد .





الوجه الثاني



وجه المدالية

مدالية باسم السلطان محمد الثاني حفرها المماليك ، وترو لادى ، على قطعة من المحاس الاصفر

كلمة المؤلف

فكرت ملياً حين بلغت دغية السيد «فؤاد سيرمن» وزير العدل السابق تركيا أن أصح كتاباً يتناول الحياة العدلية والقضائية في عهد السلطان محمد الفاتح بمساسة الاحتمال المرمع أقامته أحياءً لذكرى مرور خمسمائة عام على فتح القسطنطينية، فرجعت الى ذاكرتي ناخراً عما تحفظه من أراء العدل والقضاء في ذلك العهد وتصورت مدى ما سأستفيد من الكتب الموحودة، وما يعترضني من الصعاب في هذا السيل لعدم اشتغالي بالتاريخ، فهالي الأمر، ومع ذلك لم يدعني أن رفض الرعة مادام موضوعها للعدالة والمحكمة اللتين خدمتهما رديحاً من الرمن.

ومن العوامل التي لاتشجع على دراسة مثل هذه الموضوعات، «لا يوجد بين أيدينا كتاب جامع ألف في القضاء والإدارة يزود الباحث بمواد كافية تعينه على الدراسة، فإن مؤرخينا سواء أ كانوا من الترك أو من الشعوب الإسلامية الأخرى عوا أكثر ما عنوا بصط المعارك الحربية والأحداث سياسية، وبذلوا مثل هذه العناية للتشكيلات العسكرية والعلمية، وما أبدى في هذه المجالات من النشاط، وبذل من الجهود، فأغفروا التشكيلات القضائية والإدارية وفروعهما [هـ]

فاني - إذا استثنيت الوقفيات - لم أجد حتى سجلات المحاكم الخاصة بذلك العهد على أرعم من كثرة بحثي وتنقيبي عنها

[*] هذا، ولا محول مكتبة العربية من الكتب الخاصة بالقضاء واحار القضاء وسكها ليست بما يعيدنا في دراستنا وسذكر حصاً منها في الفصول الآتية .

وقد نسح مؤرخو العرب عن هذا الموأل ولا يحتفون عن مؤرخينا
إلا في شيء واحد وهو عدم حيادهم في كتبوا (١) .

وفي مثل هذه الظروف والملاسات التي لم تكن مشجعة على مثل هذه
الدراسة ، غشت عواطفني عن إرادتي ، وتحت سلطان هذه العسة نزلت عند
رغبة الوزير . . .

فكيف لا ، فإن شخصية هذا العاهل البركي العبقري توحى إلى منذ أيام
التمذة الأولى شعوراً بالعهزة الإسلامية والزهو القومي وتثير في نفسي من
ذكريت ما عسى انجيد ما أخره أياخر وطربله طرب لا حمله . فالامتناع
بدن من دراسة حاد من حيائه المبركة وعنده السعيد كان معاه تهرأ من
أداء واجب إسلامي وقومي معاً .

ولهذه الاعتبارات شرعت في كتابة هذه الأسطر

(١) ولا ينبغي القارئ الكريم من تنديدي بأدي ذي يده بموقفهم العرض
من تاريخنا فاسي مع احترامى للعلم والمساء أرى من واجبي أن أسجل هنا أن انقوم
عن عليهم أن يتم لهذا السلطان محمد . الامتاع هذا الانتصار العظيم الذي عر بحرى
تاريخ الإسلام من العالم كله فمسوا عليه حام عصهم فوجهوا إلى شخصه ولى حبشه
انهم حرافاً كما حفر طلى ان بعينه الخط من قدرها والتهوس من شأنها في نظر
التاريخ . وقد بلغت هذه التهم من المقطعة صلماً وحدمه المؤرخ هامر . معه - مع
أنه مصاب بداء إخوان مؤرخى العرب - مصطراً لتعبيدها خشية أن ينهم بالتعصب
وتحير . والذي يدعو إلى الأسف الشديد بوجه خاص أن كتابهم الأولين قد
اجتمعوا هذه المرائم وهم يعمون أنها خلاف الحق والحقيقة وإعنا وصدها لعرض
حيث في بوصهم خلف من هدم خلف لم يحدوا عصاصة في تسجيدها في كتبهم
كأها حقيقة تاريخية .



انزال العاقح سمين، مركبة من شكاكاش الى الخليج جراً على الارض

لا ريب أن السلطان محمد الفاتح ملك عظيم وأنه لجرى أن تكتب بحداثات صحمة لأعر باحبة العدل من سيرته نجس ، بل عن كل صفحة من صفحات حياته ، فإنه مدد صباه إلى آخر لحظة من عمره المبارك الذي قضاه نقداً نزيهاً ، لم يفكر إلا في أمته وسعادتها ، فأرصد حياته كلها لخير شعبه ورفع أسروطه عالياً وأعضى ربيع عمره في ميادين القتال ومقاساة الشدائد والمحن ، وكم بات أرقاً مسهداً لا يسمم نوم هادئ ، في سبيل الوطن .

قاده وهو في سن الثالثة والعشرين من عمره أعظم الجيوش البرية والبحرية ، وانتكر أساليب وخططاً لم تكن معروفة في عالم الحرب ومن القتال ، من تسيره السفى في لياحة ، فأمام عمره القوي الذي لا يعرف التزلزل ، هزم أقوى جيوش الأعداء ، وحصص أعداء العصاة الثائرين عليه ، ونحطمت القلاع المسبعة التي عاصرت القرون والدهور .

وكان رحمه الله إلى جانب معرفته باللغات العربية والفارسية واللاتينية ونيو باية والسلافية والعبرية ، عالماً كبيراً وشاعراً مجيداً (١) .

(١) لا شك في احداثته اللغات التركية والفارسية والعربية وفي وقوفه على آدابها وأما معرفته اللغتين اليونانية واللاتينية معرفة تمكنه من التفاهم والتكلم فتؤخذ من بعض كتبه التاريخ عليها ، بقيت اللغتين سلافية والعبرية ، هل كانت معرفته بهما في مستوى يستطيع معه أن يعرف أو يكتب أو يتكلم بها ، فلا نجد في كتبه التاريخ جواباً على هذا السؤال . ومع ذلك لا يصح الاستدلال على عدم معرفته بهما وجود كتبه وموظفين في ديوانه يعرفون هذه اللغات ، فمن الخلق أن السلطان لا يشغل نفسه بالكتابات المحررة وترجمتها وإن كان ملماً باللغات التي كتبت بها تلك الكتابات .

يقول المؤرخ أحمد وفق بك في كتابه « السلطان محمد الفاتح وأرسام يليق » :
« وكذا لما فرأى السلطان محمد الفاتح كان في مستوى رفيع جداً من العلم والثقافة وكان يعرف خمس لغات وشكك بها ، وهي التركية والفارسية والعربية واليونانية واللاتينية »

دهش العالم كله أمام الانتصارات العظيمة التي وفق لها عاهدا فقهروا
بحياته وتاريخه فألفت الكتب وضمت القصائد ووضعت قصص تافتها
الآلس وتداولتها الأيدي وبوه كبار المؤرخين المحايدين وأفصل العناء بمزاياه
وحصائله سواء في ميادين العلم والثقافة والقتل أو في مجالات الإدارة والتضام
والسياسة مقربين له بأنه أقوى سلطان جلس على عرش السلطنة العثمانية بل
من أعظم الشخصيات العالمية .

وهذا عام هرات ومتصوفا الكير وشاعرها بالغة المعروف بالجامي (١)
نظم رسالة بليغة باللغة الفارسية في مدح عاهدا وصفه فيها بعنوا القدر

== وإنما أشعاره فقد جمعها الأستاذ كمال أدب تحت عنوان « أشعار الفاتح »
وأعدها للطبع وطبع بالحروف العربية واللاتينية في مطبعة الجمعية التاريخية التركية
بأنقرة سنة ١٩٤٦ م ضمن مطبوعات هذه الجمعية .

وهناك بعض معرضين بدور أحيال كور هذه الأشعار مسحولة أو مصححة ولكن
من يعرف شخصية محمد الفاتح القدر برد هذا الاحمال لقائله باستسكار ، فمن الواضح
حدد أن السلطان محمد الفاتح بسحنة العالية ووقاره الممتار وعرة نفسه انبعاثه درجه
الحنوة أرفع من هذه الصعائر على أن خلال المقام الذي يشغله ومستواه العلمي بمعناه
من ذلك ولو أراد .

(١) هو نور الدين عبد الرحمن المعروف بالجامي (*) من كبار علماء إيران
وشعرائها ولد في قرية « خرخرود » بالقرب من مدينة « حام » بمقاطعة « خراسان » .

(*) وله في نسبته إلى « حام » اليتان الآتيان :

مولد حام ورشته فلم حربه أرواح شيخ لاسلاميت
زين سيب در حريمه أشعارم بنومعني تخلفم جاميت
ومن محل ولادى بلدة « حام » ورشته فى قطره من حام أستاذى شيخ الإسلام
ولقد السبب كان اسمى الشعرى « جامى » بكلا معنيه .

وسمو المنزلة وعراقة السب والحب ، وقوة المطلق والبيان وصفاء الطبع وأنه صاحب دكاء متقد ينفذ غوامض الفلسفة فيحلها ويرسل شعاعه إلى سبل الفلاسفة فيبهرها . وأنه ما فتى يجاهد في سبيل الله وإعلاء كلمته حتى قوى ظهر الشريعة النبوية المحمدية ونقوصت أركان الكفر والصلال وتحولت معابد الأصنام إلى المساجد وأنه مقبل على مكارم الأخلاق ، ومرتفع عن ذميمها . أما في البدل والعطاء فقد فاق الحروب^١ السحاب . وما إلى ذلك من السجيا

سنة ٨١٧ هـ فتلقي علومه في هرات ، ونسج في كثير منها ، كما تبع في الأديب العربي والفارسي ، وبعد إتمام دراسته العلمية أقبل على التصوف ، فأخذ عن سعد الحق والدين الكاشغري من خلفاء الشيخ بهاء الدين القشبدى مؤسس الطريقة النسوة إليه ، ولم تمض مدة وجيزة حتى به اسمه وداع صيته في العالم الإسلامي ، فسمى إليه العلماء والأدباء من كل جانب .

وقد نال الخطوة لدى السلطان أبي سعيد ، وحده السلطان باقرا من أحلاف تيمورلنك ، فخبا به وأكرماه بما هو حدير لعمه وأدبه ، وقد أحده عنه التصوف على شير نوائى وزير السلطان حسين باقرا وغيره من العلماء .

وكذلك ظهر بإعجاب السلطان محمد انعام وتقديره ، ودعاه إلى عاصمة ملكه فأجاب الدعوة وغادر بلده متوجها إلى استاسول ، فلما وصل إلى مدينة قوبه في طريقه إليها بلغه من العاتق فرجع وتوى إلى رحمة الله تعالى سنة ٨٩٨ هـ عن إحدى وثلاثين سنة .

وقد حلف رحمه الله تعالى كتباً ناصة خالدة في العلم والأدب بالفتن العربية والفارسية منها : شواهد النسوة ، معجرات الأسى ، نقد النصوص ، أشعة القمعات شرح فصوص الحكم ، نواع ، رسالة في الوحود ، الذرة الفاعرة ، رسالة في الموسيقى ، سلسلة الذهب ، سبعة الأبرار ، نعمة الأحرار ، ليلي ومحمون ، بهارستان وغيرها .

وله شرح على كافية ابن الحاجب في النحو مسمى «القوائد الضيائية» ، كان من الكتب الدراسية في معاهد استاسبول وتركيا ، وفي حصن البلاد العربية .

الرضیة والخصال الحميدة والمآثر الجليلة التي قلما تتوافر في شخص (۱).

(۱) ولأهمية هذه الرسالة من الوجهتين الأدبية والتاريخية دونها هنا نقلا من المصادر الوثوق بها^(۲) مع ترجمتها النثرية. وإلى القارىء المبدرة إذا لم يجد في الترجمة سوى للحن المجرد عن جمال الشعر وسحره، فإن الشعر إذا ترجم نثرا يفقد سحره وموسيقاه مهما كانت الترجمة أمينة دقيقة، وهذا كالم الرسالة بنصها:

طلب ربك اى نعيم شمال	قم وسر نحو كعبة الآمال ^(۳)
نفس أربوى صدق مشكين كى	راه احلاص رفق آيين كى
أرحسان بسد بار نبار	راه بردار ملك روم أنداز
چون رسيدى ركرم راه پيرس ^(۴)	باركاه حلال وجاه پيرس
چهره برخاك راه دربان ساي	باجارت رمين بيوس دارى
پيش شاه محاهد عارى	بكشاك بكنه بردارى
كاي ترا دروه علا مسد	ملك مبرات تو آبا عن حد
أصل تو تا آدم ارشريد	همه مسد نشين وناحوريد
حواست ريشن جهان طرعت	ليكن امروره مرحله بنست
كم كسى سرير جاه وحلال	چون نو كركا كناس فصل وكنال
مشكل حكمت ار كلام نوحل	مطوق نو بيان هر مجمل
راه مشائيان رتو واضح	نور اشراقيان رتو لايح
طبع پاك اكه وفادست	فهم حكمت طبعى افتادست
بردت حكمت الهى نافت	كه روح ارطلت ملاهى نافت
فكرنو زدسوى رباصى راي	شد رباصى رباص حلد آراى
همد پشت شريعت بيوى	سوى ار مساعى توقوى
معتد كمر ومعد اصنام	شد زجهد توقية الاسلام
حسن تدبير نو بحرب وفتال	كرده قلع قلاع كفر وصال
مقل بر مراسم إشفاق	معرمى ار دماغم اخلاق
جمع در دات تو رعم حسود	حكمت وعفت وشعاعت وجود

(۱) تاج التواريخ - منشآت حاوى - خرابات

(۲) فقه الآمال - فقه الآمال (۳) ربه راه پيرس

بحر و کانی بیخشن وجودت^(۱) بلکه بیدی ز بحر و کان هم دست
 کان ز دست تو شد بستک نهان و ز کفت بحر کف پروی زان
 تابود دوره^(۲) فلک ممکن تابود نقطه^(۳) زمین ساکن
 روش^(۴) آن بوفوق رأی تو باد شرف این بخاکهای تو باد
 ای منبر نسیم ناله کفا چو پردازی از دعا و ثنا
 ورق چند نظمهای غریب^(۵) لایق فهم هوشمند لبیب
 باتو همراه میکنم ز نهال زین غریبان بزم شه یاد آرد
 عرض کن در حرم مجلس او این محضر هدیه^(۶) و بگو ؛
 أرسل النمل من خلوص و داد بسلامان نصف رجل جراد
 قال لا داک منتهی جهدی و الهدایا بقدر من هدی
 ثم أوحز عذابة الأرام و اغتتم^(۷) بالسلام و الأکرام

ترجمتها الشریفة

طابت راحته الزکیة یا نسیم العبا « قم و سر نحو کعبه الآمال »
 إجل نفسك بمسك الصدق عطرأ و اتخذ سلوك طریق الاحلام شجارأ
 شد من خراسان رحل الرحاء و الأمل و اسلك طریقك إلى عاصمة بلاد الروم
 و عندما تصل فاسأل غبار الطريق سه عت مقر الجاه و الجلال
 غفر و جحك فی موطنی قدم الحاجب و قبل الارض مستأذناً ثم ادخل
 فافا مثلت بین یدی المعاهد الفازی فابده الكلام بخطف و لباقة قائلا :
 أنت فی ذروة من العلی و المجد و ولوت للک أبأ عن جد
 إن ساقوا مسبك إلى آدم فكلهم أصحاب تیجان و ذوو مقام

(۱) بیوست . (۲) دوره . (۳) مریب . (۴) روش . (۵) و لختتم .

منهم طلب العالم الفجر الاول ولكن بك الفجر كله اليوم
 قليل من الذين ترصوا عرش الجاه والحلال واكتسبوا مثلك الفضل والكمال
 بكلامك تحمل مشكلات الفلسفة ومنطقك بيان لكل مجهول
 بك وضحت طريقة للتأين ومنك لاح نور الاشراقين
 أنت ذو طبع صافي وقاد فكان فهم الحكمة طيباً له
 لمحت الحكمة الإلهية على قبك فأعرض وحبك عن ظلمة الملامى
 إنجبه فكرك إلى الرياضيات فصارت رياضاً تزين الخلد
 حقاً، إن ظهر الشريعة النبوية قوى بماعيك ويطولك
 وبمجهودك صار معتد الكفر ومعد الأسام، فة الاسلام
 وحسن تدبيرك في الحرب والقتال قلع قلاع الكفر والصلال
 أنت مقبل على مراسم الاشفاق ومعرض عن دماء الأحقاق
 تحممت في داتك على رعم الحسود الحكمة والمعة والشجاعة والجود
 أنت محر ومعدن محمودك وعطايك بل أنت تعوقهما في الحود والعطاء
 بل للمدن احتيا في خوف الصحرة من حود يدك ولعلم الحر الوحة جعل من كعبك
 ما دامت دورة الملك محكمة وما دامت نقطة الارض ساكنة
 فليكن دوراي داك وفقاً لرأيك وليكن شرف هذه يتراب قدمك
 أيها النسيم الضبر حامل النافذة عند ما تفرغ من الدعاء والثناء
 هذه بضعة أوراق من نظم الغريب اللائق بهم الماقل السيب
 احملك أيها أمانة وعهداً ما عن الغرباء اذكرها لدى السلطان
 وقدم إلى سدة السلية هذه الهدية التواضعة وقل :
 « أرسل النمل من خلوص وقاد لبلبان صف رجل حراد
 « قاتلا ذاك متهم جهدي والهدايا بقدر من يهدي
 « سم أوجز مخافة الابرام واعتتم بالسلام والأكرام »

ومن شدا ماق محمد الفاتح شاعرنا العبقري المرحوم عبدالحق حامد (١) فقد نظم قصيدة عصماء في مآثره وسجاياه تعد آية في الشعر التركي ، وسأثنت معظم أبياتها مع ترجمتها في الهامش لأتيح لشباننا فرصة الاطلاع عليها ليعرفوا أسلافها من المصادر الأصلية الصحيحة ولا يقعوا هريسة لأقاوين أناس معرّضين ، وروايات بعض المؤرخين العارية من طابع الصحة من ليست لهم مصادر يرجعون إليها سوى أساطير مورخى الغرب وحرافات اليرطيين . وبهذه المناسبة يهمني أن أنفت الأنظار إلى النقطة الآتية بوجه خاص . هناك بعض أحداث يقع بين ظهراينا وفي المجتمع الذي نعيش فيه ومع ذلك نجهر حقيقته ولا نصر إلى كنهه . فما حاجتنا إلى أن نبحث هاو هناك عن أدلة وشواهد لنثبت بها فضائل محمد الفاتح . حسبه قرأ وشرفاً تلك اللفتة النبوية الكريمة التي شمله بها الرسول صلى الله عليه وسلم ألم يدحه هو وجيشه أبلغ مدح بقوله : « لتفتح القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » (٢) .

(١) هو عبد الحق حامد بن خير الله بن عبد الحق : أمير شعراء الترك في العصر الأخير ، ولد سنة ١٢٦٧ هـ [٥ فبراير سنة ١٨٥١ م] على ضفاف البوسفور في بيت علم وأدب ، كان أبوه خير الله أديباً مؤرخاً وقد تولى رئاسة « لجنة الثقافة » [أنجمن دانش] التي أشتت في عهد المعور له السلطان عبد المجيد الأول وكان يطلق على هذه اللجنة العلمية أهمية كبرى حتى حصر حفلة افتتاحها بسعة وكان حده الأستاذ عبد الحق كبير أطباء النفوس وله السلطان محمود خان الثاني : وقد نشأ شاعرنا نشأة أدبية فنسج في الشعر والادب . فله أشعار كثيرة جداً جيدة جداً أشهرها وأملعها قصيدته المعروفة : « مقرر » رثى بها روجه للتوفاة في ربيع العمر . وقد أحدث بها انقلاباً في الشعر التركي وبعد نشر هذه القصيدة قال بعض الأدباء : « دفن الشعر القديم في القبر » توفي في ١٢ أبريل سنة ١٩٣٧ م ودفن في استانبول .

(٢) وقد روى هذا الحديث عن بشر الغنوي - ويقال الخشعي - في مسند الامام أحمد ج ٤ ص ٣٣٥ ، واسد الغاية ج ١ ص ١٨٩ ، والاسابرة ج ١ ص ١٥٧ والاستيعاب ج ١ ص ١٤٨ والجامع الصغير ج ٢ .

مثل هذه اللعنة الكريمة لم يفز بها إلا أفراد قلائل جداً . كان
المسلمون الأولون يعلمون هذا الحديث الشريف فحاصروا القسطنطينية
سبع مرات ليلبسوا بردة الشرف العظيم الذي يتخلعها نبيهم الكريم على من

مرقد فاتحي زیارت

هر كوشه سنده	دهر ك	نام	بقا	مدارك
هاسته در	ديلمه	حالم	سنگ	مزارك
قالك	چپانده	برآن	هر آنك	اولدى بردور
ملك	آزلى	گويما	تختكده	م جوارك
سنگ	او پادشه	كه	بو	أمت نجيسه
أمصار	بخشكدر	آبخار	بادكارك	
ميدان	حربى	قيلك	سن تختكاه	شوحكت
لشكردى	هپ	مسلح	أتباع	بي
ماضى	اورده	غيب	اكشاده	حضورك
آتى	اوراه	مظلم	آماده	گذاورك
توحيد	ايندى	مرامك	اسلام	ايه
رئسدى	اول	او عورده	علمك	اقتدارك
بيت	خدايه	قونمش	حاهك	مطاف
طورمش	باشكده	بكر	بر قوم	تره
طائفده	محل	در	هپ	بينات
أسرار	لم	برلن	مصنوع	اولان
ارواح	مؤمنيندر		آتم	قدر
مالاى	ترشكدن		تور	ايدر
شمشير	قونده		خلمه	گدى
محزدي	مثل	خامه	شمشير	خده
اوقشاردى	رلف	يارى	تدير	عادلانه
چارباردى	فكر	خصه	تقريب	دلشكارك
هرشاهه	بويه	طالع	يار	اولماز

اي شهشه

يفتح هذه المدينة العظيمة . ولكنها كانت من نصيب قى الترك العظيم الذى
كان فى من الثلاث والعشرين وجيشه الباسل .
ما كان ليسع الشعب التركى أن يلقى عاهله هذا ، وما نسيه قط بل حفظ

نادر كبير نظيرى	بر بويه شهر يارك
بردم يوزك گولجه	عالم بهار اولوردى
مثل كسوف هرجا	ظاهردى اغبراراك
يوقدر سنك غروبك	اى نير معالى
وارشعله دهادى	يك نجم تابدارك
گوستر ديگك معالى	أهرامدر مسلسل
كهزارر عموماً	بالين احتضارك
سن محرق فتدك	اى آتش جلادت
سويدك نهايت آما	برق اولدى هر شرارك
باب مجانى سنك	اى فاع ايلين فتح
مفتاح يابدى آحق	جد بزر كوارك
هردم سكا آچيفدر	ابواب عرش ورحمت
تره كمدراك عطيمى	فتح اينديكك ديارك

• • •

آغوش مادريدن	خاك وطن أعزدر
آندن داهها ممزى	بر نوردر خبارك

• • •

ترمردى سجده كاهك	اولدقمه سن جبين ساي
حالا كبير رميندن	تكبير زار زارك
هر عزملك ايلمشدى	تعبير آيت حق
ظاهردى ناصبه كده	آتارى چار يارك
مدحكده شاعرانه	إلهامار كر كدر
تعريف يرحه ييتمز	عرشه چيقان كارك

» عند الحق حامد «

ذكراه المباركة في سويداء قلبه خوراً مزهواً ومعتزاً بها ، وهاهو ذا يستعد
الآن ليحتفل بذكرى مرور خمسين سنة على فتح القسطنطينية ليحرب عما
يكنه نحو بطل هذا الفتح المبين من الشعور العميق بالتقدير والعرفان

نزهتها الثرية

اصك الخالد باق في كل ركن من العالم
فجدير أن يقال : « العالم بأسره ضريحك »
لبيت في العالم لحظة وكل لحظة أصبح عهداً
فكأنما الملك الأزل كان محابك على عرشك
أنت ذلك السلطان الذي الامصار
عطيتك والبخار تذكارك لهذا الشعب الثبيل
أنعدت ميدان القتال مقراً لعرشك العظيم
وكان جميع رعاياك التي لا عد لها حداثاً مسلحاً
الذي ، ذلك العالم المنحجب بستار الغيب ، مكشف أمامك
للتقبل ، ذلك الطريق للظلم ، محمد ليرك
كان هدفك توحيد الأنام بالاسلام
واجتمع لهذا الغرض عليك ومقدرتك
وضع جاهك السامى والكعبة فأصبح مطاف المسلمين
وقوم بأسره واقف عند ضريحك سادناً له
وفي قبة هذا الصرح الشديد من الاسرار الالهية
تعلل آيات بيئات من كل معنى سام
إن أرواح المؤمنين ، وهي مصايح مثل الحوام ،
لتثير مرقدك من فوق ضريحك

* * *

كان قلبك في قوة السيف يمت الرعب
وكان سيفك في إعجاز القلم يسحر الالباب
كان تدبيرك العادل يمس الاصدقاء مآ رقيقاً
وكان تحررك الحلاب يفرح الاعداء قرعاً

بالخيل . ويلشر هذا الكتاب المتواضع أيضا لمثل هذه العاية السامية .
ليس محمد الفاتح للشعب التركي وحده ، وإنما هو شخصية عالمية : للشعوب
الإسلامية كلها للتاريخ كله .

ياملك الملوك لا يكون مثل هذا الخط حيقاً لكل ملك
ولا يعود الزمان بمثل هذا العاهل إلا نادراً
ياملك من ملك إذا انقسمت مرة إنقلب العالم ربيعاً
وإذا اعتمدت عم أنره كل مكان مثل الكسوف
لا غروب لك يا شمس العلى
لك الف نجم متألق من البقرية
إن ما قت به من معالى الامور لسلسلة من الاهرامات
كنت يا صاحب الجلالة ناراً تحرق الفتن حرقاً
اطفأت اجبراً ولكن انقلب كل شرارة منك برقاً

أنت الذى فتحت باب الجحاح أيها العاتع
أما جددك العظيم فأما أعداك للفتاح
أبواب العرش والرحمة مفتوحة لك دائماً
إن أعظم البلدان التى فتحتها هو ضريحك
إن تربة الوطن أعز من صدر الامم الخنون
وأعز منها رفاتك الذى يشع نوراً
كانت مواضع سجودك ترجف كلما سجدت فيها
لا تزال الارض تردد صدى تكبيراتك الداوية
كل عزيمة من عزماتك كانت تفسيراً لآيات الحق
وكانت آثار الخلفاء الاربعة ظاهرة فى ناصيتك

لابد فى مدحك من إلهام شاعرى سجاوى
اذ لا يتم فى الارض تعريف عظماء صعدوا الى علياء السماء .

وبعد هذا التمهيد الموجز في هذه الشخصية العظيمة المحترمة أنتقل الى الموضوع فأقول :

لكي نكون فكرة عن الحياة العدلية والقضائية في عهد من العهود ،
وتقدم صورة منها ، فإما أن نكون قد عشنا في العهد نفسه ، أو نلزم بالمواد الآتية :

١ — مقدرة من بيده مقاليد الحكم — سواء كان يمثل في شخص أو هيئة —
على تنفيذ إرادته ، ومنهجه في الإدارة .

٢ — التشيكلات القضائية والإدارية .

٣ — حالة المنوط بهم تحقيق العدالة من حيث الكفاءة والخلق .

٤ — القوانين المعمول بها والأسس التي قامت عليها .

فهذه المواد الأربع التي ستقوم عليها دراسة موضوعنا مضبوطة —
ولو إجمالاً — ضطاً تاريخياً لا يتصرف اليه شك ونائبة بوثائق عديدة ،
ومدونة في بطون مؤلفات علمية حادثة .

العالم في عهد حاكم يحب العدل ويقدر على تنفيذ إرادته هو العدالة .
والعكس بالعكس . هذه النقطة هامة جداً في الحياتين السياسية والاجتماعية
العهود التي نم أهلها بالعدالة مدبنة لتوحى حكامها العدل في تصرفاتهم
أليست تلك الحياة السعيدة التي هنت بها ايران الزردشتية في عهد جاهليتها
الاولى والتي لا تزال تزورها حتى الآن — مدينة لجاكها انوشيروان
المعروف بـ ^(١) عدله ؟

(١) هو الملك العشرون من ملوك أسرة الساسانيين التي حكمت ايران معروف
بـ عدله وقوته وموضع فخر الشعب الايراني ، حلف أياه قاده على عرش ايران سنة ٥٣١
وحكم حكماً عادلاً موقفاً مدة ٤٨ سنة فقصى على المذهب اللاحدي الشيعي الذي
كان انشأه « مردك » في عصر آيه ، قتل مئتين للذهب وأصاره .

وبعد ، فإني شارع الآن في دراسة موضوعي سائرا على هذه المبادئ .
الأربعة محاولا أن أبين مقدرة محمد الفاتح على تنفيذ إرادته ومنهجه في الإدارة
وتشكيلاته الإدارية والقضائية ، وحالة المحاكم وغيرها من السلطات القضائية
من حيث الكفاءة والقوانين التي كانت يعمل بها . ثم أدون في آخر الكتاب
القوانين المنسوبة إليه مع ابداء ملاحظاتى عليها .
ولكى أقدم فكرة عن المستوى العلمى وعدل المحاكم في ذاك العهد اذكر
ببدأ من تراجع من تولوا القضاء من الساحتين العلمية والخلقية (١) ومن الله
التوفيق .

(١) ولا أتمرص أثناء البحث للحياتين الحرية السياسية لانهما خارجتان من
نطاق موضوعي والذين يريدون دراسة هاتين الناحيتين توصيهم بمراجعة كتب
التاريخ القديمة منها والحديثة وبخاصة الرسالة لليلة « محمد الفاتح » التي وضعها
الاستاذ الدكتور سالم احمد الرشيدى الأندوبيسى ونال بها الدكتوراه في التاريخ
من الجامعة الأزهرية .

مَقْدَمَةٌ

حياة القاتم وإدارته

ولد السلطان محمد الفاتح بأدرنه ليلة السبت الموافق السابع من رجب سنة ٨٢٣ ثلاث وثلاثين وثمانمائة هجرية (١) وهو نجل السلطان مراد الثاني من أعظم سلاطين آل عثمان وحفيد السلطان محمد جلبي الأول بمحمد بليان الدولة العثمانية وملكها الثاني بعد نكبة تيمورلوك التي منيت بها البلاد عقب هزيمة بايزيد الأول في معركة أنقرة . والدته السلطانة حديجة عسمة (٢) كريمة

(١) احتفت روايات المؤرخين في تاريخ ميلاد محمد الفاتح في سنة ويومه فأرخ صاحب الشقائق ملاده في سنة ٨٣٥ هـ ، وأرخه على مؤلف كنه الأخبار في ٧ رجب سنة ٨٣٤ هـ ، وأما التواريخ في ٢٦ رجب سنة ٨٣٣ هـ ، واعتمد المؤرخ حودت (باشا) من بين هذه الروايات التاريخ الذي احترماه ويؤيده ما سطره أكثر المؤرخين من تاريخ جلوسه ومدة عمره .

(٣) وكذلك تصاربت أقوالهم في والدته: قال بعض المؤرخين مثل هامس انه ولد من حارية ولم يذكر اسمها ، ورواية أخرى تقول : والدته سيده اسمها « هاما » والصحيح هو الذي احتاره في القرن استناداً الى حصص الدلائل والقرائن ، ويرى الرأي نفسه بعض مؤرخي الترك مثل احمد رفيق (بك) في كتابه المسمى « الترك امام برانس » .

والامر المحقق ان وثقة الفاتح سيده مسلمة ، ومن الغريب ادعاء كونها مسيحية استناداً الى «فرمان» مؤرخ سنة ٨٦٣ هـ مرعوم الصدور من الفاتح ومشتمل على العبارة الآتية : «سيدة الخواتين»^(٥) للمسيحية والدتي حالاً السيدة دسبينا » ويدل على عدم صحة هذا الادعاء أمران :

(*) جم خاتون ومعناها سيدة محترمة كبيرة المقام .

تکته به تخته حیدر است صد غبار آلوده آفاق و آسمان



أولاً — ان طعراء [= طرة] هذا الفرمان ليست لمحمد الفانح يقين .
ثانياً — ان والدة الفانح نوبت الى رحمة الله تعالى قبل سنة ٨٥٣ هـ اي قبل
تاريخ صدور الفرمان المعروف بأكثر من عشرين ودعت بمدينة روسه العاصمة
الاولى للدولة العثمانية وصريحها هناك في حى « مرادية » وقد كتبت على باب
الضريح الصابرة العريية الآتية في ثلاثة أسطر :

السطر الأول : « الحمد لله ببيت هذه التربة للسورة في أيام مولانا السلطان
الاعظم والخان للعظم السلطان بن السلطان مراد خان بن محمد بن بابر خان خلد الله
السطر الثانى : « ملكه بأمر ولده وقره عينه معى رسول الله صلى الله عليه وسلم
السيد النقيب السلطان محمد جللى اربط الله أطاب سلطان دولته بأوتاد

السطر الثالث : « الخاوند وشيد أركان عزه الى اليوم للوعود لوالدته المرحومة
سيدة الخواتين طاب نراها . ووافق العراق في رجب الفرد من شهور سنة ثلاث
وخسين وثمانمائة » .

يعلم من هذه الكتابة التاريخية التى لا يتطرق الى صحتها أى شك ، وهى قاطعة
مبلغ ضعف الروايات القائلة بأن والدة الفانح كانت مسيحية أو فرسية
أليس كذلك ؟

قال هامر حين ذكر المباني القائمة حول مسجد الفانح المعروف باسمه : « هالك
حول المسجد وفى وسط دائرة تبعد عنه قليلاً تشاهد مجموعة مباني تألف من ميل
وحمامات ودار كتب ومدرسة للحديث وحوش مشتمل على قاعة وصريح وضريح
السلطنة عتبة والدة الفانح بالقرب منه » ولكن نظراً الى كتابة روسه الآفة
يجب أن يكون هذا غير صحيح .

إسفيديار بك من أسرة الإسفنديارية (١) .

نشأ محمد القاتح في بيئة طابعتها متانة الخلق ومن جيل ميمته صفاء السريرة
وبقاؤها . وعنى بتربيته وتعليمه عناية بالغة تحت إشراف أساتذة على مستوى
رفيع من العلم والخلق (٢) .

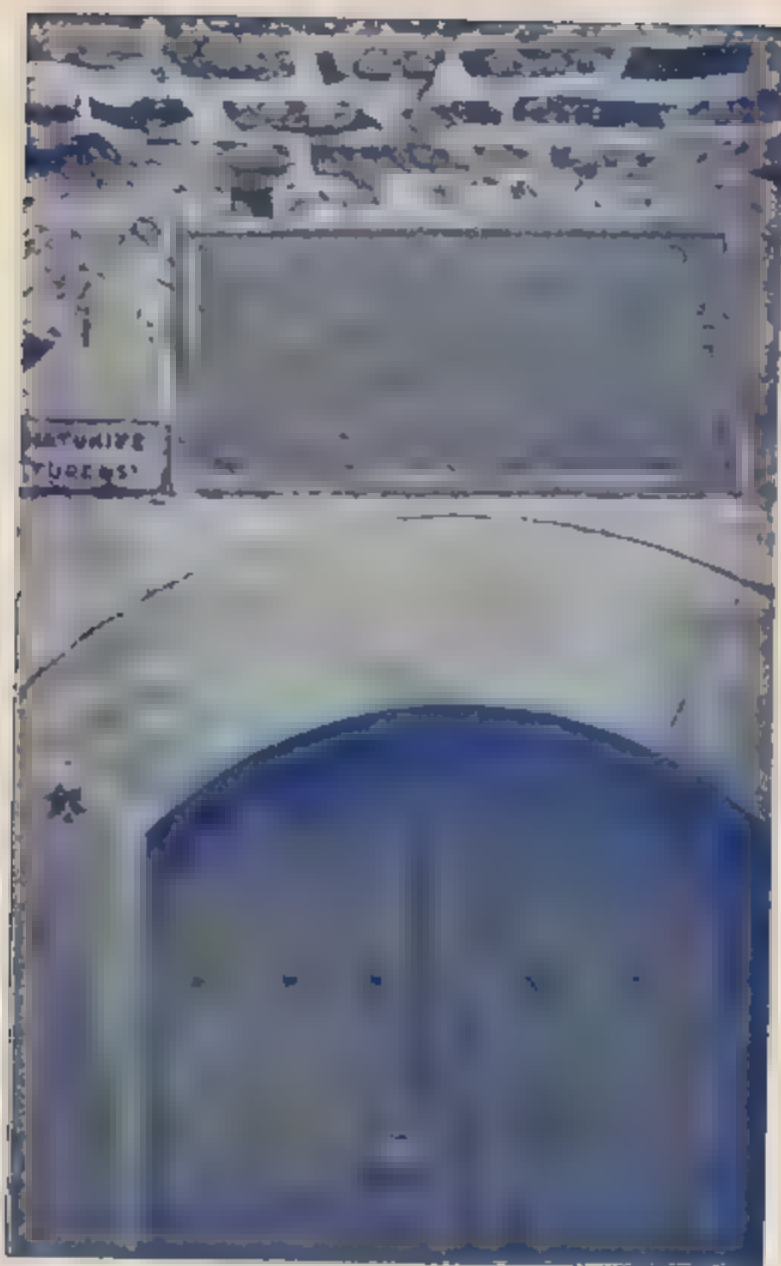
جد في طلب العلم واكتساب الفصائل الى سن الحادية وعشرين ففتحت
مواهبه الفطرية وتفتق ذهنه واتسع افق تفكيره فأثنت بذلك أنه خليق أن
يكون نجلا نجسا لسلطان عظيم عادل مثل السلطان مراد الثاني كما أثنت أن
هذا الشبل من ذاك الاسد . وأجلى دليل على نجاحه تلك الحياة العريضة
الرزينة التي أمضاها في منتهى (٣)

كان محمد القاتح المنزب تربية اسلامية يدرك انه سيجلس يوماً على عرش
السلطة العثمانية ويقدر المزايا والقيم التي تمس الحاجة إليها في ادارة الدولة

(١) الإمارة الاسفنديارية هي إحدى الإمارات التي قامت على أطلال الدولة
السلجوقية وكانت تحكم مقاطعة قسطنطين ومدينة سيوب على ساحل البحر الاسود
وكابوا برعمون اسم من سلالة حالد بن ابوليد رضى الله عنه . وقد ألحقت بالادام
بالدولة العثمانية في عهد المنصور له محمد القاتح . وآخر أمير مهم هو الامير «قرل احمد»
[احمد الاحمر] .

(٢) أساتذة القاتح : اس نجميد ، للولى الكوراني ، للولى خسرو ، للولى
ريرك ، حواحه راده ، ولى الدين راده احمد ، خطيب راده ، حسن السموي ،
ستان باشا . تلقى عنهم شتى العلوم والعارف .

(٣) ممبسا مدينة تاريخية لأناصول ألحقت بالبلاد العثمانية في عهد السلطان
بايزيد الاول المنقب ببديرم [اى الصاعقة] وأصبحت بعد ذلك مقراً لاقامة الامراء
العثمانيين «قام بها السلطان مراد الثاني وعلمه القاتح والسلطان مراد الثالث وغيرهم .
وقد اكتشف معدن «للعطس» بحوارها قسمى باسمها .



مقبر لشيخ والدته السلطان محمد الفاتح من الواجهة

ويعمل جاهداً على اكتساب هذه المزايا حتى يكون أهلاً لشغل هذا المقام
السامى من جميع الوجوه .

وقد آس منه والده العظيم القدرة على تصريف شئون الدولة والجدارة
الذاتية بولاية الحكم . فالتى اليه مقابلته وهو لما يتجاوز من الثالثة عشرة (١)
والأفغیر معقول من رجل حكيم بعيد النظر معروف بوطنيته مثل السلطان
مراد الثانى أن يترك إدارة دولة عظيمة إلى شاب غر عاجز ، وأن فى قيام الفاتح
بحسن إدارة الدولة مدة تربو على سنتين مستقلاً برأيه وتديره ، أوضح دليل
على كفاءته الذاتية الممتازة وصدق فرائسه والده العظيم فيه .

قد يقول قائل إنه كان يدير شئون الدولة بتوجيهات الورراء مثل خليل
باشا وغيره فنقول كلا . فإن الشكاوى التى كانت ترفع إلى والده بعدم استماعه
لمن حوله من الصحباء والمرشدين ، تدل على أنه كان يعمل برأيه .

وأما عودة والده إلى الحكم ثانياً فليست من غز الفاتح وإنما كانت مجرد
حيصة اتخذت بسبب الحوادث المعروفة تفاصيله فى التاريخ وهو هجوم ملك
المجر على البلاد العثمانية على رأس جيش صلبى ناقص العهد وخارقاً معاهدة
الصلح المعقودة بينه والدولة وذلك ترميز الكردينال « سيزاريني » مندوب
البابا وتفهمه لملك المجر أن عدم رعاية العهود مع المسلمين لا يعد حشاً
ولا بقضاً . ففى مثل هذه الظروف الطارئة رأى السلطان مراد أن يعود إلى
الحكم تلبية لداعى الوطن واستجابة لسداء الورراء لكيلا يستغل العدو
حداثة من الجالس على العرش . وبعد أن انتصر على العدو فى موقعة « واره » ،

(١) ولا يجوز ادعاء عدم أهليته الشرعية لكونه دون سن الخامسة عشرة
حين توليه الحكم فإن الخمس عشرة سنة هى الحد الأقصى لليوغ . وشئت اليوغ قبل
هذه السن فى الغالب .

عاد إلى عزلته ولكنه إذا. بعض الحوادث وفئة عساكر الإنكشارية
والخاج الوراء لم يجد بدا من العودة إلى الحكم .
ولما جلس الفاتح على عرش السلطنة مرة أخرى في المحرم سنة ٨٥٥هـ كان
عالماً وجمعا في نفسه كل ما يجب توافره فيمن يتولى الحكم من الأوصاف
والمزاي (١) .

تلقى الفاتح في حياة والده العلوم الإسلامية من كبار الأساتذة مع سائر
العلوم والمعارف التي تطلبها إدارة الدولة وعرف كيف يتحمل تبعات الحكم
وينهض بأعباء الملك ودرس سياسة الدولة الداخلية والخارجية .
وكان يعني بمطالعة كتب التاريخ ويدرّس حياة كبار الملوك والإبطال
وفتوحاتهم ويقرأ سير القياصرة وقسطنطين الأكبر وتودوسيوس الكبير

(١) يروي الرحوم أحمد واسم بك في تاريخه عن الرحوم نامق كالك بك ما يأتي:
لما تولى والده السلطان مراد الثاني مقاليد الحكم ثانياً عاد محمد الفاتح معلوماً
إلى « معبدا » حيث مقر عمله الأول وهو متأثر من الدرس الفاسي الذي تلقاه
ولا سيما من نبي وإمامه راعوس باش (*) ولتر كان هذا الحادث [يعنى جلعه] نعمة
لشخص الفاتح فإنه بعد نعمة عظمى للدولة من الخطوب والمحن لمحي مدرسة المبدأ
يتلقى فيها الأعداد ألواناً من دروس التعارب وانعم يتخرجون منها أكل ما يكونون
درة واستعداداً لمواجة الحياة . وكذلك كان هذا البطل فقد أفاد في الفترة الطويلة
التي قضاها معلوماً ومعتزلاً لامن مدرسة الخطوب والمحن حسب بل تلقى من العلوم
والمعارف قسطاً وافراً كسأه حلة العلم فوق رداء الحكم . ومن آثار هذه العزلة أن
تعلم اللغات العربية والفارسية واللاتينية والعبرية فكان من ثمره هذه المعرفة
الواسعة أن وقف على مواطن الأمور ودقائق السياسة في الشرق والغرب .

(*) كان راعوس معلماً للفاتح أثراً لديه ولما جئ من الحكم عرب هو أيضاً من منصب
وبى إلى « بابكر » وعند تولى الفاتح الحكم مرة ثانية تصاعف نفوذ التحدث عنه وأصبحت
له منزلة سامية وكلمة نافذة .

وتسترعى اهتمامه بصفة خاصة شخصية اسكندر الاكبر المقدوني ويجد في نفسه مزاياه من القوة ومضاء العزم وتفادى الارادة (١) ،

كان محمد الفاتح عالماً كبيراً في العلوم الشرعية ومحاماً لسائر العلوم والفنون كاللوسيقى والرسم وتذوق الادب والشعر ولم يكن يحبو من درس الفلسفة وعلم الفلك بعناية خاصة من حين إلى حين .

وكانت حياته بسيطة جداً ، وكانت هوايته في قراءة الكتب والتدريب على فن القتال ، واذا وحده متسعاً من الوقت حرح للصيد والطراد . وكان عزوفاً عن الشهوات والمعدات ومجتنباً عن المكرات وكانت مائدته تمتاز بالبساطة والحلو من النعماء والمشروبات الروحية بأنواعها وكان يكره الاختلاط بالمبتذل ويعيش في عالم نفسه إما في جو علمي أو في ميدان الجهاد والقتال .

كان رحمه الله يجمع متعة روحية في النقاش العلمي وهو أكثر من يتلذذ من المناقشات العلمية من بين سلاطين آل عثمان . وبما أنه عالم كبير كما سلعت

بـ ومن آثار هذه المرأة أيضاً ان اسم دراسة العلوم الشرعية والعقلية ، اصولها وهرونها ، وكان من ثمره هذه الدراسة الشاملة ان عرف كيف يؤسس دولة متحصنة . م يشاهد نظيرها في تلك العصور . وأحدث تعديلاً في القتال واشكر حططاً وأساليب تدبيرة لما يشاهد الآن من الرقي . . . »

(١) يقول المؤرخ كاريتو وولوس :

« كان السلطان محمد خان وريث دولة عظيمة وصاحب مالا يحصى من النور والاسلحة والجنود وحاكم اجمل بقعة في قارتي آسيا واوربا واكثرها عمراناً ومع ذلك كله لم يكن يكنى بما تجمع في يده من هذه القوى المادية بل كان يحول بأفكاره في آفاق توسع ويحدد من امثال اسكندر وبومير وبوليوس مصر فدوة له »

ترجمة كاروليدي نائب امير سابقاً

الإشارة إليه فكان يؤثر العناء ببالغ عطفه وكريم رعايته ويطلب إليهم بمقتضى المسائل العلمية بحصرته ، وقد يشترك في النقاش وفي أثنائه يتخلع عن نفسه رداء الحاكم ويبدس شعار العالم ويعمل كخصو علمي في مجلس علمي . وكان خضرتك ، وحواجه زاده ، والمولى خسرو ، والمولى الكوراني ، والمولى زيرك ، وعلى القوشجي ، وعلاء الدين علي الفناري ، واما لهم من كبار علماء عصره - ندماءه في العلم والفلسفة وجلسائه في الادب والعرفان ، وكان قد يدرك النقاش ويجد لمة كبيرة من الآراء التي يسفر عنها صدام الافكار في اثناء البحث الدقيق والنقاش العميق (١) .

كان رحمه الله رقيق القلب معروفاً بالرحمة ولشفقة والنفوس والصفح ، ولم يكن في طبعه عنف ولا قسوة ، وحسباً دليلاً على مبلغ عطفه وأريحيته ان تذكر ما أنشأه من المطاعم الخيرية والمستشفيات ودور الصيافة ، وما أغدق على الايتام والارامل من العطاء السخية وتطلع على وقفيات هذه المنشآت الخيرية .

واماماً كان يحنح اليه من الشدة في ادارته ، وعمله الرسمي فكان من مقتضيات الحاليتين الروحية والسياسية السائدتين في ذلك العهد ، وما سبقه من الاحداث المؤسفة والصدور التي تعلل فيها مراجع الحق والشار . ودولة يحيط بها مشن

(١) ويحلو في ان انقل هنا النباء العاطر الذي اعدده على العاصح المؤرخ المصري العلامة السجدي مؤلف الضوء اللامع حيث قال في ترجمة الفاتح « . . . كان ملكاً عظيماً اتمى تربيته في لثارة على دفع الفرنج بحيث فاقه مع وضعه بمراحمه العلماء ورعته في لقاءهم وتعظيم من يرد عليه منهم واهدائه في كل قليل للبحوث السكاكية حتى مع مكاتباته الفاتحة واعخاصه عن أبيه في الدفات وله مآثر كثيرة من مدارس وروايا وحواصم .. » الضوء اللامع ج ١٠ ص ٤٧ .

هذه الظروف لا تمكن ادارتها بغير الحزم ، وليس في وسع حاكمها ان يتجهج في ادارته غير سياسة الجرم والشدّة .

وأما حادث خنق أخيه الرضيع الأمير احمد ، فلا يزال يكتنفه الغموض في دافعه وفاعله ، فإذا حدث هذا الحادث المحزن بدافع الحرص على سلامة الوطن من ان ينقسم ويضطرب أمره فلنسال الله تعالى العفو والعمران . ومع ما في هذا الحادث وامثاله من القسوة والفظاعة يعده بعض المتفكرين تصحية كبرى بذلت لصالح الوطن .

وصفوة القول : لا يستطيع منصف ان ينسب الى محمد الفاتح ظلماً أو قسوة غير اعدائه ، حتى الذين دفعهم التعصب الديني أو القوي إلى التطوع للبحث عن عثراته والعمل على الخط من قدره ، لم يجدوا بالرغم عن كثرة بحثهم ما يشينه في نظرهم سوى حوادث تعد على اصابع اليد الواحدة طوال حكمه الذي استمر نحو ثلاثين سنة وبيف ، على أن بعض هذه الحوادث له من الأسباب اوجعية ما يبرر وقوعه والعص الآخر لا يزال يحتفظ بصاحبه السري لم نكشف عنه الايام الثقب بعد . وإذا تصورنا ما يرتكب الآن في العالم الذي اصطلحوا على تسميته بالعالم المتحضّر من أنواع الظلم والأعمال الوحشية باسم لعانة وبواسطة المؤسسات الممثلة لها يتبين لنا ان محمداً الفاتح كم كان عصبياً وكم كان عادلاً رحيماً ذا شفقة ورقة .

كان المقياس عند هذا السلطان العظيم في معرفة اقدار الرجال الذين يعهد اليهم شئون الدولة إما هو الكفاءة واللباقة والاستقامة والعفاف ولم يكن يقيم رداً لغير هذه المزايا وكان أعظم القيم عنده شأناً العداة والعلم والعمل والنشاط والنزاهة والاستقامة .

ولم تكن ميرة الفاتح في بحث الثقافة والجديّة ، بل كان صاحب كفاءة فائقة

في وضع القوانين ، ورجل ادارة من الطرار الأول فقد أنشأ دولة عظيمة واستولى على امبراطوريتين وعشر دول ومائتي مدينة (١)

وضع النظم والقوانين وكفل للشعب التركي النصر في الخارج والامن والاستقرار في الداخل . شهد لعالم قس محمد الفاتح كثيراً من الاصل والفتاحين فتحوا كثيراً من المدن وأنشأوا دولاً ولكن لم يكن لأعمال أحد منهم حظ من الثبات والاستقرار مثلاً كان لأعماله .

لم يقصر همه وهمة على فتح البلدان وتوسيع رقعة المملكة حسب من فسر كل ما من شأنه أن يضمن لنسبته عطية بقاءها وامناً من العدوان واصابه التوفيق في توفير الاسباب المادية والمعنوية الكفيلة بهد العرص .

ادعى بعض مؤرخي العرب المعاصرين للفتح أنه لم يكن وثيق الصلة بالدين ، مستنداً لسياسة التسامح التي انتهجها اراء الكيسة ، فهذا الرعم مخالف للحقيقة كال مخالفة ، فان محمد الفاتح كان شديد التمسك بدينه فكانت أمنيته الوحيدة التي يشدها ويعمل على تحقيقها بشر عقيدة التوحيد والمحافظة على تعاليم الشريعة المحمدية والعمل على رقيها . وكان يحمدا لله تعالى ويشكره على ما يصيبه من توفيقاته الصمدانية فيما يشره من الأعمال ، ويعتصم على علماء الدين ويكرهم اكراماً لم يسبق له نظير .

واما الامتيازات التي منحها الكيسة ، فليس فيها اي شيء من المخالف لمسوءة الأحكام الإسلامية أو للسياسة العادلة التي كان يتوخاها في حكمه . فقد ذكر في الفقه الاسلامي الاحكام التي يعام بها أهل الكتاب من غير المسلمين وانهم يتركون وديهم مصنونة ارواحهم وأموالهم واعراضهم لهم ما للمسلمين

(١) امبراطور في يراس وطارون ، وروب الصرب وبوسه والباياور ومينا والمورد وقرمان وقسطنطين وغيرها .



ضريح والدة السلطان محمد الفاتح في بروسه

وعليهم ما عليهم من الحقوق والواجبات ، فقد عاملهم الفاتح وفقاً للتعاليم الإسلامية وراعى عهد الدمة وطلق عليهم هذه الأحكام في ليوم الثالث من الفتح . وفي طن هذا التسامح الكريم عاش المسيحيون والموسويون وغيرهم من الطوائف غير المسلمة بسلامة في بلادنا ... عاشوا آمنين مطمئنين منتمين برغد العيش ورفاهية الحان بمدارس جميع حتوقهم ولكنهم مع الاسف لنسيد لم يوفوا هذه المعاملة السمحة الكريمة بعض حقها من الشكر .
هذا نظراً الى هذا التسامح الاسلامى البالى متبى السمو وذكركنا المصير الالىم الذى آل اليه امر المسلمين بالاندلس فى الماضى . وذكركنا أيضاً مايجرى الآن فى عصرنا المسمى عصر المدينة من صروب الاصطهاد لى تعابها الأقليات وتعمل الوحشة التى تستهدف لها الامم المعوية وتقتشر من هولها الابدان . قراما بين هذا وذاك ، وحدا الفرق شاسعاً والون بعيداً بعد السماء عن الأرض .

يقول أحمد رفيق (بك) فى كتابه « لعيقة المدينة والحب الوطنى فى سلاطيت » :
« كانت اعاية المشودة لسلاطيننا أن يخدموا الاسلام سيوفهم وشوروا شفاعة الرسول الأكرم « لاحتبيت السوية الواردة فى فصل الجهاد ، والمثوبة الموعود بها المجاهدون ، حفزتهم لى الجهاد . وكابوا فى غرواتهم وحروبهم يرعون دين عدوهم ويصوبون أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، وللسنن محمد الفاتح فصب السبق فى هذا المصالح .

لم تكن عبية محمد الفاتح بالعلم والثقافة بأقل من عباته بشئون السياسة والحرب فقد بذء جميع سلاطين آل عثمان فى احترام العلماء ورجال الدين . وكان رحمه الله تعالى يترك بناهذ بصيرته أن القوه المادية والحرية وحدها لا تكفى للامة السعانة ، المجد ، فلا بد من دعمها بقوة لعم و« لايمان والعدل . ولستك كان يعمل دانه ليجع من وطئه العزيز موضعاً للعلم ، ومجمعا للعلم والشعراء ، ومركزاً للعدالة .

ولهذا الغرض استقدم العالم الكبير والرياضي الشهير « علي القوشجي » من علماء ماوراء النهر مع أفراد أسرته وغمره بفيض من عطفه ورعايته حين وصوله (١). وعمل على تعميم العلم ونشر العدالة في طول البلاد وعرضها ففتح فيها المكاتب والمدارس حتى في أصغر قرية منها وأنشأ المحاكم في المراكز. كان رحمه الله يقرض الشعر في عدة لغات ، وله ديوان شعر تركي يسمى « ديوان عوفي » (٢) وقد اشرنا اليه فيما سلف ونقل منه القصة الآتية .

ساقيا مي صون كه بركون لاله زار الدن كيدر
ايريشور فصل خزان باع وبهار الدن كيدر
غره اولما دلبرا حسن وحماله قين وها !
باقى قالماس كيمسيه نقش وسكار الدن كيدر

ترجمتها

ياساقى الراح ناول الكأس ولسوف يحل يوم تزدوى فيه الشقائق
ويحل الخريف ويدمر الربيع وينصرم النستان
وانت ابتها الحسناء الوفاء الوفاء لا تغترى بهجالك
فان الحسن والجمال زائلان لا يدومان لاحد

(١) وقد وضع الاستاذ الحليل الدكتور سهيل انور كتابا باللغة التركية سماه « علي قوشجي : حياته ومؤلفاته » [علي القوشجي . حياته ومؤلفاته] تكام به باسباب عن هذا العالم الكبير .

والكتاب مطبوع بمطبعة كان ستاسول سنة ١٩٢٨ م

(٢) « عوفي » اسم شعري ل محمد الفانج وهو ما يعرف عند شعراء الترك والفرس بالتحصن او المخلص ، فكان الشاعر يختار اسمه الشعري من اسمه او من اسم حرفته ولجده وما الى ذلك .

كان يجد لذة كبيرة في انشاء الشعر والاصتاع اليه ويجزل العطايا للشعراء بدون تمييز بين جنسياتهم واطنائهم ، ولم تقف جوائزه عند حدود الوطن بل تجاوزتها الى الهند ويران فشملت شعراءهما فانه كان يرسل راتماً شهرياً يحترماً الى خواجه جهان شاعر الهند وجاءى شاعر ايران .

انشأ في كل من روم وقسطنطين مدارس لتعليم الشعر الصائى وأجرى راتباً على ثلاثين شاعراً فأضحت المدن الكبرى بمجامع الادباء والشعراء . ومن الشعراء الذين فازوا بعطف الفاتح ومقدبره الشاعر حمدى (١) ناظم قصتى يوسف وذليحا وليلى ومجنون على عرار مانظمه جاءى . والشاعر شهيدى الذى بدأ يظم التاريخ العثماني كما ظم الفردوسى تاريخ ايران ولكن عاجله المسية قبل اتمامه . والكلىشى وقد ظم نحو عشرين الف بيت في أسلوب مشوى ، لمولانا جلال الدين الرومى . والهمسى ملشى زاد المشتاقين ونتاج الارواح . ومن النساء الشاعرات الشاعرة مهري ، الآماسية (٢) وزيب القسطنطينية .

وليس شعراء عهد الفاتح هم الذين ذكرناهم بل كان هناك مئات من الشعراء غيرهم ، وقد سجل لنا كتب التراجم الخاصة بالشعراء سبعة شعراء تولوا الوراثة في عهده . ونحن نترك تفصيلات هذا الموضوع الى من يكتب حياته الادبية .

- (١) هو محمد حمدى بن العالم الكبير والصوفى الشهير الشيخ آق شمس الدين الذى شهد فتح القسطنطينية واكتشف قبر ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه
(٢) نسبة الى آماسية مدينة بالاناضول معروفة بمحودة تفاحها وهى « خرشنة »
انوارد ذكرها في قصيدة للتبى في مدح سيف الدولة .

حتى أقام على أرباض خرشنة تشقى به الروم والصليان والبيع

درج محمد الفاتح منذ صباه الباكر على اشباع نهمه من العلم والاستزادة من مختلف الثقافات وقد اختار من العلماء البارزين «خواجه زاده» (١) و«اس الخطيب» (٢) مدرسين له وقرأ عليهما ما شاء من كتب السلف وأطلع أيضاً على مؤلفات العلماء المعاصرين وبحث آراءهم بدقة وسقدها نقداً علمياً.

(١) هو مصطفى مصلح الدين بن يوسف بن صالح الرسوى الشهير بخواجه زاده من كبار العلماء اقدس أعينهم الشعب التركي وموضع خرمه قرأ عبدالولى محمد آيا نلوع [وهو من علماء عهد السلطان مراد الثانى وكان يعرف بجلى آيا نلوع] الأصليون والعماني والبيان ثم وصل إلى حصر بك وهو مدرس بالمدرسة السلطانية فى بروسه فعين مساعداً [معيداً] له فاتم دراسته . وكان حصر بك محله وبقدرة تقديره عظيماً ومضى حدثت مشكلة عمية كان يقول : « ارجعوا الى العقل اسليم » يعنى به صاحب الترجمة وقد فار رحمه الله تقدير الامائح وعظمه فى ظروف معنفة وماسبات شق فاعده مدرساً لنفسه واستند اليه اعمالاً هامة وعبه قاصى عسكر لأياضون بعد المولى خسرو ثم قاصى استانبول وولى تدريس فى مدارس محلقة . والف بامر السلطان كتابه القيم « نهات العالسة » فقبول تقدير ومحبة فى كل مكان وله مؤلفات قيمة تولى الى رحمة الله تعالى سنة ٨٩٣ هجرية ودفن فى صريح بالقرب من مدرسة امير سلطان فى بروسه .

(٢) هو محمد عفى الدين الشهير بابن الخطيب قرأ على والده المولى تاج الدين ابراهيم لمدون بمدينة «إريق» والطوس وحصر بك كان عالماً كبيراً طلق اللسان حرى الجمان قوياً على المحاوره فصيحاً عبدالمحنته والذكشة وكان عده من العرور وحشونة لطع ما لا يتفق وما يجب ان ينصب به اهل العلم من النواضع ولين الخاسب حتى انه بسبب غروره قد افاق باهدار دم عالم جليل مثل المولى لطفى النوفائى الآنى ترجمته . وله مؤلفات قيمة . وقد شرع فى التعليق على شرح ابوفاية لصدر الشريعة ولم يمه . مات سنة ٩٠١ هـ ودفن بالقرب من صريح على القوشحى بمقبرة ابي ايوب الانصارى باستانبول

كانت له مكتبة خاصة تحوى كتباً قيمة جمعها وانتقاها باهتمام وعناية ،
 و من المولى لطفي (١) اميناً لها بعض مدة . وكان رحمه الله يعنى بالعلم والتعليم
 ولعلمين والصلبة عناية بالغة الغاية ويهيئ لهم جميع وسائل التعليم ويوفر للطلبة
 أسباب المعيشة في اثناء الطلب لكيلا تشغلهم مصائب الحياة عن التفرغ للعلم .
 عهد الى وريره الأول محمود (٢) (باشا) اصلاح نظام التعليم وكان محمود

(١) هو المولى لطيف الله التوقاني من كبار علماء الرياضة قرأ على سنان (باشا)
 و تلقى الرياضة والهيئة من على القوشجي حين وصوله الى استانبول ودخل في خدمة
 السلطان محمد الفاتح بواسطة سنان (باشا) فاشغل اميناً لمكتبته الخاصة بعض مدة
 ولما بقي سنان (باشا) الى سقر يحاصر سافر معه . وكان رحمه الله لا يبالى بتعاليده المحتجم
 يرسل نفسه على سجيته ويطلق لسانه على طبيعته وكأعنا يقول كما قال المتنبي من قبل .
 وهان في ابالي بالرياء لاني ما انتفعت بان اناي

وعلى عليه روح امراح والدعابة وكانت تصل دعائه الى درجة المرح والابلام
 في بعض الاحيان وله دعابة مع الفاتح معروفة ذكرها سهي الادريسي في تذكرته .
 ولما توفي الفاتح لقي من ابوه السلطان بايريد المظف والرعاية فبعض مدرساً في بعض
 المدارس ولكثرة فضائله حمده امرائه ولاطالة لسانه اتهموه بالاحقاد والردقة فاعدم
 سنة ٨٩٠٠ بمضى ابن الخطيب المتقدم ذكره . فوقع حملة « لقد من شهيداً » تاريخاً
 لوفاته بحساب الجمل . وله حاشية على ترحر انطالع والفتح للسيد وشرح جزء
 من البحاري والقب رسائل كثيرة في موضوعات شتى . ومدفون بقرعة في ابواب
 الانصارى في استانبول .

(٢) محمود (باشا) من اصل كرواني [في رواية] ابوه رومي وامه من البلبانيا
 وقع اسيراً في يد محمد آغا من رجال القصر في احدى الغزوات فأخذ الى القصر
 السلطاني لما بدا عليه من محاييل التويع والله كاه والحق بدائرته الحرية السلطانية ثم
 عهده الأمير محمد [السلطان محمد الفاتح] تربي في القصر تربية عالية حصل على
 قسط وافر من العلوم والفنون ولما جلس الفاتح على عرش السلطنة صه رئيساً —

(باشا) عالماً أديباً شاعراً وفي مركز يسمح له بالنهوض بهذه المهمة، فأنشأ في المدن الكبيرة مدارس عالية الى جانب المكاتب الموجودة في سائر المدن والقرى وسنقدم في الفصول الآتية بياناً عن هذه المدارس ومناهج الدراسة فيها (١) وكان محمد الفاتح يختار بنفسه العلماء الذين يتولون التدريس في هذه

— لعسكر الاسكندرية ثم والياً على ايلة الروملى وفي سنة ٨٨٥٧ هـ ولاء الصدارة العظمى [= رئاسة الوزراء] حلفاً لخليل باشا فقام بحسن ادارة شؤون الدولة مدة خمسة عشر عاماً وفي خلال هذه المدة قد اشترك في كثير من المعارك تارة بمعية السلطان واخرى قائداً عاماً . وتمكن من اخضاع بلاد الهرسك بالبلاد العثمانية وانتصر على المجر واقعد « لوفه » وغيرها من المدن من يد العدو واستولى على جزيرة « مدلى » ثم عزل بسعاية محمد (باشا) الروم سنة ٨٨٧٢ هـ ونصبه على سحق « عالبولى » وعهدت اليه في سنة ٨٨٧٣ هـ مهمة الاستلاء على « اكرينور » (٢) فجمع في مهمته . والى بلاد حسا في الحملة التي خرجت على حسن الطويل مكوفى . بان عين صدرأ اعظم مرة ثانية ثم عزل لهم عزيز اليه وعلى . في رواية . الى « حاص كوى » بالقرب من ادرنه فأقام بها الى ان وافاه الاحل سنة ٨٨٧٩ هـ وهناك رواية اخرى بأنه اعظم .

كان عالماً عاقلاً سياسياً مخنكاً عطاءاً مقداماً محباً للعلم والعطاء . وقد ألف باسمه كثير من الكتب الطيبة وله مسجد عظيم ومدرسة وحمام في الخي المروى باسمه باستانبول . وكذلك له مسجد ومدرسة في « سوبيه » ومبشآت كثيرة من مساجد ومبكت وقناطر في بعض المدن التي فتحها في الاناضول والروملى ولما استولى على « اكرينور » منح رتبة القائد الحرى من الدرجة الثالثة .

(١) انه فهم من كتب التاريخ ومن رحلة ابن بطوطه ان سوق العلم في الاناضول كانت رائحة جداً سواء في عهد السلاخة او في عهد الامارات التي قامت على اطلالها فتكان في كل قرية مكتب للاطفال كما كان معظم المدن والقرى راجراً =

المدارس ويناقشهم في المواد التي يدرسونها ويسألهم عن المتفوقين من طلبتهم ليكافئهم . جاء في الشقائق : سأل السلطان محمد الفاتح ذات يوم المولى خسرو قائلاً : « من هو أبيع طلبتك ؟ » فأجاب عبي الدين محمد الشهير بمعتبسا زاده وأثنى عليه كثيراً . فكرر السؤال قائلاً : « ثم من ؟ » فأعاد المولى خسرو الجواب قائلاً : « معتبسا زاده أيضاً » ، قال الفاتح : هل معتبسا زاده أثنى حقاً رددت على سؤالى بجواب واحد (١) فقال المولى خسرو : كلا يا مولاي معتبسا زاده واحد ، ولكن واحد عدي بأنف . وساء عبي هذه التذكرة عبيه مدرساً للمدرسة وريزه محمود باشا ثم لمدسته نفسه ونصه بعد ذلك قاضي العسكر .

خلاصة لقول : ان السلطان محمداً الفاتح ثقافته الرفيعة وشغفه بالعلم وحمه الشديد للحكمة وفق كل التوفيق لتحويل بلده الى مسع العلم ويلبوع الحكمة (٢)

بالمدارس ودور الخط والمؤسسات العلمية . والظمة التي يشون دراستهم في هذه المدارس كانوا يقصدون الى مراكز عمية كدمشق والقاهرة للاستزادة من العلم والثقافة وبعد انشاء محمد امانع مدارس الخان في استاسول فت هذه الرحلات العلمية .

(١) ولا يحى ما في هذا السؤال والجواب من الاطف والدقة .

(٢) يقول المؤرخ على مؤلف كه الاحبار مامعاه : « كان السلطان محمد خان قانع القسطنطينية يحترم العلم والعطاء ويشمل برعايته السامية من يرد عليه مهم من بلاد العرب والاعم بعد أنشأ في القسطنطينية مدارس الثمان العالية وبها تحولت بلاد ازروم الى مسع العلوم والحكمة واعست طلاب العلم وعشاق المعرفة عن تجشم مشاق الرحلة الى بلاد بعيدة لاستكمال دراستهم وريادة ثقافتهم ... » ج ١ ص ٣٧

وبعد ان حكم هذا العاهل الكبير نحو ثلاثين سنة حقق فيها من جسام الاعمال ما يتفق به العصور وفتح عهداً جديداً في العالم ، انتقل من استانول الى « امسكدار » في اليوم السادس والعشرين من صفر سنة ٨٨٦ هـ على رأس جيش عظيم بالرغم من مرضه ولما وصل الى « ككوزة » اشتد به المرض في المكان المسمى « تكور چايرى » فتوجه الى الله توجهاً كلياً بلسانه وقلبه حتى التحق بالرفيق الاعلى . (١)

لم تعلم الجهة التي قصدتها المفور له سفره هدا فكان من عارته رحمه الله كتاب حركاته العسكرية . وقد وصف عاشق باشا راده وفاته في ايات مؤثرة جداً يفهم منها انه راح صحية أحظاء (٢) الاطباء الذين قاموا بمداواته . وفي الحقيقة ان الذي يقرأ هذا الوصف المؤثر الذي يصف به عاشق باشا راده وفاة السلطان محمد الفاتح يحالجه الشك في كون وفاته طبيعية . ويؤيد هذا الشك ما ذكره صاحب الشقائق النعمانية في ترجمة الطبيب الاري والطبيب يعقوب اللذين توليا مداواة السلطان في اثناء مرضه الأخير ونقل ترجمتهما من الشقائق فيما يأتي .

(١) ولما سمع به مصر كتب المؤرخ المصري ابن اياس يقول .

« وفي ربيع الأول حاصت الاحبار بوفاة السلطان المعظم المعجم المجاهد الغازي ملك الروم وصاحب القسطنطينية العظمى وهو محمد بن مراد بن محمد . . . وكان ملكاً حليلاً عظيماً عاد على بني عثمان كلهم وانتشر ذكره بالعدل في سائر الآفاق وحرار العدل والعلم والكرم ارائد وسعة المال وكثرة الجيوش والاستيلاء على الاقاليم الكفرية وفتح الكثير من حصونها وفلاحتها وكان نائب مملكة الروم في حياته ثم استقل به من بعده ومكثت مدته طويلة تزيد عن حدى وثلاثين سنة . . الخ

بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ١١ ص ٢٠٤ . ٢٠٥

(*) الناس يلجئون اليه واما عند لطيف إسماعيل الأقدار
ابن الروي



منظر جانبي لضرع السلطان محمد الفاتح

المولى حكيم يعقوب

والعالم العامل يعقوب الحكيم كان طبيباً ماهراً في الطب غاية المهاره
وبذلك تقرب عند السلطان محمد خان وكان يهودياً وجعله السلطان محمد خان
حافظاً للدفتر بالديوان العالي وهو اليهودى ثم اسلم واستورره السلطان محمد
خان ولما صار محمد باشا القرماني وزيراً للسلطان محمد خان حصد وافق
في ذلك الايام ان مرض السلطان محمد خان فعالجه يعقوب وذكر محمد باشا
عند السلطان الحكيم اللارى ورغب في الدخول عيه فلما دخل هو عيه عالج
خلاف معالجات يعقوب وغشها وصعب السلطان محمد خان فاستعفى
الحكيم يعقوب ولما رأى الحكيم يعقوب وعرف انه غير قاص الدلاج
بعد هذا لم يتكلم بشئ وصوب رأى الحكيم اللارى ولم يلبث السلطان
قليلا حتى مات أمكنه الله جنانته وادخله محل رصوانه .

الحكيم اللارى

والعالم العامل والعاص الكامل الحكيم العجمي اللارى ارتحل الى بلاد
الروم وانصرت خدمة السلطان محمد خان كان ماهراً في الطب الا انه انحصراً
في متابعة رأى الوزير محمد باشا ومضاوئته هو انه في معالجه السلطان كما حكى .
أنفاً (أى في ترجمة الطيب يعقوب) سمعت هذه القصة عبد السيد ابراهيم
الأماسي المتوطن بحوار مراراني ايوب الانصارى .

وهذه النصوص لتاريخية تدل على ان محمد الفاتح مات في ظروف
غامضة ولست ادرى هل يوفق التاريخ لحلاء هذا العموص وتبين موقف
الوزير محمد باشا لقرماني من هذا الحادث او يطل سرا مكتوماً في صغير المصنف ؟
والله اعلم .

الباب الأول

الفصل الأول

التشكيلات الحكومية والعديلية

وضع في عهد السلطان محمد الفاتح كل ما يتطلبه كيان دولة وبقاؤها من التشكيلات العسكرية والمالية والعلمية والاقتصادية والزراعية وغيرها من المنظمات والمؤسسات ولم يهمل أى تدبير أو مشروع يضمن للدولة سلامتها وأمنها داخلاً وخارجاً .

وكانت تشكيلات الدولة العثمانية في ذلك العهد من الكثرة والانتشار بحيث تفوق جميع الدول المعاصرة لها كما يحدثنا بذلك التاريخ ويشهد به ما أحررته الدولة من النجاح الباهر المنقطع الطير في كل الميادين خلال زمن يسير لا يزيد على ثلاثين عاماً . والباحية الجديرة بالنسبة لها من هذه التشكيلات أنها على كثرتها وصحافتها أمكنت إدارتها بعدد قليل من الموظفين وبفقات يسيرة من المال وأحسن ما يكون من النظام والانتظام .

وانى لا اخص في تفاصيل هذه التشكيلات اذ ليس لها كبير صلة بموضوعنا ولذلك اتركها وانتقل الى التشكيلات العديلية والقضائية التى هى موضوع دراستنا .

لاشك أن المؤسسات العديلية والقضائية (١) من الامور التى تعار لها اهمية كبرى في ادارة الدولة ولذلك كان في كل ولاية وسنق ومركز قاض

(١) القضاء هو الفصل في الخصومات الناشئة بين الأفراد بعضهم البعض او بينهم وبين الحكومات . والشخص الموط به هذا العمل يسمى قاضياً . وقد عرفه بعض الفقهاء بأنه قول من يصدر من ولاية عامة . وهو تعريف جيد . والمعنى واحد .

أو أكثر حسب ما تدعو اليه الحاجة وكان كلما فتحت بلدة انشئت فيها محكمة فور الفتح وعين لها قاض مع من يعين من سائر الموظفين العسكريين والمدنيين .
 واول مؤسسة عدلية في الدولة العثمانية انشئت في عهد نابيها الأول السلطان عثمان وطلت تسير في طريق التقدم والتكامل حتى بلغ مبلغها من الكمال . ومع ان المرجع الاصلى الوحيد للعدالة هو القضاء فكان الى جانبه بعض مراجع اخرى تقوم باحقاق الحق وفي امكانها ان تلخص المراجع العدلية كما يأتي :

١ - الديوان (١)

(١) المقصود هنا من الديوان المكان الذي كان يجتمع فيه السلطان ورجال الدولة كما سطرع عليه فيما يأتي والرأى مختلف في اصل هذه الكلمة فقد العصى انها فارسية وعدد الآخر فارسية وعربية من قبل توافق اللغات . قال عاصم مترجم القاموس نقلاً عن المؤلف : الديوان مجمع الصحف والكتب يكتب فيه اهل الجيش واهل العطية ه وعقب عليه قائلا : المفهوم من هذا ان الديوان اسم لمكان ولكن اسكور في المعاصم الأخرى انه وضع اولاً للاوراق المختصة بالامكان واول من سماها ديواناً أبو شيروان الملك الايراني المعروف عدله فانه رأى يوماً مقرر عمل الكتاب فرأى ماسدونه من النشاط والسرعة في الاعمال الكتابية والحسية فقال متعجباً : « اين كارديواست » اي هذا عمل الخن يعوق طاقة البشر فشاع بعد ذلك استعمال الديوان في الدفاتر والسجلات ثم اطلق على المكان الذي يحفظ فيه الدفاتر ويسمى الآن دار المحفوظات [دفترخانه] ثم توسع فيه « علق على المكان الذي يجتمع فيه السلطان ووزرائه للاستماع للشكاوى واحراء الاحكام كما اطلق على دواوين الشعراء بجمع الجمع واول من احدث نظام الديوان في الاسلام هو سيدنا عمر رضي الله عنه . فعلى هذه الرواية تكون الكلمة مأخوذة من مادة « دبو » الفارسية بمعنى الخن و« الديوان » جمعها على القاعدة الفارسية في جمع المفرد ذي الروح بالالف والنون =

٢ - المحاكم الشرعية

٣ - مؤسسات الاحتساب والشرطة [- البوليس]

وكانت الى جانب هذه المراجع مراجع أخرى وهي :

١ - دار الافتاء

٢ - نقابات ارباب الحرف والهيئات العالية

وسبب فيما يأتي اختصاص كل من هذه المراجع والسلطة المحولة له ثم نستعرض من أيديهم هذه الاختصاصات من حيث النشئة والخلق .

الديوان :

هو في الدولة لعثمانية - كما كان في معظم الدول الاسلامية - المجلس الذي يعقد برئاسة الملك او وريثه الاكبر . وكان يسمى هذا المجلس ديواناً ، والديوان الهابون^(١) وتسمع فيه شكاوى احمور ويتصرف فيه .

والديوان مؤسسة تهمس الحاجة الى وجوده لادارة شئون الدولة وتمكين السلطة التنفيذية من تحقيق العدالة . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع في المسجد النبوي نحو اوص اصحابه وينظر في شئون الدولة والامة ويعص فيما يرفع اليه من الدعاوى .

لم يكن الديوان موجوداً في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام الى عهد سيدنا علي كرم الله وجهه شكله المعروف فيما بعد وان كان أساسه قد وضع

ولكن رد عليها ان كلمة ديوان استعملت في الاشعار الجاهلية فلعله اوشبوهون لذلك يرى عاصم انها فارسية وعربية من قبل توافق اللغاب . والكلمة مستعملة حتى الآن : الديوان العالي ، ديوان الحرب ، ديوان الخاسبة ، ديوان الموطعين .. الخ ومن ضمن معاني الديوان الشيطان ، والصان المصل ، وفاسد الفكر

(١) همايون نسبة الى كلمة «هما» الفارسية وهي اسم طائر حراقي ترمع لاساطير ان من وقع عليه طله منه الخير ويسميه هدماء اليونان : Phoenix فيكس .

في عهد الفاروق لان المسلمين في صدر الاسلام ما كان يعتدى احد منهم على الآخر بفصل تمكهم تعاليم الاسلام العالية ومبادئه السامية .

ولكن في خلافة سيدها علي رضي الله عنه مست الحاجة الى النظر في شكاوى الجمهور ومع ذلك لم يكن نظام النظر في هذه الصلة أيضاً كالذي كان فيما بعد . ما كان رضي الله عنه قد حدد ميعاداً للنظر في الشكاوى وأما الخلفاء امين أتوا بعده فأنهم حصصوا يوماً للنظر في الشكاوى .

وقد استمرت مؤسسة الديوان في الدولتين الاموية والعباسية وغيرهما من الدول الاسلامية باسمي ديوان المظالم ودار العدل .

كان الخلفاء او مندوبهم يسمعون شكاوى اعيانهم ويتصرفون فيها وقد تكون هذه الشكاوى تنحصر في الشكوى من اولاة والعاملين على جاية الزكاة والصرائب ، ومن حاشية الخلفاء والامراء حتى من القضاة بادعاء لهم أصدرت احكاماً مخالفة للشريعة وكانت لقرارات الصادرة من هذه المؤسسة قطعية لا تنقض .

وقد اقتنى سلاطين آل عثمان اثر من سبقه من الخلفاء والمؤلفين أو الحاجة ماسة الى انشاء ديوان ليكون مركزاً للإدارة .

وفي عهد السلطان محمد لفتح كتاب الديوان يجتمع في القصر السلطاني قبل الظهر كل يوم ماعدا ايام العصة الرسمية . وكان اعضاءه الطبيعيون هم الوزير الاعظم ووزراء القبة ، وقضاة العسكر وقاضي

(١) كان عدد الوزراء لا يزيد على أربعة . الوزير الأعظم (رئيس الوزراء) والوزير الثاني والوزير الثالث والوزير الرابع . ولم يكن لهم - ماعدا الوزير الأعظم - عمل وقت السلم سوى حضور جلسات الديوان . وسموا وزراء القبة لأنهم كانوا يجتمعون ويتداولون في مباحث القبة . ولا يران هذا المسمى موحوداً في سراي طوقشيو باستانبول .

استاسول (١) وآغا الإنكشارية (٢) والشانجي (٣) والدفتردار (٤)

= الورر معناه المعاون فانه يعاون السلطان في تحمل أعباء الملك وتعمل الحكيم على أن اشتغافه من الورر بكسر فسكون بمعنى الحمل الثقيل كما في قوله تعالى . «ورفعاعلك وررث» و«معناه المدح» على أن اشتغافه من الورر بمنحني كما في قوله تعالى «كلالا وزر» واصله الجبل ينحصر به ثم استعمل بمعنى المدحاً مطلقاً وسمى الورر بذلك لان السلطان يتمتع برأيه ويلتحنى اليه في أمره فهو فعيل بمعنى مفعول على الحدف والابحاف بمعنى المدح والثناء اليه . وقيل أصل الورر أريز من الأرز بمعنى القوة كما في قوله تعالى «اشدد به أرزى» فعل بمعنى مفاعل كخليس وعشيقلت همزته واواً حملا على موازر التي بمعناها .

(١) وسنقدم معلومات عن قضاء العسكر وسائر القضاء في المصوب الآتية .

(٢) آغا الإنكشارية هو القائد العام لحدود الإنكشارية المشاة بجميع صنوفهم ويسدل القائد العام سلاح المشاة في عصرها . وكان من ضمن أعماله الاشراف على شئون الأمن في العاصمة فكان يطوف مع مر من الحدود في شوارع استاسول ليلا او سهاراً نحو ثلاث مرات في الأسبوع ويحاط في حدود اختصاصه الخاضعين للقانون من ارباب الحرف والسكان . وكان حيا عليه أن يحضر مكان الحريق مع الورر الأعظم عند حدوث الحريق في مكان ما بالعاصمة . ومن أراد الاضطلاع على اختصاصاته العسكرية فليرجع الى مفصلات الكتب التاريخية .

(٣) الشانجي هو رئيس قلم التوقيع وكان عمله الاشراف على المراسيم والاوامر الصادرة من الديوان السلطاني ومراقبة شئون منح الاقطاعات حتى تحرق في حدود القانون . وشئون الاحصاء والتعداد في البلاد التي تمتع حديثاً وكان رئيس الكتاب والدفتردار تابعين له ثم عظم شأن رؤساء الكتاب والدفتردارين فانتقلت اختصاصات الشانجي إليهما وفي المدة الأخيرة انحصر عمله على الاشراف على شئون التوقيع حسب والنسب في نسبه «شانجي» أنه كان يقوم بعمل شارة السلطان ورمز الدولة كالطغراء (= الطرة) فان النشان معناه العلامة والرمز .

(٤) الدفتردار هو وزير المالية .

وآغوات البلوك (١)

كانت الشكاوى المرفوعة الى الديوان ترتب حسب تاريخ التقديم ، الاول فالاول وتستوفى التحقيقات التمهيدية ثم يجتمع الاعضاء في المواعيد المحددة ويجلس كل منهم في مكانه حسب قواعد التشريعات وينظرون فيما يعرض من الشكاوى والقضايا .

كان السلاطين الى عهد السلطان محمد الفاتح يرأسون الديوان بأنفسهم في عهده حدث حادث (٢) أدى الى استنائه فرؤى بعده ان يحصر السلطان الديوان ويستمع للشكاوى والمداومات من وراء حجاب يشهه القفص . وكان ذلك باقتراح من احمد (باشا) كديك [= الاثرم] الوزير الأعظم في ذلك الوقت .

(١) آغوات البلوك هم قواد المعائل في تشكيلات حدود الاستكشافية وكان الاقدم منهم في الخدمة يسمى « بلوكباشى » أى رئيس قواد المعائل . وسبقه يانا أوى من هذا عندما تتكلم على معاون المسوب الى محمد الفاتح في آخر الكتاب .

وكلمة « استكشافية » معرفة من كلمة « يكيچى » وهى اسم مركب من لفظين : « يكى » بمنح الياء التثنية وكسر الكاف التى تنطق كالنون ومعناه حديد و « چرى » بمنح الحيم الفارسية المعطشة التى تنطق كما تنطق حرفا التاء والشين معاً وكسر الزاء ومعناه جند فعلى « يكيچرى » الجند الحديد وهم القوة العسكرية الداعمة للدولة العثمانية . وأسست في عهد السلطان اورخان ثانياً سلاطين آل عثمان . وانتهت في عهد السلطان محمود الثانى .

(٢) سذكر هذا الحادث في موضعه .

إذا انعقد الديوان ثلاث رئيس الكتاب (١) الاوراق المعروضة فيؤشر كاتب الضبط في الجلسة على كل ورقة بالجهة المختصة فيرسل اليها تلك الاوراق ثم يُدعى «جاويز باشي» (٢) او غيره من الجاوشين الموجودين هناك أصحاب القضايا الكبيرة التي يجب أن تنظر في الديوان . وبعد اجراء المحاكمة في القضايا المعروضة وفقاً للاصول اصدر الحكم فيها إما قاضي العسكر وإما قاضي استانبول على حسب نوع القضية التي يرجع لفصل فيها إلى اختصاص احد منهما .

وإذا فرغ الديوان من عمله يتشرف الوزير الاعظم وحده بالشول بين يدي السلطان ثم الورراء مجتمعين . وكذلك قصة العسكر وقائد جنود الانكشارية يتشرفون بمقابلته في أيام محددة ويعرضون على سامعه أشئون المتصلة بأعمالهم ثم يعودون الى مقار أعمالهم ليشتمعوا بأعناء مناصبهم .

—

(١) رئيس لكتاب هو الكتاب الاول للديوان ثم عهدي من تولوا هذا العمل مهمة محادثة السعراء . وفي الفترة الأخيرة من عهد السلطان محمود الثاني حوات وظيفتهم الى وزارة الخارجية وسمى رئيس الكتاب وزير الخارجية .

(٢) «جاويز باشي» احد كبار الموظفين الثلاثة الذين كانوا يعملون تحت أمر الوزير الاعظم وكان يعاونه في اجتماعات الديوان ويصد قراراته وأقرارات الصادره من المحاكم وكان في معيته من الموظفين من يريد عددهم على تداعية موظف يمدد منهم من يعملون في المحاكم . ووظيفة ايجاويز مدبغة في الدولة واول من تولاها «صمصه» جاويز من رملاء العارضى عثمان الاول واحد الانطال الذين قامت الدولة العثمانية على اكداسهم . ولجاويز باشي اختصاصات اخرى لا تتصل بالخدمة فلاحاجة بنا الى ذكرها في هذا مقام . وتعادل وظيفة جاويز باشي وطبعة مشير الديوان السلطاني [اللامين الهياويزي] .

كان الديوان لا ينظر الا في القضايا الهامة فكان رئيس الكتاب يقررها ويعرضها ، واما القضايا غير الهامة فكان يحولها الى المحاكم المختصة .

الدولة التي تدار شئونها على أساس المركزية لابد فيها من مجلس مركزي يعالج مهام الامور من الطبيعي ان يصمم هذا المجلس اعضاء من دوى الكفاءة والخبرة ممن يشغون مناصب كبيرة في الدولة لان الادارة في الاسلام قائمة على أساس الشورى . بيد ان هناك نقطتين تلفتان اليهما النظر من الوجهة العدلية .

اولاً - اهتمام الديوان بشؤون الشعب لهذه الدرجة
ثانياً - صدور الحكم من قبل قضاة لعسكر او قاضي استابول .

فهناك النقطتان تدلان على مبلغ العناية التي تعار لتحقق العدالة واحقاق الحق وما يتمتع به القضاة من الاستقلال والحرية . ومن المحقق ان القضاة كانوا يستشيرون اعضاء الديوان قبل اصدارهم الاحكام فان الشريعة الاسلامية تجيز للقضاة ان يستشيروا او يستفتوا اهل العلم وذوى الكفاءة في القضايا المعروضة عليهم عند ما يرون الحاجة الى ذلك وهذا واقع رأى المستشار او فتوى المفتي رأى القاضي حكم به والا اصدر حكمه برأيه .

كان مبدأ استقلال القضاة مرعياً في الدول الاسلامية كلها وفقاً للتعاليم الاسلامية . وعلى هذا كانت آراء اعضاء الديوان الآخرين استشارية محضة فاننا وافقت رأى القاضي فيها وبعمت والا حكم برأيه .

ولا يرد هنا احتمال ان يكون قضاة العسكر او قضاة استابول في ذاك الوقت تحت تأثير رئيس الديوان او بقية الاعضاء .

وكذلك كانت الخاتمة في الدعاوى التي تنظر امام المجالس المسماة بمحاكمات ومرافعات الحضور ، (١) اي المحاكمات التي كانت تجري في حضرة الوزير

(١) المراد من كلمة « الحضور » معنى الحاضرة في انفسهم لا معنى الشهود عند القضية .

الاعظم . أو في حضرة شيخ الاسلام أخيراً . اعني ان القصية المتطورة أمام المجالس المذكورة يصدر الحكم فيها القاضي المحتسب بالقصية وإنما يحصر الاعضاء الآخرون بوصفهم مستشارين . (١)

يؤخذ من بعض المراسيم السلطانية [القرمانيات] والوثائق الأخرى انه اذا حدثت منازعات في بعض القضايا مثل قضايا الميرعى والماء والحدود وطلب المتنازعون تدخل الحكومة فيها للفصل ، فعند حدوث اي حادث يؤدي الى عواقب مؤسفة ... يوفد من قبل السلطان مباشرة او بإشارة الديوان رجال موثوق بكفاءتهم وخلقهم يبررون التحقيق في مكان لتراء لاظهار المحق من المصل ، وعلى ضوء نتيجة تحقيقهم يصدر الفرمان ويفذ مقتضاه . هذا ، والارادة السلطانية الصادرة في المسائل التي يرجع الفصل فيها الى اختصاص المحاكم كانت تعد من قبيل اجراءات ادارية ولم تكن تمنع المتقاصير من الرجوع الى المحكمة اذا شاءوا .

وكذلك يشهد من الوثائق المشار اليها ان هذه الاجراءات كانت تتم خلال مدة قليلة نحو ثمانية اشهر او عشرة ، هربى من هذا كله ان رجال الدولة في تلك العهود وعي رأسهم سلطان عنوا بشئون العدالة عناية مباشرة وصرهوا قصاراهم منعاً لحدوث اي ظلم في البلد وتمككه فيه . ومع ذلك لا بد ان المراجع الاصلى للعدالة هو القضاء والمحكمة فلجنة بهذا القدر من الكلام على نصيب الديوان في تحقيق العدالة ولستقل الى القضاء .

(١) بعد ان تحول الديوان الى مجلس الوزراء كان بعض دعاوى هامة يسطر في حصره وزير الاعظم اعني محصره مع اشتراك بعض رجال الدولة وكان يسمى هذا « مرافعة الحضور العالي » واستمر هذا نظام الى عصر التشيقات الخيرية أي إلى أوائل عهد السلطان عبد الحميد وهذه نظرت امثال هذه القضايا في حضرة شيخ الاسلام وسمى « مرافعة الحضور » وفي اثناء الأخيرة التي تامة .

الفصل الثاني

القضاء وتوابعه في الاسلام

قل الخوص في شرح ماهية المحاكم سواء في عهد الفتح او في عهود من سبقه من السلاطين وبيان الاسر التي قامت عليها رى من المفيد ان يقدم عن القضاء البيان الآتي حتى يفهم حالة المحاكم المشار اليها فهماً تاماً واضحاً .

القضاء قديم قدم الانسان فقد اضطر الانسان من اول عهده بالحياة ان يعيش في حانة الاجتماع وان يحدث شتى المناسبات مع بي بوعه ومن ثم احتاج الى الرجوع الى شخص محايد ليفصل في المنازعات التي تنشأ بيه وبين اخيه الانسان

«والقضاء بالحق من أقوى الواجبات والقرائن بعد الايمان بالله تعالى وهو من أشرف العبادات لاجله أثبت الله تعالى لآدم عليه السلام اسم الخلافة فقال جل جلاله في محكم كتابه . انى جاعل فى الارض خليفة . واثبت ذلك لداود عليه السلام ، فقال عز وجل : يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ، وبه أمر كل من مرسل حق حاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، قال الله تعالى : إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها المبينون . وقال الله تعالى - خطاباً لئنسنا عليه أفضل الصلاة والسلام : وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ،

وهذا لان القضاء بالحق اطهار العدل وبالعدل قامت السموات والارض

ورفع الظلم وهو ما يدعو اليه عقل كل عاقل . واصناف المطبوع من الظالم
وانصال الحق الى المستحق وأمرأ المعروف ونهياً عن المنكر ولاجله بعث
الانبياء والرسل صلوات الله عليهم . وبه اشتغل الخلقاء الراشدون رصوا
الله عليهم »
المبسوط ج ١٦ ص ٥٩

القبائل التي تعيش في حالة لبابة كان : وساؤها أو المتقدمون منها هم
يقومون بالقضاء وفي صدر الاسلام كان الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام
يباشر القضاء بنفسه ولما اتسعت رقعة البلاد الاسلامية بعث قضاة الى
الجهات حسبما تدعو اليه الحاجة . فكان معاذ بن جبل وعبي بن ابي طالب
وعتبات بن أسيد رضي الله عنهم من قضائه عليه الصلاة والسلام . وكان
رسول الله يفصل في الدعاوى التي تحدث بالمدينة وما حاورها من البلاد .
ولما كان القضاء يعتمد على الكفاءة العالية ودقة الفهم كان رسول الله
يعتبر كفاءة من يقلده القضاء من اصحابه كما فعل ذلك مع معاذ لما بعثه
الى اليمن .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم محاضباً معاذ بن جبل رضي الله عنه :
« كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ » قال معاذ : « اقضى بما في كتاب الله »
قال : « فان لم يكن في كتاب الله » قال : « فبسنة رسول الله » قال : « فان لم
يكن في سنة رسول الله قال : « اجتهد رأيي لا آلو » قال : « فضرِب رسول الله
صدرى ثم قال الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى رسول الله » (١)

(١) أخرجه أبو داود والترمذي عن الحارث بن عمر وعن ناس من أهل حمص
من أصحاب معاذ عن معاذ ان رسول الله لما بعثه الى اليمن قال : كيف تصنع . الخ
عبد الله داود في القضاء باب اجتهاد الرئي في القضاء ج ٢ ص ١٤٩ وعبد الترمذي
في الأحكام باب ما جاء في القاضى كيف يعصى ج ١ ص ١٧١

وفي عهد الرسول عليه السلام وخطيفته سيدنا ابي بكر رضى الله عنه كانت شئون القضاء والادارة تعهد الى شخص واحد يكون اميراً وقاصياً معاً واستمر هذا النظام الى اول عهد سيدنا عمر رضى الله عنه ثم فصل القضاء عن الادارة وأرسل الى الجهات قضاء أكفاء مستقلون .

كان المعول عليه في اسناد القضاء الى شخص هو الكفاءة العلمية والخلق التويم ولا يقام بعدهما وزن للسن والمركز الاجتماعى كان عثمان بن أسد حو الى العشرين من عمره حين استعمله رسول الله قاصياً وأميراً على مكة . وولى سيدنا عمر قضاء الشام شاباً في سن الثالثة عشرة .

وكان القضاة لا يعزلون في صدر الإسلام . تولى القاضي شريح (١) القضاء ستين عاماً في حلاقة كل من عمر وعثمان وعلى وحزء من عهد الأمويين قام بأعباء منصبه الخضير في أوقات مليئة بالفتن والاحداث ومع ذلك لم يعز ولم يستقال من عمله قل وفاته سنة في أثناء سكة الحجاج

لقضاء ولاية عامة لذلك كان القضاة يصيبون من قبل الخلفاء ومع ذلك أدن لحصن ابولاة نصب القضاة من قبلهم نذكر على سنيين المثال ولادة مصر فكان تولية القضاء من ضمن السلطات المخولة لهم .

عرض سيدنا عمر رضى الله عنه قضاء مصر على كعب بن يسار فاعتذر عن عدم قبوله قائلاً : « اشتعلت بالقضاء في الجاهلية فلا أعود إليه مرة أخرى . فنهض عمرو بن العاص والى مصر عثمان بن قيس قاصياً (٢) .

(١) هو شريح بن الحارث السكندى معمر محضرم ولى قضاء الكوفة في عهد عمر واستمر على القضاء نحو سبعين سنة . لى أيام الحجاج حتى توفى سنة ٥٨ هـ - سن مائة وعشرين عمراً . وقال فيه عيسى بن ابي طالب كرم الله وجهه ثم ما شريح فأب أقصى العرب (٢) في عهد معاوية كان الخلفاء القديين يتصور قضاء مصر لتقوية سلطتهم واسط نفوذهم .

وقد استمر نظام نصب القضاة من قبل الخليفة او ابوالى الى ان أنشئ
مصب قاضى القضاة وبعد انشائه أصبح نصب وعزل القضاة من اختصاصه .
واول من تولى هذا المنصب السامى الامام ابو يوسف من كبار مجتهدى
عصره ١١ وكان فى سنة ١٧٠ هـ فى عهد هارون الرشيد من العباسيين .
كان هذا المنصب موحوداً فى الدول الاسلامية الاخرى ايضاً كالدولة
العاطمية والدولة الايوبية وغيرهما ونصب ملوك هذه الدول قاضى لقضاة ،
موصوا اليه نصب القضاة فى المدن ولبلاد .
ومركز قاضى القضاة كان اسمى مركز فى الدولة بعد الخلفاء والملوك

(١) هو الامام ابو يوسف القاضى بن قنوب بن ابراهيم بن حبيب الانصارى اسماً
والكوفى مثنأ وتبعاً ولد بالكوفة سنة ١٣٠ هـ بى المشهور « وشأ فقيراً تصطره
الحاجة لان يعمل لئلا كل وتدفعه الرعة فى العلم لان يستمع إلى العلماء حتى إذا لم
ابوجهية فيه ذلك أمده بالمال فاصرف لطلب العلم ذكره كان محباً للحدث ويحفظ
سمعي أو سني حديثاً ثم يقوم فيملأها من الناس « من مخطبات « ابوجهية »
للاستاذ الجليل محمد ابو زهرة .

كتب العلم عن طائفة من التابعين فسمع الحديث من هشام بن عروة ويحيى بن
سعيد والاعمش وغيرهم من طائفتهم وتبعه أى حصة وهو احد اصحابه واندمم مهم
واول من وضع الكتب على مذهب ابى حنيفة وأملى المائى وشرهاوت علم أى حنيفة
فى افطار الارض وله لامالى والوادى وكتاب الخراج والآثار وادب القاضى وتنقحه
عليه عدد كثير من العلماء وروى عنه بشر بن الوليد وابن سماعة ويحيى بن معين
واحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة الحديث وأحد اصحابه محمد بن الحسن بن قتيبة
بغدادى فى بعض أيام المهدي ثم الهادي ثم هارون الرشيد . وكان الرشيد يكرمه ويحبه
وكان عنده حظاً مكيأ وهو أول من دعى قاضى القضاة واول من تعهد رياحاصاً باسمه
وكان الناس يولوا لا يهتم احد من احد فى النظر وقد توفى ببغداد ظهر يوم الخميس
الحسن حلون من ربيع الاول سنة ١٨٢ هـ وحضر الرشيد جنازته .

وكان يختار لهذا المنصب من يتمتع باحترام الناس وتقديرهم من كبار العلماء والفقهاء .

وكان لقاضي القضاة المنصوب من قبل الخليفة أن ينصب نواباً عنه حسب ما تدعو اليه الحاجة اذ أقرض اليه ذلك ، فكانت سلطة هؤلاء النواب محدودة ومقصورة على مصقة عملهم لا تعدوها الى غيرها . واما سلطة قاضي القضاة فكانت عامة شاملة لجميع الجهات .

هذا : وكان في الدولة الاموية بالاندلس قاض يسمى «قاضي الجماعة» وقد انشئ منصب قاضي الجماعة سنة ٢٧ هـ في عهد عبد الرحمن الاول .

القضاة يحكمون باسم المجتمع وبالبيان عنه كائناً من كان من يوليهم القضاء ولذلك لا يعرفون ادا مات المولى او حلع . ويشرح هذه المسألة ابو بكر الكاساني في سائر الصنائع كالآتي :

«فصل ، وأميين ما يخرج به القاضي عن القضاء فتول وباقه لتوفيق : كل ما يخرج به الوكيل عن اوكالة يخرج به القاضي عن قضاء . . لا يخلطان الا في شيء واحد وهو ان الموكل اذا مات او حلع ينحل الوكيل ، والخليفة اذا مات او خلع لا ينحل قصته وولاه ووجه الفرق ان الوكيل يعمل بولاية الموكل وفي حاله حقه ايضاً وقد ظلت اهلية الولاية فعزل او كحل والقاضي لا يعمل بولاية الخليفة وفي حقه بل بولاية المسلمين [المجتمع] وفي حقوقهم واما الخليفة بمنزلة الرسول عنهم . . . واذا كان رسولاً كان فعه بمنزلة من عامة المسلمين وولايتهم بعد موت الخليفة باقية فيبقى القاضي على ولايته . وهذا بخلاف العزل فان الخليفة اذا عزل القاضي او الوالي ينحل عمله ولا يعمل بموته لانه لا يعمل بعزل الخليفة ايضاً حقيقة بل بعزل العامة لما ذكرنا ان توليته بتولية العامة [المجتمع] والعامة

ولوه الاستبدال دلالة (١) لتعلق مصلحتهم بذلك فكانت ولاية منهم معنى في العزل ايضاً فهو الفرق بين العزل والموت .

ولو استخلف القاضي بأذن الامام ثم مات القاضي لا يعزل نائبه لانه نائب الامام في الحقيقة لا نائب القاضي فلا يعزل بموت الامام ايضاً كما لا يعزل القاضي لما قبله فلا يملك القاضي عزل نائبه لانه نائب الامام فلا يعزل بعزله . . . الا اذا اذن له الامام ان يستبدل من شاء فيملك عزله ويكون ذلك ايضاً عزلاً من الامام لا من القاضي . . . وعلم المعزول بالعزل شرط صحة العزل »

بدائع الصنائع ج ٢ ص ١٦

يرى بعض المؤرخين ان فكرة انشاء منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية مستوحاة من نظام « موند موندان » (٢) اليراني ولكن هذا الرأي لا يبدو ان يكون مجرد تخمين . واذا كان لابد من ارجاع هذه الفكرة الى اصل سابق مستمد منه فالأكثر احتمالاً ان يكون نظام « قاضي الجماعة » الذي كان في الابدلس هو اصل الفكرة .

والواقع في رأينا ان رقعة البلاد الاسلامية اتسعت جداً في عهد العباسيين فاستدعت الحالة ان يوجد قاض في كل بلدة وان يراقب هؤلاء القضاة مراقبة ادارية فتنتجت من هذه الضرورة فكرة منصب قاضي القضاة . بل نقول : انشئ هذا المنصب على أساس فصل القضاء عن السياسة واستقلاله

(١) يدل بالدلالة عند الحنفية . دلالة اللفظ على لازم معناه واسطة على الحكم للمجموعة لغة . وهو المسمى عند الشافعية بمفهوم الموافقة وخوياً الخطاب . كدلالة قوله تعالى « ولا تقل لهما أف » على محرم الصرب .

(٢) موبد هم اللم وسكون الواو وفتح اياء الموحدة ومعناه في مذهب رددشت اليراني الرئيس الروحاني وجمعه موندان على القاعدة الفارسية في جمع المفرد الى الجمع بالالف وانون . اي الرؤساء الروحانيون « وموبد موبدان » « واصافه لمفرد إلى الجمع معناه رئيسهم الاعلى . وكانت السلطة القضائية بيدهم .

عنها استقلالاً تاماً ليس لها أى سلطان عليه . وهذه نقطة جدية بالوقوف عندها فى الوقت الحاضر أيضاً .

يشترط فيمن يقصد (١) القضاء شروط يجب توافرها فيه منها البلوغ (٢) والعقل والحرية فلا يجوز تقليد الصبي والمجنون والمعتوه والعبد لأن القضاء يستلزم على الولاية وهؤلاء ليس لهم أدنى الولاية وهو الولاية على النفس فكيف يكون لهم أعلاها وهو الولاية على الغير .

وأما كبر السن أو حداثة فلا مقام له فى باب القضاء كما أشير إليه فيما سبق يمكن أن يكون القاضي عالماً وكفوماً للقضاء ويستوى بعد ذلك أن يكون حديث السن أو كبيرها وليس معنى هذا أن تقليد القضاء لمن هو حديث السن حتم ضرورى فإن تقدير ذلك يرجع إلى من بيده التقليد .

كان عتابة بن أسيد (٣) لدى استعماله النبي عليه الصلاة والسلام على مكة قاصياً وأميراً فى الثامنة عشرة أو الاحدى والعشرين أو الثانية والعشرين

(١) تقليد القضاء فى اصطلاح الفقه نولية القضاء . مأخوذ من القلادة وبه إشارة إلى أن القاضي يطوق بحقه هذا العمل الخطير كما يطوق عق المرأة بالقلادة وجب عليه أن يتعهد به وبحسن اقيام عليه كما تنهه الحياء بقلادتها
(٢) البلوغ هو انتهاء من الصبا ومبدأ اكتمال العقل

(٣) عتابة بن أسيد اسم يوم الفتح واستعمله لى صلى الله عليه وسلم على مكة وأقره أبو بكر إلى أن مات يوم موت (أبو بكر رضى الله عنه) هذا فى رواية ولكن لطراى ذكره ضمن عهد عمر فى سنة خلافته كلها إلى سنة اثنين وعشرين ثم ذكر أن عامل عمر على مكة سنة ثلاث وعشرين كان مافع بن عبد الحارث فهذا يشعر بأن عتابة مات فى آخر خلافة عمر رضى الله عنهما وكأنه شديد على الربيب لياً على المؤمنين وروى عن من عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (واحمل لى من لديك سلطاناً نصيراً) قال هو عتابة بن أسيد .

على اختلاف في سه . وكذلك يحيى بن اكرم قاضي المأمون على البصرة كانت سنة حوالى العشرين (١) .

ومنها البصر والنطق والسمع والسلامة من الخد في القذف (٢) فلا يجوز تقليد الاعمى والاخرس والاصم الذى لا يسمع الصوت العالى . والحكمة في ذلك ظاهرة غنية عن البيان فان هذه العاهات الجسمية تنافى التمييز الذى يتطلبه القضاء .

وأما المحدود في القذف فقد نهى عن قبول شهادته عقوبة له ، قال الله تعالى :
« والذين يرمون المحصنات ثم لا يأتون بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا . . . الآية (٣) »

(١) ولد في مرو كان عالماً فقيهاً بصيراً بالأحكام وروى عنه البخارى في عبر الجامع والترمذى . ولاء المأمون قضاء البصرة بعد اسماعيل بن حماد بن أبى حبيبة وسه حوالى عشرين سنة فقال أهل البصرة : كم من انقاض ؟ فقام انه استعصر فقال أما اكبر من عتاب بن أسيد الذى وحه الله على وسلم إلى مكة قاصياً ومن بعد بن حبل الذى وحه الله عليه الصلاة والسلام قاصياً على اليمن . ثم عبه المأمون قاضى القضاة وحد ذلك استورره وعزل من منصبه في عهد المتصم وابعداه في عهد الشوكل وقد تقب في الاقباق والأدبار فله رحمة واسعة في تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والسكشاف والراءه وغيرها وله حكميات تدل على قوة علمه وحمولة فهمه المذكورة في الكتب الآتية المذكورات سنة ٣٤٣ هـ رحمه الله

(٢) القذف اتهام رجل محصن بعمى او امرأه محصنة بغيره بالزنى وعقوبة هذه الجريمة جلد القاذف ثمانين جلدة ويقال في اصطلاح الفقهاء للشخص المعاقب بسبب هذه الجريمة : المحدود في القذف

(٣) وقع اختلاف في حكم الاستثناء المذكور عقب الحمل النعاطفة كما في هذه الآية الكريمة فان الاستثناء وقع بعد ثلاث حمل متعاطفة ، الحمل الاولى أمرة بمحمد [أى الذين يرمون المحصنات بالزنى] والثانية ناهية عن قبول شهادتهم والثالثة محررة بمقتضى وفي حكم ذلك مذاهب : الاول مذهب الحنفية ان الاستثناء يعود الى الحمل الأخيرة خاصة لا بدليل فيها قبلها . ومن ادلتهم على ذلك أن الاستثناء =

فموجب هذه الآلة الكريمة ليس المحدود في القدر أهلاً للشهادة وأهلية
القضاء تدور مع أهلية الشهادة وجوداً وعدماً من صلح شاهداً صلح قاضياً
ومن لا فلا ، لأن كلا من الشهادة والقضاء من باب الولاية على الغير والزامه
فالشاهد لشهادته يلزم الحاكم أن يحكم والحاكم يحكمه يلزم الخصم .
وأما المذكورة فليست عند الحنفية من شروط جواز التقليد في الجملة لأن

= خلاف الأصل لكونه اسكراً بعد الإقرار يمكن خلوها مقتضى الأصل في الجملة
الأخيرة للصورة وذلك لأنه لا يمكن إلغاء الاستثناء وتعلقه بالجملة الواحدة كاف
في تصحيح الكلام والجملة الأخيرة لا شك أنها اقرب محض [أي الاستثناء] بها
فبق ما عداها على الأصل والثاني مذهب الشافعية أن الاستثناء يعود إلى الجميع
إذا لم يدل الدليل على إخراج البعض .

وعائدة هذا الخلاف تظهر في قبول شهادة القاذف بعد التوبة بأن أكذب
عنه في قومه عند من قومه بالرأي وأصلح عمله بعد الحمية لا تقبل لأن الاستثناء
لا يعود إلى جملة « ولا تفلوا لهم شهادة أبداً » وإنما يعود إلى الجملة الأخيرة وهي
« وأولئك هم الفاسقون » فينتهي عنه العسق لا عبر وتبقى « ولا تفلوا لهم شهادة
أبداً » على حكمها وبعد الشافعية تفل لأن الاستثناء يعود إلى الجملة الثانية أيضاً
فينتهي عنه العسق وتقبل شهادته . وأما الجملة الأولى الأمانة بالجلد فوافق الطرفان
على أن الاستثناء لا يعود إليها لكونه حق آدمي فلا يسقط بالتوبة . وهما بمذاهب
أخرى تفصيلها في أصول الفقه . هذا ، وقال ابن القيم في إعلام الموقعين : إن رد
شهادة القاذف من تمام حده وتكملة له أي أنه جعل عقوبة لهذا الذنب فلا يسقط
بالتوبة كما لا يسقط الحد بالتوبة ولأن القدر متضمن الحماية على حق الله وحق آدمي
وهو من أولى الحرائم فباسب تعليل الحرر ورد الشهادة من أقوى أسباب الحرر
لما فيه من إيلاء القلب والسكينة في النفس إذ هو عزل لولاية اللسان الذي استطاع
به على عرس أحبه و بطلان لما ثم هو عقوبة في محل الحماية فإن الحماية حصلت
بما به فكان أولى بالعقوبة فيه وقد رأينا الشارع مداعبه هذا حيث قطع يد السارق
فإنه حد مشروع في محل الحماية . الخ

المرأة من أهل الشهادات في الحلة أى تقبل شهادتها في غير الحد والقود فيجوز قصاؤها فيه لان القضاء يستق من الشهادة وأهلها أهله كما سلف بانه ولكن مولها يأثم لمساواه البخارى من ان الى عليه الصلاة والسلام قال : لا يفلح قوم ولوا امرهم امرأة (١) وهذا الحديث حجة من منع قضاء المرأة عن الاطلاق وهم جمهور الاثمة : مالك والشافعي واحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى لان توليتها تؤدى الى عدم الفلاح وكل ما يؤدى الى عدم الفلاح يجب اجتنابه

وروى عن محمد بن جرير الطبري جواز قصاتها على الاطلاق في كل شيء (٢) ومن رأى حكمها نافداً في كل شيء قال ان الاصل هو ان كل من يتأنى منه الفصل بين الناس بحكمة جائز الا ما خصصه الاجماع من الامامة الكبرى كما دل اسرشد في بداية المجتهد ونهاية المقتصد .

(١) أخرجه البخاري في كتابه من حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن
 قال: لقد بعى الله بكلمة أيام الحول لما بع النبي صلى الله عليه وسلم
 من أملاككم أمة كسرى قال: لن يطلع قوم ولوا أمرهم امرأة وأخرجه أيضا في
 كتاب المغازي: باب كتابه إلى أبي كسرى وقصره بالسند فيه وزيادة في المتن
 . . . عن أبي بكر قال: بعى الله بكلمة سمعها من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أيام الحول (*) ما كنت أن ألقى بأصحاب الحول فاقابل معهم قال لما بع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال
 «لن يطلع قوم ولوا أمرهم امرأة»

و كسرى هذا هو شيرويه بن اردشیر بن حریر . وقال لكرمانی هو ابن قباد
بضم القاف وتخفيف الباء للوحدة . واسم امته « توران » اسم البلاء للوحدة والراء
والنون وكانت مدة ملكها سنة وستة أشهر .

(۳) والرواية عن محمد بن حريز القنري مختلفة بوردها فيما يأتي .

(*) متعلق بنوعی لا یجوز :

وعندي أما حينما نتناول هذه المسألة بالبحث ينبغي أن ننظر إليها من ناحيتين : ناحية الفقه وناحية مصلحة المجتمع ، فمن المحتمل جداً أن المسح الذي يتضمنه الحديث الشريف لوحظت فيه مصلحة المجتمع ، وأما الرأي الفقهي فكمما يبيته آتياً .

هذا ، والاهلية للشيء لا تختم توليته وذلك لاعتبارات تمت بالصباح العام كما هو المرعى في عصرنا الحاضر أيضاً فكم من وظائف كالتقضاء والسياسة يكون الشخص أهلاً لها بحسب حقوقه المدنية ولا يتولاها إذا لم تتوافر فيه الشروط المقررة لها من حيث السن وغيرها فالمصلحة العامة هي نصب عن

= الاوطار وسل السلام وكما يؤخذ من ابن حجر العسقلاني في شرح حديث القارى حيث قال : «....» والمع من أن تبي الامارة والقضاء قول الجمهور ، وأحاره الطبرى وهو رواية عن مالك . وعن ابي حنيفة تلى الحكم فيما يحور فيه شهادة النساء »

صح البارى الخيرية ج ٨ ص ٩٠

فانه ذكر قول الطبرى في مقابل المسح المطلق والحوار القيد فيكون قولاً بالجواز المطلق .

ثانياً — جوار قضائها فيما تقبل شهادتها فيه والاطلاق مذهب بعض المالكية . كما صرح بذلك ابن حجر العسقلاني نقلاً عن ابن التين في شرح حديث كتاب الفتن : «...» قال ابن التين احتج بحديث ابي بكر من قال لا يحور ان تولى المرأة القضاء وهو قول الجمهور وحالف ابن جرير الطبرى فقال يحور ان تقصى فيما تقبل شهادتها فيه واطلق بعض المالكية الحوار »

صح البارى المعربة ج ١٣ ص ٢٣ - ٢٤

وقال البدر العيسى في شرح حديث كتاب الفتن : واحتج به من منع قضاء المرأة وهو قول الجمهور وحالف الطبرى فقال يحور ان تقصى فيما تقبل شهادتها فيه واطلق بعض المالكية الجوار .

عنده القارى الدمشقى ج ٢٤ ص ٢٤

ومن صرح بأحاره المالكية قضاء للمرأة ابن حزم في المحلى : كتاب القضاء

ثالثاً — م يصح عن الطبرى القول بحوار قضائها على الاطلاق . واليك ما يبدل —

«سارع دائماً . والا فقد اعترف الاسلام للمرأة بحقوقها المدنية والانسانية
واذا كانت هناك بعض مروق بين الرجل والمرأة في الاحكام فما ذاك الا
مراعاة لمصلحة عامة او حرصاً على مصلحة المرأة نفسها من صحة وعفاف
وما الى ذلك من الاعتبارات .

ثم إن أول الحديث وأن كان المتبادر منه الى الدهس أنه وارد في الإمارة

— على ذلك : قال القاضي أبو بكر بن العربي في تفسير قوله تعالى : « أنى وجدت امرأة
تملككم » الآية ٢٣ سورة النمل

« المسألة الثانية : روى في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه
أن كسرى لما مات وولى قومه بنته : « لن يطلع قوم وبوا امرئ امرأة » وهذا
من أن المرأة لا تكون حليفة ولا خلاف فيه ونقل عن محمد بن حرير انطوى
أنه يجوز أن تكون المرأة قاضية ولم يصح ذلك عنه ولعله نقل عنه كما نقل عن
أبي حنيفة أنها إنما تقضى فيما تشهد فيه وليس بأن تكون قاضية على الإطلاق ولا بأن
يكتب لها مشور [= مشور] بأن فلائمة مقدمة على الحكم وإنما سئل ذلك التحكيم
والاستئابة في القضية الواحدة . وهذا هو الظن بأن حليفة وابن حرير . وقد روى
عن عمر أنه قدم امرأة على حصة السوق ولم يصح فلا تلتفتوا اليه لأنها هو دسائس
البتدعة في الاحاديث »

احكام القرآن للقاضي ابن العربي ج ٢ ص ١٣٦

ونقل القرطبي كلام القاضي ابى بكر بن العربي هذا منه في الجامع لاحكام

القرآن ج ١٣ ص ١٨٣

وقال الآلوسى في تفسير الآية المذكورة « ... ونقل عن محمد بن حرير انه يجوز
أن تكون المرأة قاضية ولم يصح عنه . وفي الاشباه : لا يفتى أن تولى [أى المرأة]
القضاء وإن صح منها بغير الحدود والقصاص . وذكر أبو حيان أنه نقل عن أبي حنيفة
عليه الرحمة أنها تقضى فيما تشهد لا على الإطلاق ولا أن يكتب لها مشور بأن فلائمة
مقدمة على الحكم وإنما ذلك على سبيل التحكيم لها »

روح المعاني طبع مطبع دمشق ج ٩ ص ١٧١ .

[= الحكم] ، فان العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيشمل المنع
الولاية العامة كلها وأما ما كان من قبيل الولاية الخاصة فيجوز أن يتولاها
بنون خلاف .

والظاهر أن اختلاف الفقهاء في جواز تقليد المرأة القضاء وعدم جوازه
كان له اثره في ذلك اذ لا نجد في تاريخ القضاء امرأة تولت القضاء . وأما
الفتيا فقامت بها كثيرات منهن عائشة أم المؤمنين وفاطمة بنت رسول الله
واسماء بنت الصديق وأم الدرداء الكبرى . واشهر من قبل بالفتيا بعد
الصحابيات المشار اليهن هما فاطمة الفقيهة ^(١) وفاطمة البعدادية . وقد ترجم

= فالمفهوم من هذه النصوص ان ما يمرى الى كل من اى حبيبة والطبرى من حوار
وصائها انما هو على سبيل التحكيم والاستئانة في الفعية الواحدة التي تقبل شهادتها فيها
لا على الاطلاق ولا على سبيل تقليدها القضاء .

هذا ؟ وقد اصدرت لجنة الفتوى بالازهر فتوى هامة قيمة استعرضت فيها حقوق
المرأة في الاسلام وقد دونها في آخر الكتاب .

(١) هي كريمة علاء الدين محمد السمرقندى مؤلف كتاب « محفة الفقهاء »
وروحة ابي بكر بن مسعود بن احمد علاء الدين الكاسانى مؤلف « بدائع الصنائع
في ترتيب الشرايع » وهو شرح النخبة الآمنة الله ذكر . ولذلك قيل : « شرح نعمته
وروح ابنه » . وكانت رحمهما الله على صاحب تنظيم من الحسن والحسين طلبها الملوك
ولاسماء والكنى أباهما آثر الكاسانى لاجلها كتابه المذكور وجعله مهرا . وكان
ثلاثهم يقيمون بمنزل في كاسان ويعتقون الناس ثم انتفخوا الى حلب وكان الكاسانى
يرجع الى روحته في المسائل التي تشكل عليه وهى محلها له . وقد أرادوا ان يعودوا
الى كاسان ولكن عدل الزوج والروحة ساء على رضاء الملك العادل نور الدين
الشمس . وماتا في حلب

وضريحهما في المقبرة المعروفة بقصور الصالحين ومشهور بين الجمهور بـ « قبر
المرأة وروحها » راحة الله عليهم .

المرحوم الاستاذ محمد ذهني (١) النساء اللاتي اشتعلن بالفتيا والوعظ في كتبه
وعشاهير النساء .

وأما الاجتهاد (٢) في اشتراطه آراء مختلفة ، فالرأى المصور الصحيح
أنه شرط الاولوية ولاشك انه اذا كان هناك من جمع الى الشروط الاخرى
القدرة على الاجتهاد فهو اولى بتقليد القضاء من جميع الوجوه . واما اذا لم
يوجد من يقدر على الاجتهاد فالضرورة يختار من الموجودين اذ لا يصح
أن يترك مصب القضاء شاغراً مادامت مناسبات الانسان مع احبيه الانسان

(١) هو الاستاذ محمد ذهني بن القاعقام المللكي [= المدني] محمد رشيد ولد في
استانبول ١٢٦٢ هـ ، ١٨٤٦ م وسدان اتم دراسته العلمية توفراً على اللغة العربية خذها
واشتغل بتدريسها في المدارس الحكومية وترجم كثيراً من الكتب العربية الى اللغة
التركية فأدى الى الفتيان خدمة جليلة يشكر عليها . وله مؤلفات كثيرة في النحو
والصرف والفقه كلها باللغة التركية وذكر منها على سبيل المثال : المتخف في تلخيص
لغة العرب ، والقول الجيد : مرج فيه شواهد اطول والتجسيم لتفتاراسي ، والقول
السديد في علم التوحيد ، العار فقيهه ، سمة الاسلام كتاب في الفقه مشتمل على
العبادات والنكاح والطلاق ، وترجمة المار في اصول الفقه ، وترجمة أطواق الذهب
للزمخشري وغيرها .

وكان رحمه الله جمع الى علمه العرير وثقافته الواسعة الورع والزهد وحسن
الخلق وتوفي في ١٨ المحرم ١٣٣٢ هـ ، ١٩١٤ م ودفن بمقبرة مسجد « كوطبيخه »
في حي « بكنرمكي » باستانبول . رحمه الله عليه .

(٢) الاجتهاد هو ذلك الفقيه ما يسه من الجهد لاستنباط الاحكام الشرعية من
أدلتها ويشترط لذلك ان يكون صاحب حديث له معرفة بالفقه يعرف معاني الآثار
او صاحب فقه له معرفة بالحديث لكيلا يشتغل بالقياس في النصوص عليه . ولا بد
مع هذا من ان يكون صاحب قريحة يعرف بها عادات الناس لان كثيراً من الاحكام
تبنى عليها . وهناك اقوال اخرى في تعريف الاجتهاد .

مستمرة استمراراً يؤدي الى حدوث خصومات تحتاج الى الفصل فيها وكذلك من شروط الأولوية أن يكون القاضى واقفاً على تقاليد المجتمع وعادات الناس وعالمياً بمعاشرتهم ورعاً عفيفاً من التهمة وصائراً النفس عن الطمع . وكان القصة في صدر الاسلام يختارون من تتوافر فيهم هذه الاوصاف الجيدة الا من ندر

وكان من الجائز أن يكون القاضى واحداً واكثر حسب ما تدعو اليه الحاجة . والجهات التي يكون قصتها متعددين كل يحدد لكل منهم دائرة عمله في المال وقد لا تحدد . ويذكر على سبيل المثال مدينة بغداد كان اسماعيل بن حماد يقضى في القسم لشرقي منها وابو يوسف في غربها . والقصة الذين حددت دوائر أعمالهم إنما يطورون في الدعاوى التي تحدث فيها . واما اذا لم يكن قد حددت مكان للمدعى ان يرفع قصته الى من شاء منهم وليس للمدعى عليه في هذه الحالة ان يقول : اريد ان تنظر هذه القضية في دائرة قاض آخر غير الذي اختاره المدعى . واداً فرض الى القاضى سلطة الاستحلاف كان له ان يندب أحداً لفصل في القضية بالية عنه اذا حدث له عذر يمنع من النظر فيها بنفسه او اقتضت ظروف القضية النظر فيها في مكانها كقضايا الاموال غير المقولة وبسمى هذا المدبوث نائب القاضى .

وكانت السلطات التي يباشرها القصة هي هيال الخصومات الناشئة بين الافراد بعضهم البعض او بينهم والحكومات . والحجر على الشعب من سفسه او لغيره من الامتياز الموحدة له . وهب الوصى على القصة وحفظ اموالهم .

هذا : ولم تكن سلطاتهم في مستوى واحد من الشمول في كل عصر و زمان ففي بعض الدول الاسلامية عهدت اليهم أعمال اخرى غير ما تقدم ذكره .

القضاء يتقيد بالزمان والمكان ويتخصص وبيان ذلك أن القاضي المصوب لمدة سنة مثلاً يقضى في تلك السنة فقط ولا يقضى قبل حلولها أو بعد مضيا . وكذلك القاضي المنصوب ليقضى في جهة معينة أو في محكمة معينة إنما يقضى في تلك الجهة أو المحكمة وليس له أن يحكم في غيرها . وإيضاً إذا منع ولي الأمر القاضي من سماع دعوى في حادثة لاعتبارات تنص بالمصلحة العامة فليس للقاضي أن يسمع الدعوى المذكورة وكذلك إذا حددت الحوادث التي يفصل فيها فله أن يفصل فيها وحدها دون غيرها من الحوادث . ومن أجل ذلك قد أشي في بعض الدول الإسلامية منصب « قاضي المسجد » محدودة السلطات فكان قضاء المسجد يجلسون في المسجد الجامع الذي تقام فيه صلوات الجمعة والعيدين ويطرون قضايا الديون من مائتي درهم إلى عشرين ديناراً وقضايا العققات وغيرها من القضايا الصغيرة وكانوا تحت إشراف لقاضي إدارياً .

وفي صدر الإسلام أي قبل ظهور المذاهب كان القضاة يحكمون باحتياطهم أعنى أنهم كانوا يمتدنون في الحوادث التي لم يرد فيها نص في الكتاب والسنة ولا الإجماع ويحكمون بما أدى إليه اجتهدهم من ما أدى إليه اجتهد المجتهد هو الحق عند الله طاهرأ فيجب عليه أن يعص ويحكم به وإن خالف رأى غيره من المجتهدين .

وكانت الأحكام التي يصدرونها حسب اجتهدهم محترمة لا تنقص حتى من طرف الخليفة إلا أن يخالف الكتاب أو السنة المشهورة أو الإجماع بأن يكون قولاً لا دليل عليه (١) وله أمثلة كثيرة في تاريخ قضاء .

(١) والأصل في ذلك أن القاضي إذا كان ممن عور « مؤلفه » لا يجوز له أن يوسع فيها الاجتهاد لم يحرم الخليفة ولا أحد من القضاة نقضاً لأن الاجتهاد الثاني مثل الاجتهاد

ثم ظهرت المذاهب كذهب مالك وإبي حنيفة والشافعي ورحمهم الله وكان أكثرها انتشاراً في الأول مذهب مالك والشافعي فكان مذهب الشافعي في مصر والشام وحلب وإيران وخراسان . وكان مذهب مالك في شمال إفريقية والاندلس (١) . ومذهب إبي حنيفة نشأ بالكوفة فأخذ ينتشر رويداً رويداً حتى شرق وغرب فكان في مصر وسوريا والعراق والآنصول وما وراء النهر والهند والصين وعقليه . ويقال إن لسبب في عدم انتشار المذهب الحنفي بمصر (٢) في الأول هو رأى الامام إبي حنيفة في الوقف فانه رحمه الله كان

== الأول وقد ترحح الأول بالسبق لاتصال القضاء به فلا يقض بما هو دونه . وروى أن شريحاً قضى قضاء حاتم فيه عمر وعياً رضى الله عنهما فطلب ذلك ولم يقضاه لوقوعه من قاص حائر الحكم في يسوع فيه الاحتياط .

وصح ان عمر رضى الله عنه لما كثرت اشغاله فبعد القضاء أبا الرداء واحتصم اليه رجلا من قضى لاحدهما ثم لقي عمر القضى عليه فسأله عن حاله فقال : قضى عبي . وقال : لو كنت مكانه قضيت لك . قال وما يمنعك من القضاء . قال : ليس بها نص والرأى مشترك .

(١) ولعمدوخ الشيرازي حليون المالكي رأى في انتشار مذهب الامام مالك رضى الله عنه في شمال افريقية والاندلس تذكره تلام من مقدمته : « » وإيضاً فالدعوة كانت عالية على اهل العرب والاندلس ولم يكونوا يعاونون الحصاره التي لاهل العراق وكانوا الى اهل الحجار أميل فتناسبة البداهة ولهذا لم يزل المذهب المالكي عصاً عندهم ولم تأخذ تنقيح الحصاره وتهديها كما وقع في غيره من المذاهب . « . . . » ويقال ان اهل المغرب كانوا على مذهب داود الطاهري والقيت وسيد قدوم منذر بن سعيد انتقلوا الى مذهب مالك تبعاً له .

(٢) ولي المهدي قضاء مصر اسماعيل بن البيع الكوفي . وكان يرى ابطال الاحباس [= الاوقاف] كما يرى ابو حنيفة . ولم يكن ذلك سائفاً لدى همها مصر ولذلك ذهب اليه الليث بن سعد فمصر وقال له : حش محاصراً لك ، فقال وبادرا =

لا يقول بلزوم الوقف وبعده غير لازم كالعارية يصح للواقف او لورثته الرجوع عنه (١) وهذا مخالف للأثار واعمال السلف في صدر الاسلام .

وقد أمضى الامام الشافعي آخر عمره بمصر فكان له اثره في انتشار مذهبه فيها وفي الشام انتشاراً واسعاً وكان اكثر علماء وقتها هذه الجهات شافعيين .

كان القضاء احراراً مستقلين يصدر عن الاحكام بما أدى اليه اجتهادهم من غير ان يكون اى صعط او تأثير من اولى الامر ليحكموا بمذهب دون مذهب . وقد اختلف الفقهاء هل يجوز ان يشترط على القاضى حين تقلبده القضاء ان يقضى بمذهب معين او لا يشترط ؟ فذهب بعضهم الى الجوار وقال آخرون ان هذا الشرط لمؤ . وقد عرّض سيدنا عمر رضى الله عنه لهذه المسألة في كتابه المسمى بكتاب السياسة ، (٢) اذنى وجهه الى قاضيه في

قال في إطلاق أحياس المسلمين وقد حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وغلى والربيع من بعد ثم كتب للمهدى كتاباً كان من نتيجته أن عرّله للمهدى .

(١) الا انه اذا حكم به القاضى كما هو الواقع في سائر عقود الاوقاف الآن يصير لازماً فليس للواقف ولا لورثته من بعده انطاله والحكم يرفع الخلاف . واما على مذهب ابي يوسف فان الوقف عنده كالعتق يجمع اسقاط الملك في كل فيلزم قبل المبيع والافرار . وعلى مذهب محمد فالوقف عنده كالركاة لا يتم الا بالمبيع والافرار .

(٢) من معاني السياسة الارشاد الى الحق ولما كان هذا الكتاب يتضمن اصوله انصاء النبي ترشد القضاء الى الحق والصواب سمي كتاب السياسة والذي سماه بهذا الاسم هو الامام محمد بن الحسن . وقد ذكر هذا الكتاب في كتب الحديث والفقه والادب بطرق اختلفت الماظم ابحاراً واطباباً وتقدبماً وتأخيراً واعدت معانيها وقد احترنا رواية الكدار قطبي في سنده في الاغضية نقلاً عن حسب الراية لاحاديث الهداية : —

النصرة الى موسى الاشعري . هذا : وحكم القاضي بما يؤدي اليه اجتهاده انما يتصور فيمن يقدر على الاجتهاد وأما العاجز عنه فيعتبر فيه ان يتقيد في احكامه بمذهب معين كما هو رأى بعض الفقهاء .

قلت : انما إن الامام الشافعي أمضى آخر عمره مصر وانتشر مذهبه أكثر ما انتشر فيها ولذلك كان قضاة مصر يختارون من علماء الشافعية وكان القاضي فيها واحداً من الفتح الاسلامي الى سنة ٥٢٥هـ وفي هذه السنة نصب

== « عن عبيد الله بن ابي حميد عن أبي الليث الهذلي ، قال : كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري ، أما بعد : فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فاقمها اذا أدلى اليك فانه لا يرفع تكلم بحق لا نقاد له وآس بين الناس في وجهك ومحبتك وقصائلك حق لا يأس الضعيف من عدلك ولا يطمع الشريف في حيلك البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح حائر بين المسلمين الا صدقاً أحل حراماً او حرم حلالاً لا يبعثك قضاء قضيتك راحته فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن تراجم الحق فان الحق قدس ومراجعة الحق خير من الهادي في الناطل ، الفهم فيما يختلج صدرك بما لم يبلغك في الكتاب والسنة اعرف لاشياء والأمثال ثم قم في الامور عند ذلك فاعمد الى احبها الى الله وأشبهها بالحق فما ترى احمل للمدعى امداً ينهي اليه فان احصر بيته أحد نحوه والا وجهت القضاء عليه فان ذلك احب للعمى وأبلغ في العذر لتسلمون عدول بهم على حق الا محدود في حد او محراً في شهادة زور او ظليلاً في ولاء او امرأة ان الله تعالى تولى معكم السرائر ودرأ عنكم بالبيات ثم أياك والخلق واصبر وانأدي بالناس والتسكن للخصوم في مواطن الحق الذي يوجب الله بها الآخر ، ويحسن بها الذكر فانه من صلح بينه وبين الله تعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن رين للناس بما يعم الله عنه غير ذلك يشبه الله فما طلبك بشواب غير الله في عاجل رزقه وحرث في رحمة والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »

أحمد بن الفضل وزير الحافظ لدين الله الفاطمي أربعة قصاة : شافعي ، مالكي
اسماعيلي ، امامي وقد نصب كلا منهم بشرط أن يحكم بمذهبه . وبعد انقراض
الدولة الفاطمية استمر نصب القصاة من الشافعية وفي عهد الملك الصاهر نصب
إلى جانب القاضي الشافعي قصاة من الحنفية والمالكية والحنابلة ولكن كان
القاضي الشافعي يتقدمهم وكذلك كانت الحالة في سوريا وحبلاً أيضاً وطلت
هكذا إلى أن فتح العثمانيون مصر وفي عهدهم إلى النظام المار الذكر برسوم
[فرمان] أصدره السلطان سليمان القانوني واستبدل به نظام إرسال قاضي
عسكر من استانبول يعين من قبله بواياً أربعة من المذاهب الأربعة واستمر
هذا النظام إلى أن ولي أمرها محمد علي باشا وفي عهده إلى برادة سلطانية
فوحّد القضاء وأصحت الأحكام صدر وقتاً ليهذب الحسب .

الاحتساب :

وفي الإسلام مؤسسة إسمها الاحتساب واختصاص هذه المؤسسة بحسب
الاص لا امر بالمعروف والنهي عن المنكر شرعاً ومعاقبة المخالفين .
بعد الاحتساب من الأعمال لتصايفه إلا أن القضاء أعم وأشمل
والاحتساب محدود بالاختصاص ومقتصور على أمور لا يتجاوزها إلى غيرها ،
وكان العمل المنوط بالمحتسبين أن يضفوا بالأسواق والفرق ويمنعوا
ما يشاهدونه من الأعمال المخالفة لأحكام الشريعة ويمنعوا الناس أن يحموا
النواب والسفن والجمالين ما لا صاغة لها من الاحمال والأثقال ويأمروا
أصحاب البيوت والحيضان الآلة بلسقوط أن بصاحبها أو يهدمها تفدياً
لوقوع الحوادث والأخطار . إذا أهمل إصلاحها وأن يحولوا دون المشي في
أقواب الناس من المأكولات والمشروبات . ويمنعوا استعمال موارد

ومكاين ناقصة وما أشبه ذلك من الأعمال التي تقوم بها الآن المؤسسة التي
أصطلحنا على تسميتها « البلدية » .

كان الاحتساب موجوداً في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهود
خلفائه الراشدين رضي الله عنهم كوظيفة مستقلة ، وقد عين الرسول سيدنا
عمر محتسباً بالمدينة وسعيد بن سعد العاص محتسباً بمكة . وقد اهتمت بعدم
الحكومات الاسلامية بشئون الاحتساب وعينت عمالاً وموظفين ليقوموا
بأعبائه .

والاحتساب في أصله من أعمال القضاء كما أسست الإشارة إليه ولكن
رؤى إسناد هذا العمل الى موظف آخر وذلك احتراماً لمركز القاضي الذي
يقوم بأعمال هامة كالفصل في الخصومات وغيرها ، وصيانة لكرامته أن
تفتذل بالطواف بالأسواق والقرى . ومع ذلك يحدثنا التاريخ أن أعمال
الاحتساب عهدت الى القضاة في بعض الدول الاسلامية كالسولة الفاطمية
بمصر والاموية بالاندلس .

هذا ؛ وإن اسناد أعمال الاحتساب الى موظف مستقل او الى القضاة
ليس بما يتعلق بالاساس والجوهر فانه من الامور التي ترك اسدها - في
تشكيلات الدولة - الى من بيده الامر يعبر من يشاء وفقاً لمقتضيات الحال.

باب العمل :

وهناك عمل آخر يتبع القضاء وهو التسجيل والأشخاص الموط بهم
هذا العمل يسجلون في سجلاتهم ما يحدث بين الناس من المعاملات
والمقاولات وكتائب العدل يسجلون المعاملات والاتفاقات التي تحدث بين
الناس في سجلاتهم وفقاً للوجه الشرعي وكما حدث من غير زيادة على ما يجب

أن يكتب ولا نقصان عنه . وشهدون أمام القاضي أو يقدمون بياناً عن الحادثة التي سجدوها إذا مست الحاجة الى شهادتهم أو بيانهم .

والاصل فيه قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا تدانتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه . . . فليكتب بينكم كاتب بالعدل . » الآية . ولما كان هذا العمل يتصل بالمصالح العامة رأت الحكومات الاسلامية كالاموية والعباسية أن من واجبا تعيين كتاب العدل في كل مكان حسب ما تدعو اليه الحاجة فميلتهم بالعمل . ويشترط فيمن يعهد اليه هذا العمل أن يكون فقيهاً ورعاً صالحاً عدلاً واقفاً على قواعد الصك والتسجيل . ومن لم تتوافر فيه هذه الاوصاف والشروط لا يعين كاتب العدل فان من لم يتصف بالعدل والامانة لا يؤمن أن يحرف الحوادث ومن لم يكن فقيهاً واقفاً على قواعد الصك والتسجيل لا يقدر على تسجيل الحوادث والمعاملات وفقاً لشروطها فلا تتحقق العاية المنشودة من كتابة العدل فيلحق الضرر بذوى الشأن .

وقيل الفراغ من هذا البحث يحسن بنا أن نعرض للشرطة أو الحاكم العرفي إذ يوجد في عهد الفاتح الذي ندرس حياته العدلية وفي العهد الذي سبقته حكاه يشبهون الحاكم العرفي . وفيفيدنا البان الذي يقدمه في هذا الصدد عند ما نبحث فيما اذا كان هؤلاء الحكام صلة بالمصالح او لا ؟

وظيفة الشرطة (= الحاكم العرفي)

هي تنفيذ الاحكام الصادرة من قبل القضاة واتخاذ تدابير من شأنها أن تحول دون حدوث الجرائم ، وتعزيز المتهمين والمشبهين .

والشرطة بحسب الاصل من المؤسسات التابعة للقضاء ولكنها عهدت الى حكاه وموظفين مستقلين في بعض الدول الاسلامية الماضية كما أسندت إليهم رؤية قصايا الحدود والقصاص مع تنفيذ الاحكام الصادرة فيما ثم ردت هذه السلطة إلى القضاة مرة أخرى .

الفرو بين القضاء والشرطة :

وغير خاف أنه لا يعاقب أى شخص بناء على مجرد الظن والشبهة ما لم تثبت عليه التهمة ثبوتاً شرعياً وفقاً لأحكام الشريعة ومن هنا نشأ الفرق بين القاضى والشرطة . فالشرطة أن يعاقب المتهم بناء على الظن والقرائن وليس للقاضى أن يصدر حكمه لمجرد الظن . ومع ذلك فالمسألة تختلف فيها : هل يجوز للقاضى أن يحكم بناء على عليه الخاص واستناداً الى القرائن والأمارات او لايجوز ؟ فذهب بعض الفقهاء الى جوازه ولكن الرأى الصحيح المأمول عليه عدم الجواز .

الفصل الثالث

المحاكم والقضاء

ومستووم في الدولة العثمانية وعهد نفايح

كان لا بد من أن نلم بالقضاء وبين أهميته في الاسلام والمراحل التي مرت به لكي نفهم محاكم الدولة العثمانية وتشكيلاتها فانها كانت دولة اسلامية سارت في شئونها كلها على المنهج الاسلامي وتأسست محاكمها على الاسس الاسلامية سواء من ناحية التشريع او التشكيلات كما هو الشأن في سائر الدول الاسلامية مثل الامويين والعباسيين وأحسبى قدمت فكرة ، واو احمالية ، في هذا الصدد بما أسلفته من البيان .

كانت نظرة المسلمين الى شريعتهم نظرة إجلال وتقديس وفكرتهم عن أحكامها المدونة في الفقه فكرة امتزجت بالعقيدة الدينية ورسخت في قلوبهم واستولت على ضمائرهم ومشاعرهم . وأما شريعتهم التي تطروا ليها هذه النظرة واعتقدوا فيها هذه العقيدة فكانت من سعة الدائرة وشمول أحكامها المستندة الى الحق والعدل بحيث تحيى جميع مطالب الحياة الاجتماعية وتحل كل المشاكل التي تحدث في المجتمع وتصلح لكل زمان ومكان ولا تدع حاجة الى البحث خارج دائرتها الواسعة عن شيء آخر يحقق العدل والحق .

وبهذا الشعور والايمان كان الجميع حتى الخلفاء والملوك يقابون أحكام المحاكم بالسمع والطاعة والترحيب وعن طيب خاطر . وكان الكل : الغني والفقير ، القوي والضعيف يحدون أمامها المساواة التامة .

ويتمش شعورهم هذا في مثلهم القائل : « لا تألم الاصبغ التي تقطعها الشريعة » .

ويمثل هذه الروح ، وفي جو من هذه الثقة إبتدأ السلطان عثمان الغازي باني الدولة العثمانية عمله بتعيين قاص قبل كل شيء وجعل سلطة الدولة القضائية تعمل وتتشط وكان اول قاص ولاء هو الفقيه طورسون^(١) .

وكان لابد من أن تكون هذه السلطة في أيد نزيهة ذات كفاءة حتى يمكن اجراء القضاء في الحدود التي رسمتها الشريعة الاسلامية وتحقق العدالة اذ ليس من الممكن الوصول الى العاية المنشودة باناس لا يدركون أهمية القضاء في المجتمع ولا يفقهون روحه ، ومن أجل ذلك كانت هذه البقعة قد استأثرت بأكثر قسط من العناية والاهتمام .

وفي بدايه قيام الدولة كان لقضاة العثمانيون يختارون من العلماء القادرين على الاصطلاح بأعباء القضاء ممن نشأوا في البلاد الاسلامية مثل الاناضول ومصر وسوريا ويران . هذا من جهة ومن جهة اخرى كان يفتح المدارس في المدن الكبيرة مثل إربيق^(٢) وبروسه لتخرج العلماء والقضاة . وبعد فتح

(١) هو من بلدة « قرمان » بالاناضول وسهر العالم الكبير والصوفي الشهير الشيخ إبدالي حمى السلطان عثمان . تلقى مبادئ العلوم في الكتائب ثم قرأ على الشيخ إبدالي الحديث والتفسير والاصول وانعزوع فاستخدمه السلطان عثمان بدوفاة حميما في وظيفة التدريس والافتاء وعينه مستشاراً له يستشير في الشؤون الدينية وسائر شئون الدولة الهامة . ونسبه قاصياً لقر حصار وأمره أن يحطبه باسمه .

تاريخ الحقاء ج ١١ وتاريخ عاشق پاشا راجع

(٢) اول مدرسة انشئت في بداية الدولة العثمانية هي مدرسة « إربيق » أنشأها سلطان اورخان الغازي لتخرج كبار العلماء والقضاة . وبالفعل قد تخرج فيها كثير من النوابغ منهم العالم الكبير خليل الاسود الجدرى .

امتثالاً لول اتسعت البلاد من جميع النواحي فتأسست امبراطورية عظيمة
فاقتصى هذا الوصف الجديد الدولة مضاعفة العناية بشئون التعليم والقضاء
فأشأ السلطان محمد الفاتح مؤسسة علمية كبيرة في عاصمة الدولة الجديدة (١)
وكان ذلك سنة ٨٧٥ هـ وكان المرض الذي يرمى إليه السلطان من إنشاء هذه
المؤسسة تخريج علماء متبحرين في العلوم كلها خصوصاً في العلوم الدينية التي
من أهمها الفقه .

وما كان يختار للتدريس في هذه المدرسة الا علماء أحناء واول من تولى التدريس
فيها هو داود القيصري ثم تاح الدين السكردري وهذه علاء الدين الاسود . وكان
السلطان اورخان يستفتيهم ثم ورستم الاسود كلما دعت الحاجة الى الاستفتاء .

(١) يحدثنا التاريخ ان السلطان محمد الفاتح كان يطوف بالمدارس في وقت متأخر
من الليل ويتفقد الطلاب ليعلم المحمد منهم وعبر المهند فيكافى المحمدين . لم يعهد
أن حاكماً من الحكام بلغ به حب العلم هذا اللغ .

ويروى أنه أراد أن يحصل على حجرة في إحدى المدارس الثمان التي أشأها فقال
له ماطر المدرسة : عليك بالامتحان لتحصل عليها كما يقضى به شرط الواقف . فأداه
سجاح وحصل على الحجرة ويؤثر عنه انه قال حيث : « لتكن لي حجرة على الاصل
أسكنها إذا خلعت يوماً ما من الحكم » وكانت هذه الحجرة - على ما يروى بين
الأساندة والطلاب رواية نكاد تكون متواترة هي الحجرة الاولى الكائنة على
يسار الداخل من باب المدرسة المعروفة بـ « ماش فورشولوى » (= سرويلوى) وهي
إحدى المدارس الاربع الكائنة في حية البحر الاسود . وستنكم على هذه المدارس
قبلاً سيأتى .

وكان رحمه الله يستقبل زواره في هذه الحجرة كلما رار المدارس . وكان له فيها
مقطة و « چكجه » (*) مطعمة بالصدف وقد فقد هذا التراث الثمين في المدة الأخيرة

(*) هو صندوق صغير ذو أذراج من غير قوائم يستعمل ككتب .

وقد أدرك محمد الفاتح أن لا سبيل إلى تحقيق هذا العرض إلا بكبار العلماء والاساتذة فاستقدم من البلاد الإسلامية الأخرى نواع العلماء مستعملا معهم جميع أساليب الأقران والتشجيع وبأذلالهم ضروب العطف والتكريم حتى أنشأ في عاصمة مملكته جامعة علمية كبيرة نموذجية .

وما هي الا فترة قصيرة من الزمن حتى تحقق الغرض فنشأ عدد لا يحصى من العلماء والفقهاء والشعراء ورجال الفن والأدب كما نرى أسماءهم في كتب التاريخ والتراجم . والواقع أنه كانت هناك مكاتب ومدارس قبل الفاتح انشئت في أنحاء البلاد من قبل الأفراد والجماعات ولا سيما بطريق الوقف كما كان عدد لا يحصى من المكاتب والمدارس المتخلفة من الدولة السلجوقية والإمارات التي قامت على أطلالها . ولكن هذه المعاهد العلمية على كثرة عددها لم تكن كمدارس محمد الفاتح لا في نظمها ولا في أساتذتها الذين تولوا التدريس فيها .

فمن هذه المدارس نكسار أساتذتها وبرامجها الواسعة النطاق كانت تنشأ جامعة علمية لم يكن لها مثيل في أي مكان آخر (١) هذا ؛ وقد انشئت عقب فتح القسطنطينية - وقبل إنشاء مدارس الفاتح - مدرستان آياصوفيه، وهن يرك، وأول من تولى التدريس بمدرسة آياصوفيه، هو

(١) نعم إن المدرستين اللتين أنشأهما الوزير الشهير نظام الملك في بغداد ونيسابور كانتا أكبر جامعتين في العالم في ذلك العهد وقد تولى التدريس فيهما أساتذة ذوو شهرة عالمية من أمثال أبي اسحاق الشيرازي وأبي النصر الصبّاح وأبي قاسم الديوبسي وأبي حامد الغزالي وفخر الإسلام الثنائي والامام السهروردي وكان الأسارى وامام الحرمين . ونخرج على أيديهم كبار العلماء والشعراء والعسكريين أمثال الشيخ سعدى =

المولى خسرو وكانت هذه المدرسة ينبوع علم فباصر تفوق المدارس الموجودة في ذلك العهد بفضل مدرسيها ذلك العالم الكبير ومساعديه الأفاضل وقد احتفظت بمركزها العلمي الممتاز منين عديدة الى أن تمت تشكيلات مدارس الفاتح .

يروى لنا التاريخ ان الفاتح كان يلاحظ من قصره القريب من مدرسة «آياصوفيه» أن إحدى حجرها تطل مضاءة طوال الليل فسأل يوماً عن الطالب الذي يسكن هذه الحجرة فعرف أنه محي الدين بن مصيباً فكافأه على اجتهاده بأن اختاره فيما بعد مدرساً للمدرسة وزيه محمود (باشا) . وقد تخرج

== الشيرازي وقد تولى هو ايضاً وطبعة الأستاذ مساعد . وكان يدرس في هاتين المدرستين جميع فروع العلم والمعارف ويرحل اليهما عشاق العلم والمعرفة من كل حاش . ولكن مدارس الفاتح عوفهما وأمتلها بما لها من الراج الواسعة النطاق والظم الدقيقة في امتحان الطلاب والتلاميذ .

ومدارس الفاتح وان كانت تذكرها ما صيها المحيد بما صيها الآيلة للحراب (*) ولكن النظامية قد أتت عليها يد الزمن المغرة ولم تبق منها ثراً يستدل به عليها وإنما بقيت ذكرها في القلوب وسجل اسمها في التاريخ .

وما دمنا نذكر العهد العاليية فخير ما أن نذكر الازهر الشريف بالحد والشكر فانه حفظ التراث الاسلامي عدة قرون ولا يزال يؤدي رسالته العلية وينشر العلوم الدينية والعربية ويختص من يرسل اليه من طلاب العلم من أنحاء البلاد الاسلامية ويتمهم ثقافة علمية دينة فهو المعهد العلمي الديني الوحيد الذي بقي في العالم الاسلامي حفظه الله وأدامه إلى يوم الدين .

(*) وأحمدت الحكومة التركية في العهد الأخير ملكاً كذا برغم هذه المدارس

في مدرسة « آياصوفيه » كثير من أفاضل العلماء ذكرت تراجمهم في الشقائق . وكانت مدرسة « زيرك » كمدرسة « آياصوفيه » ذات شهرة كبيرة بكبار أساتذتها وطلابها وكانت أول مدرس فيها هو المولى زيرك من كبار علماء عصره أخذ العلوم من العالم الكبير ولصوفي الشهير الحاج بيرام دوين آقره وهو الذي لقبه زيرك ومعناه القطن الأملح لما شاهد فيه من أمارات السوع وشدة الذكاء . وكان يدرس بمدرسة السلطان مراد خان بمدينة بروسه قبل أن يعين بالمدرسة المائة الذكر .

وقد حرت بينه والمولى حواجه زاده مناظرة علمية استمرت سبعة أيام وانتهت باعتبار أنه فقد القضية فعزله لسلطان من وظيفة التدريس وعين مكانه حواجه زاده وقد تأثر المولى زيرك من ذلك فإرجع القسطنطينية الى بروسه وأمضى بقية عمره فيها . والظاهر أن لسلطان ندم أحياناً على سلوكه معه هذا المسلك فدعاها الى استاوسل باذلاله الوعود ولكنه اعتذر عن عدم قبول الدعوة . وفي رواية أنه أسد اليه منصب الافتاء في بروسه في أواخر أيامه بمرتبة يومى قدره مائة آقجة وتوفى وهو يشغل هذا المنصب ودفن في مكان يسمى « بيكارباشي » [رأس السنوع] بمدينة بروسه .

ومن أراد الحصول على تفصيلات أكثر في هذه المدارس فليراجع كتاب « استاوسول او نيورسته سي تاريخه » باشلانفج ، [= التمهيد لتاريخ جامعة استاوسول] لمؤلفه الباحث الجليل الأستاذ سهيل أنور .

وبينا كانت هذه المدارس تعمل لأداء رسالتها العلمية فانرى مؤسسات أخرى علمية أشتت بداخل القصر السلطاني وعرفت بمدارس « أندرون همابون » (١) تعمل هي أيضاً لتخريج رجال الجند والادارة والصناعة

(١) « أندرون » كلمة فارسية معناها الداخل . وقد عرفت معنى « همابون » =

كانت مدينة بروسه هي المركز العلمي قبل فتح القسطنطينية وقد انتقل هذا العنوان العلمي إليها بعد الفتح .

والواقع أنه كان هناك علماء أعلام قبل إنشاء مدارس الفاتح تخرجوا في دور العلم الكائنة في قرمان وقونية وإزنيق والشام ومصر وسائر المدن الإسلامية من أمثال الشيخ إداي وخليص الأسود وجمال الدين الأقسرائي والمولى الفناري والمولى الكوراني والمولى خسرو والمولى خضر بك تدين لهم الامة الإسلامية بالاحترام البالغ لما تركوا من آثار علمية خالدة إلا أنهم كانوا قلة . وبعد إنشاء مدارس الفاتح أصبحوا كثرة تستعصى على العد .

مراحل التعليم :

وفيما يلي نذكر مراحل التعليم والنظم الدراسية المتبعة بمدارس الفاتح :

مرحلة أولى	وتسمى	الخارج
» ثانية	»	الداخل
» ثالثة	»	موصلة الصحن
» رابعة	»	الصحن

نظام التعليم بهذه المدارس وانتقال منه مرحلة الى اخرى كان على الطالب الذي يريد الانخراط في السلك العلمي أن يواظب أولاً

== فيما تقدم من ٤٨ سجل لنا التاريخ أسماء ستين صدر أعظم وثلاثة شيوخ الاسلام وثلاثة وعشرين قائداً بحرياً تخرجوا في مدارس « أندرون » ويقاس عليهم غيرهم من الرجال الذين تخرجوا فيها . وكان الاساتذة الذين تولوا التدريس فيها من أمثال المولى سراج الدين والمولى حميد الدين واحمد باشا والمولى مصلح الدين وغيرهم ممن كانوا في مستوى مدرسي الصحن في العلم والفضل .

على حلقة تدريس عالم في إحدى المدارس المعروفة بمدارس الخارج ويدرس عليه مبادئ العلوم ثم يلتحق - بتوجيه أستاذه - بأحدى مدارس الداخل ويدرس فيها على عالم آخر العلوم العالية المقررة فيها (١) حتى إذا أتم دراسته فيها خول له ذلك حق الالتحاق بمدارس الصحن ولكن لا مباشرة بل بعد أن درس العلوم المقررة في إحدى المدارس المعروفة بموصلة الصحن التي كانت بمثابة قسم اعدادى بالنسبة لمدارس الصحن (٢) .

(١) لم نثر على البرامج التفصيلية وفروع العلم التي كانت تدرس في هاتين الرحلتين وإنما يستنتج من كتب التاريخ أن المرحلة الأولى كان تدرس فيها مبادئ العلوم الدينية والرياضية والطبيعية وتسمى دروس الخارج . والمرحلة الثانية كان تدرس فيها مقاصد هذه العلوم ولا سيما الفقه وتسمى دروس الخارج .
وعما لا شك فيه أنه كان يشترط فيمن يريد الالتحاق بالمرحلة الأولى أن يكون متعمداً في المدارس الابتدائية ويكون على قسط من المعلومات العامة في اللغة العربية وسائر العلوم التي تدرس فيها . ويؤخذ أيضاً من المعلومات انقصة الواردة في كتب التاريخ أن المدارس التي أنشأها السلاطين كمدرسة أبي أيوب الانصارى وغيرها كان تدرس فيها العلوم المقررة في المرحلة الثانية والمدارس التي أنشأها الوزراء مثل مدرسة محمود (باشا) تدرس فيها العلوم المقررة في المرحلة الأولى . ومع كل هذا لم نجد تفاصيل نظمها إليها في هذا الصدد .

(٢) كلمة الصحن لها عدة معان في اللغة منها وسط الدار . والدار كما تطلق على المنزل والبيت تطلق أيضاً على الدلة والمدينة . فسميت هذه المدارس صحناً لأنها اشتمت في وسط المدينة . وهناك رأى آخر يذهب الى أن للدار مشار إليها سميت بهذا الاسم لأنها في ميدان محيط بالمسجد ولكن اذا نظرنا الى الاماكن التي توجد فيها المدارس يترجح الرأي الاول .

واما تسمية مدارس موصلة الصحن «تمة» فلأنها طريق الى مدارس الصحن =

ومدارس الصحن هذه هي المدارس الثمان المبينة حول جامع الفاتح وتسمى الصحن الثمان ومستكلم عليها قريباً ، واما مدارس موصلة الصحن فهي ثمانى مدارس صغيرة اخرى تسمى « تنمة » بنيت خلف المدارس الثمان المشار اليها اى اربع منها خلف المدارس الكائنة بجهة البحر الابيض وأربع خلف المدارس الكائنة بجهة البحر الاسود ويبلغ عدد مدارس الصحن وموصلة الصحن كلها ست عشرة مدرسة .

وفى وقفية الفاتح سميت مدارس الصحن الثمان بالمدارس العالية وسميت مدارس التنمة بالمدارس الصغرى .

وكان على الطالب لى يمتاز من مرحلة الخارج الى مرحلة الداخل

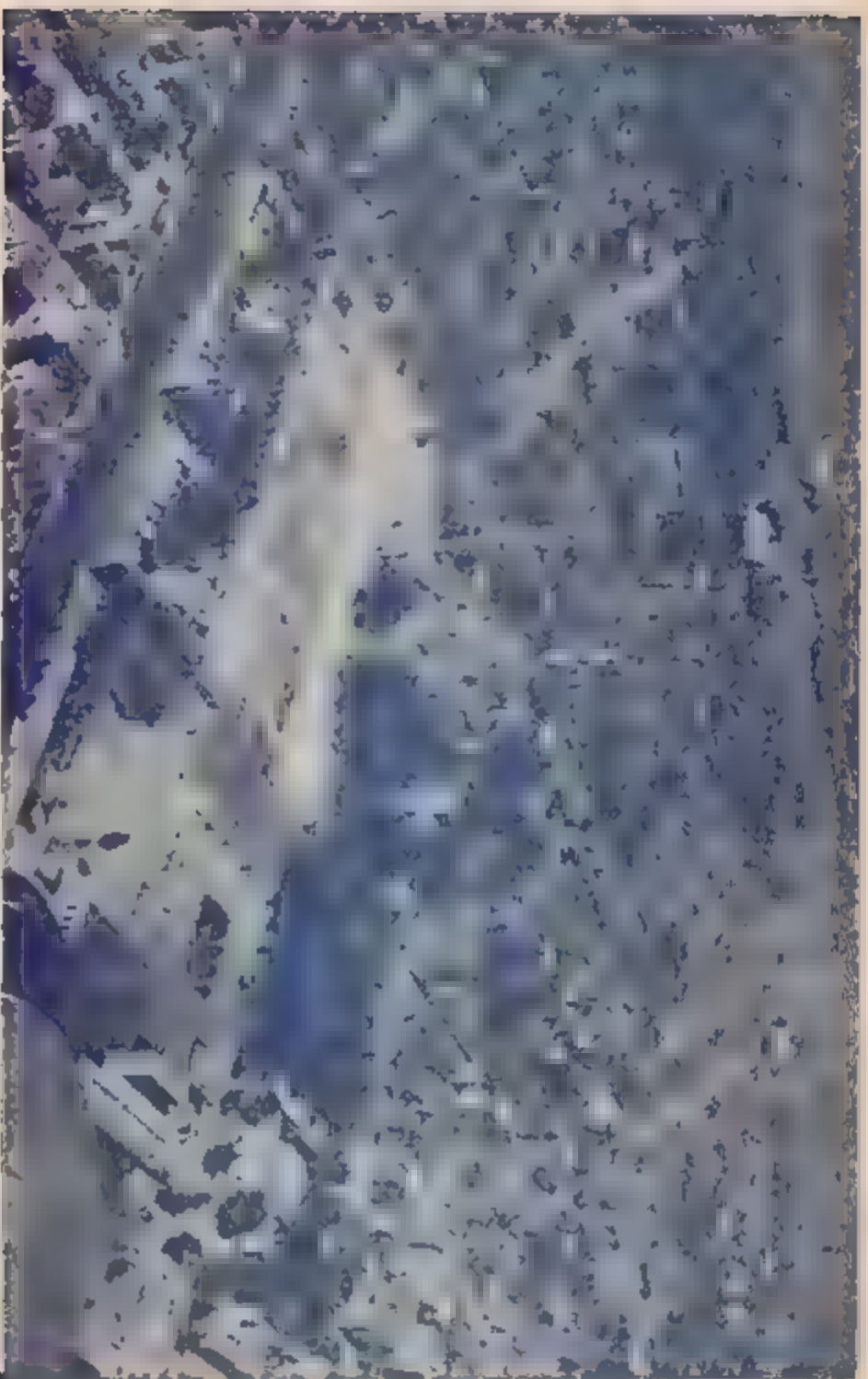
== فان الطالب لا يسمح له بالالتحاق بالصحن الا اذا درس العلوم المقررة فى التنمة ومجى فى الامتحان .

قلنا فيما تقدم ان مدارس الصحن ثمان ، اربع منها فى جهة البحر الابيض وأربع أخرى فى جهة البحر الاسود ، وإن خلف كل واحدة من هذه المدارس الثمان ثمانى مدارس أخرى تسمى موصلة الصحن او والمدارس الصغرى او « التنمة »

وقبل الشروع فى ذكر أسماء هذه المدارس الثمان وبيان معانيها وسبب التسمية ينبى أن نعلم أولاً معانى المفردات التى تتألف منها الاسماء ، وهى دى تلك المفردات .

ال كلمة	المعنى
قره دكر	البحر الاسود
آق »	» الأبيض
ش	الرأس
آق	القدم = ارجل
فورشونلى	مغطاه بالرء من
چيمته	الروح

وقيل على سبيل اسماء المدارس ومعاني الاسماء وسبب التسمية وأوصاف بعضها من بعض ==



جامع الفتح ومدارس الفصحى والتمنه
لاشك في أنه لم يزل من السباه ولكن سواي : حوى عجائب إلمية بياضه لا أرض لها .
(محمد عاكف)

المجموعة الكائنة في جهة البحر الأبيض

مبارس التب	مبارس الصحن
(١)	آق دكر باش فورشوبل
	مجر
(٢)	آق دكر حفتنه باش فورشوبل
(٣)	آق دكر حفتنه آياق فورشوبل
	مجر
(٤)	آق دكر آياق فورشوبل

جامع الماتح

المجموعة الكائنة في جهة البحر الأسود

مبارس التب	مبارس الصحن
(١)	قره دكر باش فورشوبل
	مجر
(٢)	قره دكر حفتنه باش فورشوبل
(٣)	قره دكر حفتنه آياق فورشوبل
	مجر
(٤)	قره دكر آياق فورشوبل

ومنها الى موصلة الصحن ومنها الى الصحن ، أن يؤدي امتحاناً يثبت به لياقته
للمرحلة التي يريد الالتحاق بها وكان لا يسمح له بالانتقال من مرحلة الى
اخرى ما لم تثبت لياقته . وإذا أتم الطالب دراسته في مرحلتى الداخل والخارج
والتحق بموصلة الصحن ودرس العلوم المقررة فيها ونجح في الامتحان أعطى
براءة سلطانية موشحة بالطغراء [= الطرة] وسجل اسمه بالديوان السلطاني
العالي وتسمى هذه البراءة السلطانية « ملارمت رؤسى » [- رؤس
الملازمة] .

وإذا أراد بعد ذلك أن يتخصص في مادة ، التحق بمدارس الصحن
وتلقى فيها الدروس في تلك المادة . وأما إذا لم يرغب في الالتحاق بالصحن

اسم المدرسة الاولى من مدارس الصحن سواء أكانت في جهة البحر الايض
او الأسود « باش قورشونلى » وهذا الاسم مركب من لفظين : « باش » بمعنى
الرأس و « قورشونلى » بمعنى المعطاة بالراس وسميت به لانها في مقدمة مجموعتها
وضعاً كما أن الرأس في مقدمة أعضاء الانسان . وحجرها ، هي وأخواتها تعلوها
قباب مغطاة بالراس كقبة مسجد محمد على بقعة مصر ، وهذا هو السبب في
تسمية كل واحدة منها « قورشونلى »

اسم المدرسة الراحه في الجهتين المذكورتين « آياق قورشونلى » وهذا الاسم أيضاً
مؤلف من لفظين : « آياق » بمعنى القدم و « قورشونلى » عرفت معناها وسبب
التسمية بها . وسميت هذه المدرسة بهذا الاسم لأنها في نهاية مجموعتها وصفاً كما أن
القدم في نهاية أعضاء الانسان . وقبابها مغطاة بالراس كالأولى

اسم المدرسة الثانية في الجهتين أيضاً « چيغت باش قورشونلى » وهذا الاسم
مركب من ثلاثة أفعال : الاول « چيغت » بمعنى الزوج ، وقد عرفت معنى الثانى =

مكتفياً بدراسة المراحل السابقة فكان يعين قاصياً في المدن ما عدا المدن الكبيرة كاستانبول وأدرنه وبروسة .

والطلاب الذين أتوا مرحلتى الخارج والداخل باستانبول أو ما يعادلها في مدارس المدن الأخرى يصح أن يعينوا سواباً عن القضاة في المدن الصغيرة وذلك بشرط أن يؤدوا إمتحاناً في مواد الصلح والمحاضر والسجلات .

وأما التخصص في مدارس الصحن فلم يكن شرطاً لتولى القضاء وإنما كان شرطاً لتولى التدريس . والطالب الذى يتم مرحلة التخصص في الصحن ونال شهادتها [وكانت هذه الشهادة تسمى « رؤس »] يعين أول ما يعين

والثالث وسميت هذه المدرسة بهذا الاسم لأنها هي والثالثة روحان متصلتان فحسبهما بعض معصوفتان عن الأولى والرابعة بممرين كما يبدو في الصورة المرسومة ص ٨٧ وأما سبب تسميتها « باش » إما لقربها من المدرسة الأولى للمساء بها فكأنهما روحان من الرأس وإما لأنها هي مقدمة وحدتها فانها هي والثالثة تؤلفان وحدة مستقلة في وسط المجموعة .

واسم المدرسة الثالثة في الجهتين كذلك « جيفته آياق قورشونلى » وهذا الاسم مركب من ثلاثة أفعال قد عرفت معنى كل منها وسبب تسميتها « جيفته » عند ما تكلمنا آفا على اسم المدرسة الثانية . وأما تسميتها « آياق » مع أنها ليست في النهاية أما لقربها من المدرسة الرابعة المسماة بها وأما لأنها في نهاية وحدتها .

هذا ؛ ويضاف إلى اسم كل مدرسة من مدارس المجموعتين اسم البحر الذى تقع في جهته فيقال مثلاً : « قره دكر باش قورشونلى الخ وآق دكر باش قورشونلى . . . الخ » غير أنها عن مشاركتها في الاسم .

ويظهر من الصورة المرسومة ص ٨٧ أن حلف كل واحدة من مدارس الصحن =

مدرسا بمدرسة من الدرجة الابتدائية ثم يترقى بالتدريج الى أن يتولى التدريس في أكبر مدرسة .

وكان أقدم طالب من أصحاب الحجرة المقيمين بمدارس الصحن يسمى « معيداً » ويساعد الطلبة المستجدين في مذاكرة دروسهم كما كان يؤدي دروساً لطلبة مدارس التتمة السابق ذكرها .

وكان قضاء المدن الكبيرة مثل أمستربول وبرومسه وأدرنه يسد الى من كان في مستوى كبار الاساتذة البارزين الذين امتازوا بكفاءتهم العلمية ومؤلفاتهم القيمة .

== في الجهتين المذكورتين مدرسة صغيرة من مدارس التتمة وبها يبلغ عدد المدارس كلم است عشرة مدرسة . ويشتمل كل واحدة من مدارس الصحن الثمان على تسع عشرة حجرة وقاعة كبيرة لالتقاء الدروس والمحاضرات على الطلبة . وأما مدارس التتمة فيشتمل كل واحدة منها على ثمانى حجرات . ويؤخذ من كتب التاريخ انه كان يقيم في كل حجرة من حجرات الصحن الثمان طالب [دانشمند] وفي حجرات « التتمة » ثلاثة طلاب] = دانشمند] .

ويقدم لنا المؤرخ « صولاق راده » المعلومات الآتية عن المدارس المذكورة :
أنشئت أربع مدارس علما في كل جانب من حابي المسجد المبارك وفي كل مدرسة منها تسع عشرة حجرة . حجرتان منها معدتان للاستاد والمساعد [الميد] وحجرتان للفراش وابواب ، والمحس عشرة الباقية لسكنى الطلبة . ومحيث هذه المدارس محصاً لأنها انشئت في وسط المدينة . ولما كان عددها ثمانية أصبحت مبعوطة الحيات الثمان ومحسودة السموات السبع . وتوجد خلف كل مدرسة من هذه المدارس الثمان مدرسة ملحقة بها تسمى (تنه) تشتمل على ثمانى حجرات يسكن في كل منها ثلاثة طلاب ويصرف لكل منهم مرتب شهري قدره (١٢ آقچه) كبذل الشمع
وبى بحوار هذه المدارس مطعم حبرى ومستشفى كامل المعدات وسائر المرافق

وقد أنشأ محمد الفاتح بجوار هذه المدارس مطعماً خيرياً ومستشفى كامل المعدات وكان الطلاب الذين يدرسون الطب يتعرفون في هذا المستشفى .

والخلاصة : كانت فروع العلم كلها تدرس في هذه المدارس ويتخرج فيها القضاة والأطباء والمهندسون .

وفي عهد السلطان سليمان القانوني اتسعت رقعة البلاد أكثر من ذي قبل فمست الحاجة الجيش إلى عدد كبير من الأطباء والجراحين كما اكتسبت الهندسة أهمية كبرى فأشنت بجوار مسجده المعروف باسمه - ذلك المسجد العظيم الذي يمثل العصر الذهبي العثماني (١) - مدرسة طب ومستشفى كما أشنت حول المسجد أربع مدارس لتدرس فيها العلوم الرياضية والطبيعية . وأشنت أيضاً دار الحديث والحقت هذه المدارس عدة مدارس أخرى كقسم إعدادي لها وسميت « موصلة السليمانية » ، وإذا أتم الطالب مرحلتى الداخل والخارج وأراد أن يدرس الطبيعة والرياضة والطب التحق بموصلة السليمانية [= تيمات السليمانية] وإذا رغب في دراسة الأدب العربي والفقه والتفسير والكلام وسائر العلوم الإسلامية التحق بموصلة الصحن [تيمات الفاتح] ويرجع للحصول على تفصيلات أكثر مما ذكرناه إلى كتب التاريخ

(١) وقد وصف هذا المسجد العظيم شاعر الإسلام المرحوم محمد طه كلف (٢) (بك) وصفاً رائعاً بديهاً في قصيده عصماء تعد آية في الشعر التركي كما أن الموصوف معجزة فن الهندسة .

(*) وهو شخصية معروفة بمصر أقام بها مدة طويلة وبنى سريس الأدب التركي بجامعة القاهرة ثم مرس وسافر إلى إسطنبول وبنى بها أن رجعت له سنة ١٢٥٥ هـ ١٩٣٦ م وبنى مقبرة « أحرته قو » أغنى الله عليه سحابة رحته وأسكنه بحبوحة جنة وله ديوان مؤلف من سبعة أجزاء باسم « صغبات » فيه روايات شعر وعيون القريش .

وخصوصاً الى تاريخ جودت (باشا) (١) .

كان الموظفون المنوط بهم تحقيق العدالة من أصغر موظف الى قاضي
العسكر علماء وقورين ممتازين في الفقه والحقوق كل على حسب المركز الذي
يشغله كما كانوا من حسن الخلق والسلوك بحيث لا سبيل الى الاعتراض
عليهم . واهم في اثناء دراستهم الدينية والأدبية تلقوا تربية ديدية وتأصلت
في قلوبهم عقائد ديدية دفعت الجمهور الى احترام شخصياتهم واوحت الى
النفوس ثقة عظيمة بصحة الاحكام التي يصدرونها . كما أن ولي الأمر لم
يكن يضر عليهم بمظفه ورعايته فكانت معروضاتهم تقع منه موقع القبول
والاجابة .

ولائف القضاة :

أشرنا في كليتنا التي صدرنا بها الكتاب الى أن كتب التاريخ راخرة
بمعلومات مسببة عن الأحداث السياسية والمعارك الحربية وعن الحركات

(١) نذكر فيما يلي بعض شخصيات علية تولوا التدريس عدارس محمد الفاتح
لتأخذ فسكرة عن حلال هذه المدارس وعظمتها : علاء الدين علي الطوسي ، المولى
خسرو ، المولى زيرك ، حواحه راده ، الكسلي ، خطيب راده ، عبد الكريم ،
حسن بن عبد الصمد السمعوني ، الحاج حسن زاده ، افضل راده حميد الدين ،
يعقوب ناشا ، حسن چلي ، قاضي زاده ، ابن مضيا ، حسن بن حامد التبريزي ،
بهاء الدين ، سراج الدين ، مصلح الدين انبار حصارى ، علاء الدين علي القماري ،
يوسف بن حسين الكرماسقي . هؤلاء العلماء الاعلام حدقوا العلوم العقبة والنقبة
كل الحدق وخصصوا فيها وعرفوا في النيات العمية بفهمهم ومضلمهم وبما ألموا من
الكتب العلية القيبة . جرت مناظرة علية بين المولى زيرك وخواحه زاده بحصرة
السلطان محمد الفاتح استمرت سعة أيام . تصورا غرارة العلم وسعة التفكير اللتين
مكتنا هدى العادين من إستدامة المناظرة مدة اسبوع كامل .

العلية وتراجم الأمراء والعلماء والشعراء ومشايخ الطرق . ولكها شحيحة فيما يختص بالقضاء والتشكيلات القضائية ووظائف القضاة والظم المتبعة والقواعد وإنما اكتفت كتب التاريخ في هذا الصدد بتقديم معلومات عن الأوصاف التي يجب توافرها فيمن يتولى القضاء وعن الأعمال البلدية التي يقوم بها القضاة اجمالاً .

هذا ؛ ولانجد في كتب التاريخ ايضاً إحصاءات عن الاعمال الواردة الى المحاكم والظم المتبعة في نظر القضايا واجراء الاحكام . ويخيل الى ان السبب في خلو كتب التاريخ من هذه المعلومات أن القضاة كانوا مكلفين بتطبيق الاحكام الشرعية على ما يعرض عليهم من الحوادث والقضايا وكانت هذه الاحكام معلومة لهم سواء كانت خاصة باصول النظر او باجراء الاحكام وتنفيذها .

والواقع ان هذه الاحكام مدونة في كتب موفوق بها مؤلفة من قديم الزمان وكل عالم أو قاص يطلع على هذه الكتب ويدرس الاحكام المدونة فيها ويعرفها معرفة تامة .

وان قصة تلك اليهود بلعوا من متانة الخلق وقوة العقيدة مستوى لا يسمح لهم باصدار الحكم من غير بحث شامل ودرس دقيق . على أنه لم يكن ذلك في امكانهم حتى ولو أرادوه فان العلماء والمفتيين كانوا واقفين لهم بالمرصاد يراقبونهم مراقبة علمية ويحاسبنهم حساباً عسيراً على أقل هفوة تقع منهم .

ولست بنا حاجة إلى العود الى الماضي البعيد للاستدلال على صحة ما قلناه فاما نعلم أنه كان هناك الى عهد قريب قصة من رجال الدين تخرجوا في المعاهد الدينية إذا عرست على أحدهم قضية هامة لا يصدر حكمه فيها ما لم يقتلها بحثاً ودرساً ويستشر العلماء ويراجع المفتيين حتى يحصل له اقتناع

نام . وقد أدركنا نحن كثيراً من أمثال هؤلاء القضاة الأماثل . وقد درجت دار الافتاء باستانبول على هذا المنهج القويم من الصلابة التي لا تعرف اللين وظلت حريصة عليها الى أن ألغيت .

وإننا وإن كنا لا نجد في كتب التاريخ احصاءات دقيقة عن عدد القضايا التي كانت تعرض على المحاكم غير أنه يمكننا أن نستنتج من السجلات الخاصة بعهد السلطان سليمان القانوني وعهود من يليه من السلاطين ، المحفوظة في مخزن الاوراق ، أنها ما كانت بواقع الواحد في المائة بالنسبة لما يعرض الآن من الحوادث حتى إن القضايا التي كانت تعرض على المحاكم قبل نحو سبعين سنة لم تكن بأكثر من الواحد في المائة بالنسبة لعدد القضايا التي تعرض اليوم . وكانت هذه الطاهرة الاجتماعية السعيدة نتيجة لمتانة خلق الشعب وعناية المحاكم التي كانت تتجلى بسرعة عقب مراعاة بسطة خالية من الاجراءات الشكلية المعقدة على اختلاف أنواعها ولا ننسى ما فصل المفتين وثقة الشعب بهم في فصل ما شجر بينهم من الخصومات وسعرس في مبحث الافتاء لخدمات المفتين للمدالة .

وبعد أن أدت به المناسبة الى ذكر هذه الحقائق استطراداً أعود الى أصل الموضوع فأقول :

كان القضاة يمالهم من الولاية العامة يفصلون فيما يعرض عليهم من القضايا المدنية والجنائية وفقاً للأحكام الشرعية ويشرفون على أموال اوقاف والقصر ويتنظرون على الأوقاف التي لا ناظر لها ويعيرون أوصياء على القصر الذين ليس لهم أوصياء وعلى السفهاء المحجور عليهم ، ويراقبون إدارة أموالهم . لم يكن الرجوع الى القضاء حاضراً لاي اجراء وانما يتوجه صاحب القضية الى المحكمة مباشرة إما بعريضة أو ببلونها وتسجل فيها قصيته فتدعو المحكمة اليها الطرف الثاني في القضية المتنازع فيها وبعد المرافعة والمحاكمة يصدر الحكم .

وكانت الرسوم المستوفاة قليلة جداً . وكان للقاضي أن يستقضى مفتي الانام [= شيخ الاسلام] او أى مفت آخر او عالم فى القضايا المشكلة على انه اذا جاء الرد غير موافق لرأيه لم يأخذ به . وكانت الاحكام الصادرة تنفذ بمعرفة الموظفين المختصين دون أن تكون خاصة لمراسم . وكانت النظم الخاصة بتسعى سير القضايا من الساطة بحيث لا تؤدى الى التسويف والتأخير .

قلنا فيما مضى إن المقاولات والمعاملات التى تحدث بين الجمهور تسجل من قبل كتاب العدل وانه لا بد من وجود كتاب العدل تحت إشراف القضاة . وفى الدولة العثمانية قامت المحاكم بهذا العمل إلى المدة الأخيرة وذلك اذا وكل أحد شخصاً آخر أو أقر دياً أو باع أو وهب أو أجر أو عقد شركة وما الى ذلك من المعاملات وأراد توثيقها ، توجه اصحاب الشأن الى المحكمة يقررون امامها ما قاموا به من المعاملة ويسجلونه ويتسلمون وثيقة خاصة بذلك مختمة بخاتم القاضى ويحتفظون بها . واستمر هذا النظام الى المدة الأخيرة على النحو المذكور .

وكانت الدعاوى والحوادث التى ترفع الى المحاكم الشرعية تصبى بضغطاً متقناً يوثقه ويضمن اليه النفس فانه ، كما يفهم من المضاط والسجلات الموجودة بين أيدينا التى يرجع عهداها الى نحو أربع مئة سنة ، اذا وردت الدعوى الى المحكمة قيدت اولاً فى جريدة الضبط واداً فصل فيها وصدر الحكم سجلت الاعلامات والخجج التى تنظم وفقاً للمضاط فى سجلات خاصة تحفظ بعناية تامة .

وفى العصر الثانى الهجرى بعد الاسلام أحدث علم الصك اى علم تحرير المضاط والاعلامات والمقاولات ويسمى علم المحاصر والسجلات وعلم الشروط ايضاً . وقد بنى هذا العلم على أسس متينة وقواعد عامة تطلق فى جميع

المحاكم الكائنة في البلاد الإسلامية كلها فانت اذا اطلعت على إعلام صدر من محكمة الكوفة وإعلام آخر صدر من محكمة القاهرة وجدتهما متحدين في اللفظ والتعبير والاصطلاح سوى ما يخص كلا منهما من الزمان والمكان ونوع القضية وما الى ذلك من الخصوصيات . (١)

وكان لا يكتب في الإعلانات والمستندات ما لا حاجة اليه من حشو الكلام ، ولا يترك أى قيد اولفظ هام لاغى عنه وكان الانسان يحس عندما يقرأ هذه الاعلامات أنه يقرأ بحثاً فقيهاً .

ومحصل الكلام : كان يعنى عناية بالغة العناية بتنظيم الوثائق وتسجيلها والمحافظة عليها . ولكي نفهم مبلغ هذه العناية والدقة المتناهية يكفيننا أن نلقى نظرة فاحصة الى هذه السجلات والمجلدات التي يبلغ عددها نحو ألف سجل وتسمى « قيود خافائي » (٢)

(١) كانت فواعد هذا العلم الاساسية وضعت من قبل الفقهاء الاولين ولكنها لم تطبق عملياً الا في سنة ١٢٠ هجرية ، فمدافه ابن شرمه من كبار الفقهاء هو الذي بدأ في تسجيل الاعلامات في سجل خاص ، وكانت الدعاوى والاحكام لا تسجلان في العهد النوى ولا في عهود الخلفاء الراشدين والاصحاب ولا في عهد الناصر وإنما يكتب بالحكم الشفوى يصدره القاضي ويمتد المتقاضون فور صدوره وكانت متانة أخلاق الجمهور وقلة الحوادث لا تدعوان الى ضبط الحوادث وتسجيل الاحكام ، واستمرت الحالة على هذا الى أن ولي ابن شرمه قضاء الكوفة فكثر الحوادث وتطورت الاخلاق فثبت الحاجة الى السيط والتسجيل والتوثيق .

(٢) « قيود خافائي » هي إحصاءات رسمية عن القرى والمزارع والمراعى والمصايف والمشاى وسائر الاراضي الكائنة في البلاد العثمانية والجهات التي تكون مربوطه بها وتابعة لها . وقد أجريت هذه الاحصاءات في العهد العثماني ، وبصفة خاصة في عهد السلطان سليمان القانوني وعهد السلطان مراد الثالث قامت بها لجان احتير =

وكانت للقضاة ووظيفة أخرى غير الوظائف السالفة الذكر تتصل بأعمال بلدية لا قضائية وظلوا يباشرون هذه الأعمال البلدية في الولايات والسنجق والمراكز إلى عهد التنظيمات ،

— أعضاؤها من دوى الكفاءة والاستقامة ودونت في سجلات خاصة تدوياً دقيقاً متقناً منظماً صحيحاً حالياً من شائكة الشك والروبر . ويبلغ عدد هذه السجلات ٩٧٠ سجلاً كانت تحفظ في دار المحفوظات السلطانية [دفترخانه حاقى] بداخل محرن محكم محتوم يصل إليه الاسان من أربعة أبواب حديدية متداخلة . وأخيراً نفت هذه الكور النخبة من استاسول الى آتقمة وتحفظ الآن بداخل دوايب رجاس في مبنى محكمة النقض في عهدة موظف .

وكان في العهد العثماني اذا لم يغير مربوطه قطعة من الاراضي المسجلة في تلك السجلات وذلك بناء على الادن الشرعى ، يستصدر المرسوم السلطاني من قلم الديوان الهمايوني ويدون رئيس قلم التوقيع خلاصة المرسوم في صدر ابيان الخاص بتلك المظنة ويضع إمضاءه تحت الخلاصة . ويعرى كل هذه الاجراءات بحضرة ناصر « دفتر حاقى » ثم يعاد السجل الى المخزن كما يحفظ المرسوم لدى ادوطة المختص . هذه الوثائق قيمة جداً ورائعة جداً وقد بلغت قيمها وروعها حداً يصح معه ان يعد مفخرة يعجزها القاء التركى ، ودليلاً يستدل به على مقدرة على الاداع والاختراع طحال الخط في الكتابة ، والدقة المتناهية في الترتيب ، والامانة الكاملة في تدوين المعلومات ، والاتقان البالغ العاية في البيانات ، ونفاة التحديد كل ذلك فوق التصور والتقدير .

وقد أندعت هذه الآثار القيمة التي لم يكن يرى مثلها ، الى ذاك الوقت ، تحت إشراف جماعة من علماء الترك يستدل منها ومن غيرها من الآثار الخالدة التي ورثناها من أجدادنا على أن الأتراك أبدعوا لا في فن الحرب والقتال حسب بل في ميادين العلم والادارة والحضارة . ولا يكتم المستشرقون ورحالة بعض البلاد المسلحة من الامراطورية العثمانية إعجابهم بالقاء انركى الذي أندع هذه النفائس . وانى أصبح شيانا أن يرووا هذه السجلات ويستحلوا بحاسبا ويتأملوها بين العرة والدقة.

وكانوا مرجعاً لأرباب الحرف والصناعات في شئونهم الخاصة بهم فتعيين
«كتخدا» (١) و«يگت باشى» (٢) وعزلهما ، وزيادة الاسعار أو خفضها
ومراقبتها والمحافظة على النظام المتبع بين أرباب الحرف وفصل ما يحدث
بينهم من المنازعات كل ذلك كان من حملة وظائف القضاة .

كان القضاة يندبون من قبلهم نواباً ومفتشين يفتشون السوق ويمنعون
أهلها من المخالفة للأوامر والنظم ويعاقبون من يجرأون على ارتكابها ويسمى
هؤلاء النواب « نائب القدم » لانهم يؤدون أعمالهم وهم واقفون على أقدامهم
ويجد القارىء تفصيلات أكثر مما قدمناه في هذا الموضوع في الجزء الاول
من كتاب « مجلة الامور البلدية » مؤلفه الباحث القدير عثمان نورى أركين .

الاحتساب :

ذكرنا في المقدمة معنى الاحتساب والاصل الذى يتفرع عنه من الاصول
الشرعية مع بيان وظيفة المحتسبين . اقتفى العثمانيون اثر الرسول عليه
الصلاه والسلام وحلماه لراشدين رسوان افه عليهم فى الاحتساب ايضاً
كما انعموا فى القضاء فعيوا موظفين مستقلين ليقوموا بشؤون الاحتساب
ويسمى هؤلاء الموظفون « المحتسب » [احتساب آغاسى] .

(١) اسم مركب من لفظين « رسيين » أحدهما « كت » بفتح الكاف امرية واصله
« كد » بمعنى البيت والآخر « خدا » ضم الحاء المعجمة بمعنى صاحب ومعنى الاسم
« صاحب البيت وكلمة « كجيا » معرفة مه . ويطلق على الوكيل ولتعمد وعزز
القوم وعبر ذلك من المعانى والنصوص منه هنا رئيس أرباب الحرف والصناعات
ومدير شئونهم ومدير امورهم .

(٢) « يگت » بمعنى حق فى ربحان الثياب مكتمل القوة شعيع وابتهود منها
هـ الموظفون الذين يكونون تحت يد الكتخدا وينفذون أوامره وبواهيـه .
و« يگت باشى » رئيس هؤلاء الموظفين .

كان في كل مركز [قصاص] محتسب كما كان في استانبول والبلاد المصطلح على تسميتها البلاد الثلاثة ولا يمكن تحديد عملهم بالصط في عهد الفاتح ولكن الامر المحقق أن لقاصي هو المرجع الاصل في الشؤون البلدية فهو الذي يحدد الأسعار^١ ويفصل فيما يحدث بين أرباب الحرف من المنازعات ، وأما ما عدا ذلك من الأعمال المتصلة بالبلدية فيؤديها نائب القاصي [نائب القدم] والمحتسب والمعار الأول . وقد حدثت تعيرات كثيرة في اختصاص هؤلاء في عهود مختلفة .

والمفهوم من كتابه فقهِ والتاريخ أن عمل المحتسب لم يكن متصوراً على شؤون البلدية بل كان يمتد الى شؤون أخرى تتصل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١) ذكر في كتب الفقه في باب الحطير والاباحة في فصل البيع ما حقه : لا يسع على الناس لانه نوع حجر إلا أن يصدى التجار تعدياً فاحشاً في القبة - وقدر التعدي الفاحش بزيادة مثل القيمة بأن يبيعوا أردب القمح بمائة مثلاً وهو يشترى بمحسين - فلا بأس حينئذ بالتعدي بمشورة أهل الحرة . وأما الامام مالك رحمه الله التفسير في عام القحط .

والاصل في ذلك ما روى ان السمرقاني المديني فقالوا يا رسول الله : « لو سمرت ؟ » فقال لا تسمرتوا فان الله هو السمر القاص الباسط الرارق »

أخرج هذا الحديث ابو داود والترمذي في « البيوع » وابن ماجه في « التجارات » عن حماد بن سلمة عن قتادة وثابت وحبيب . الا أنهم عن أسامة قال الناس : يا رسول الله علا السمر فسمر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله هو السمر القاص الرارق وإني لأرحو أن تلقى الله وليس أحد منكم يطأ الى بطنه من دم ولا ماء » قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وحوار التفسير بين علي القاعدة الفقهية : « الضرر يدفع بغير الامكان » و « يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام » وأما النوع الوارد في الحديث الشريف فتحمول على ما إذا كان الغلاء طبيعياً ولم يكن مصطنعاً ولا نتيجة لحشع التجار .

وقد مر بنا فيما تقدم أن من ضمن اختصاصهم أن ينعوا معنى الاطفال من القوة عليهم اذا جاوزوا الحد المقرر في تأديتهم . ولا يسمحوا للملاحين بشحن السفن بأكثر مما تسعه من الاحمال والأثقال .

القضاة ومستواهم العلمى والمخلفى :

قلنا فيما تقدم انه عندما نستعرض الحياة العدلية لعهد من العهود يجب أن نضع امام أعيننا ميول ولى الامر ومقدرته على تنفيذ ارادته ، وملح قصاته من العلم والخلق وقبلا ايضاً إيا عندما ندرس الحياة العدلية لعهد القديح ننتدىء دراستنا من هذه النقطة . وفى كلامنا السابق حاولنا جهد استطاعتنا أن بين ميول السلطان ومقدرته وحظ القضاة من العلم والان يريدان نعرض فى هامش تراجم بعض العلما الذين تولوا انقضاء فى استاسوب وفى سائر الولايات والمدن الأخرى نقلا عن أوثق المصادر وذلك لكي يكون القارىء الكريم فكرة عن قضاة ذلك العهد .

وبالصريح لا يمكن أن ندرج هنا تراجم قضاة العهد المذكور كلهم ولكن بالقياس على ما نذكر منهم لا نصعب معرفة احوال الباقيين فان المذكورين يمثلون عصرهم فى ثقافته وحلقه أعديق تمثيل . كما أن قصة بلادنا اليوم تمثلون العصر الحاضر من الناحيتين العلمية والخلقية .

المكتبة العربية راحة نكتب تراجم القضاة الذين تولوا القضاء فى مختلف البلدان الإسلامية : قرطبة ومصر والشام وبلاد والبرية (١)

(١) نذكر من الكتب المذكورة على سبيل المثال : اجبار القضاة بوجع انقاضي ، وقضاة مصر للسكندى . رفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلانى وديله للناظر السجائى . واسحوم الزاهرة فى قضاة مصر والقاهرة لسيط ابن حجر ، قضاة قرطبة لمحمد بن الحارث الخثي ، قضاة الاندلس لابن الحسن على بن عبد الله الباهي ، الثمر النيسابى فى ذكر من ولى قضاء الشام ولحقظ الشمس بن طولون الدمشقى ، روضة القضاء لافى القاسم على بن محمد السجائى .

ولكن المكتبة التركية قفر - مع الاسف - من أمثال هذه الكتب حتى اننا كنا لا نعرف - الى عهد قريب - ترجمة أول قاص في استاسول ، وقد سد هذا النقص احثا الجليل الدكتور سهيل بك - شكر الله سعيه - برسالته المسماة « خضر بك » فقرأنا بهذا القاصي الكبير والعالم الجليل - نعم كان خضر بك (١) أول قاص تولى القضاء في القسطنطينية بعد فتحها . وأما قس

(١) خضر بك بن حلال الدين ولد في « سفر بحصار » من بلاد الاناضول وقرأ مبادئ العلوم على والده وكان قاضياً بها ثم وصل الى المولى محمد بن آدمسان المشهور بامولى يكنى عه العلوم العقلية والنقلية وسع رتبة الكمال وتزوج بنته وكان مثقداً فذاً لهم صحيح وعلم عربر وبلغ تمتد في العلم والنثر وحصل العلوم العربية والعلوم المحيية ولذلك مسمى بين العلماء « حراب العلم » . حكى انه جاء رجل متحراً في العلوم من بلاد المم في أوائل جلوس السلطان محمد الفاتح فحضر مجلس السلطان واحتسب مع علماء البلاد ورؤسائهم وسأله عن الباعث العربية فاقطع الكل وعجزوا عن الجواب فاضطرب السلطان اضطراباً شديداً فطلب رجلاً له الاطلاع على العلوم العربية فدكروا المولى خضر وكان شاباً وكان ربه على رى العسكر فأحضره فضحك المسمى مستعزلاً له فقال المولى خضر هات أسئلتك فأورد الاسئلة من علوم شتى فأجاب عنها ثم سأله المولى من سنة عشر فناً لم يطلع عليها الرجل فاقطع وألقم فطرب لذلك السلطان طرباً شديداً وأثنى على المولى ثناء جميلاً وعطاه مدرسة حده السلطان محمد جلبي في روميه فدرس فيها وتتمد عليه مصبح الدين المشهور بنحواحه راده وشمس الدين المشهور بخطيب راده وحبر الدين معلم السلطان وغيرهم ولد فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية ولاء قضاءها ومات هناك سنة ٨٦٣ ثلاث وستين وثمانمائة ، وله نظم العقائد يعرف بالنصيدة النونية ونظم آخر معروفه بالناية أدرج فيهما ما في الكتب الصغام من علم الكلام وود بقى العلماء النونية بالقول فدرسوها وعزوا بها وأظها لم يكتب مثلها فيما بعد وقد شرحها أعز تلامذته شمس الدين احمد الحياى ويقال انه ترجم كتاب اللطالع الى اللغة الفارسية والترجمة =

الفتح فقد أقام فيها السلطان بإيزيد الأول الملقب بيلديرم [الصاعقة] قاصياً للفصل في الحصومات التي تنشب بين المسلمين المقيمين بها ولكن هزيمته في معركة أنقره وما أعقبها من اضطراب الأمر في الدولة وتنازع الأمراء السلطنة أتاح (لليز نصيب) فرصة التحلّس من القاصي المذكور . وبعد خضرك تولى قضاءها في عهد الفاتح المولى خسرواً ثم حواجه

= موجوده في مكتبة آياصوفيا . وهو الذي اشكر التاريخ بظماً بحساب الحلّ قتان : « جامع زيد عمر من عمره » تأريخاً لمسجد شاه الفاتح سنة ٨٥٠ هـ . وأما قبله فكانوا يؤرخون تراً مثل كلمة « خراب » تأريخاً لتحريب تيمورلنك مدينة سيواس بالاناضول سنة ٨٠٣ هـ ثلاث وثمانمائة و « نياي محمد خان » تأريخاً لحصن الروم الذي شاه الفاتح على السمرقند سنة ٨٥٦ هـ ويقال انه حصد من حبة البست للعليلوف نصر الدين خواجه [= حماد الرومي] المعروف بطرائفه وبمكانته اللادعة .

هذا : وأرجح الاحتوى في الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع وفاة صاحب الترجمة سنة ٨٩٠ هـ حيث قال : حصر يك بن القاصي خلال الدين بن صدر الدين بن حاشي إبراهيم حمر الدين الرومي الحلي أحد علماء الروم ومدرسيهم وأعيانهم والذي مسنن سنة ٨٩٠ عشر وثمانمائة ونشأ في مدينة روسه ونفقته بالرهاان حيدر والفناري وبرج في الحو والماني والبيان وصف وأفاد ومن تصانيفه حودش على حاشية الكشف لتفتاراني وأرجورة في العروض وأخرى في العقائد وقدم مكة سنة ٦٥٩ تسع وخمسين وثمانمائة ومات سنة ستين وثمانمائة انتهى الفوائد

(١) هو محمد بن فرامرر [فرامور] الشهير بالمولى خسرو . وفي رواية كان اسمه رجلاً رومي الأصل أو فارسياً اعتنق الإسلام ولكنه كتب بخط يده في ختام كتابه الدرر والعرر وكتابه الرقة ما جاء : « أنا الفقير محمد بن فرامرر بن علي » ووطن بعض المؤرخين أن « فرامرر » كلمة افرنجية وبني على هذا الظن أن والده كان فارسياً أو رومياً . والواقع أن الكلمة فارسية (*) واسم لابن رسم بن رال بن سام أحد-

(*) اسم مركب من نصيب أحد « فرا » بفتح الفاء وله معاني كثيرة منها الأحد والآخر « مرر » بفتح الميم وسكو بالراء من معناه الأرض والخقوم . ولعل معنى الاسم التركيبي قل العلية أخذ اللاد وفتحها .

زاده (١) ، وابن مثنى (٢)

== الاطال الابرانيين القضاة ، ولركن الدين فرامرد والله كيقباد الثانى آخر ملوك
سلاجقة قونية - مات والده وهو صغير فنشأ في حجر زوج اخته للسعى « خسرو بك »
احد الأمراء العنانيين فعرف بأخى زوجة الأمير خسرو ثم اختصر الاسم بكثرة
الاستعمال فقلل خسرو . تلقى العلوم كلها من المولى رهان الدين حيدر المهرى من
تلاميذ سعد الدين التفتازانى فعين مدرساً بمدرسة « شاه ملك » بأدره ثم قاصياً
للمعسكر ، ولما توفى المولى خسرو بك سنة ٨٦٣ ولاء السلطان محمد الفاتح قضاء استاسول
مضافاً اليه قضاء علقه واسكدار من ضواحي استاسول مع التدريس بمدرسة آياصوفيا .
وكان يباشر قضاء استاسول نفسه وقضاء علقه واسكدار بواسطة نواب عنه .
وبعد ذلك اسند اليه منصب الافتاء الرفيع . وكان بحرّاً راحراً عالماً بالمعقول والمنقول
جامعاً للفروع والاصول من تصانيف العرب وشرحه الدرر في الفقه ومرقاة الاصول
وشرحه وحواشي المطول كتبها حين كان مدرساً بمدرسة شاه ملك وحواشي تفسير
البيضاوى الى قوله تعالى سيقول السعفاء ورسالة في الولاة اُمدع فيها الفوائد الصحية .
وكان السلطان محمد الفاتح يحله ويمخر به قائلا « هو ابو حبيبة عهدي » وكان
رحمة الله متحدثاً بحلق حسن متواضعا يقضى حوائجهم نفسه ، توفى سنة ٨٨٥ هـ وبذل
جثمانه الطاهر الى مدينة روسه ودفن بمقابر مدرسته فيها

(١) ذكرت ترجمته في ص - ٤

(٢) هو محي الدين محمد الشهير بابن معينا قرأ على العلماء المعاصرين له ثم
وصل الى استاده للمولى خسرو فقال بالغ تقديره كما ظهر بلفظة الفاتح بتركية من استاده
فعينه مدرسا لمدرسة وريره محمود باشا وكان قد تم انشاؤها وقد حضر اول درس
اللقاء فيها - وبظهور انه كان عادة في ذلك الوقت - استاده المولى خسرو وخطيب
راده وعبرها من كبار العلماء فسموه الى آخر الدرس . ولما فرغ من إلقائه أظهر
المولى خسرو إعجابه وتقديره قائلا : شهدت في ديار الروم درسيين احدهما هذا الدرس ==

== والآخر هو الدرس الأول الذي ألقاه محمد شاه العساري بمدرسة السلطانية . وقد تولى صاحب الترجمة التدريس في عدة مدارس وقضاء العسكر وكان موقفاً في كل عمل تولاها ونجح على يده مئات من الطلاب والتلاميذ .

(١) هو مصطفى مصليح الدين من قرية « كستل » التابعة لمركز (قضاء) « نازلي » في ولاية « آيدين » بالاضول . قرأ مبادئ العلوم في آيدين ثم وصل الى حضر (بك) فأنه دراسته لديه فزوج بنته وبذلك اتبعت له فرصة الاحتياج بمساعدة استاده : الحياي وحواحه راده وكان محبا للمناظرة والنقاش وماهرآ في العلوم كلها . حكى الولي لطف الله التوقاني قال : كنت من طلبة الولي سان باشا وكان وريراً وكان من عادته دعوة العلماء لبالي العطلة واحضار الأطعمة النعمية اللطيمة فاجتمعوا عنده ليلة وبهم مصليح الدين الكستلاني وحواحه راده وخطيب راده وكان عندي رميل انحادث معه فقلت في أثناء الكلام : مرضت أنا في وقت من الاوقات فمرقت الدم واصبغت فبقي فصحك رميلي فنبه العلماء لذلك وقالوا لم صبحت فقال : اطاب الله يقول كنداوكدا فصحك العلماء ايضا فقال الكستلاني مم تضعكون ؟ هذا مرض فلاي ذكره الشيخ الرئيس يحيى ابن سينا في الفصول العلامي من القانون ، فقال حواحه راده له طالعت القانون بتمامه ؟ فقال نعم وجميع مصنفات ابن سينا . ثم قال لكستلاني لحواحه راده . أني طالعت الشعاء بتمامه قال لا وانما طالعت مواضع الحاجة فقال الكستلاني . اني طالعت بتمامه سبع مرات ، فصحب الحاضرون من احاطته بالعلوم وله حواش على شرح العقائد الفتناني وحواش على المقدمات الاربع التي في التوضيح وتعليقات على بلواقف وعلى حاشية العهد ورسالة في القلة . تولى التدريس بمدرسة « مدرني » و « ديمتوقه » ثم في احدي المدارس الثمان باستاسول ثم رقي الى منصب قضاء العسكر الرفيع . توفي سنة ١٢٩٠ هـ ودفن في الوضع المسمى « ميت قويلوسي » [بئر الميت] بجوار ضريح خالد بن ابي ايوب الاصاري .

والحاج حسن زاده افندى (١)

قضاة العسكر :

عندما نتكلم على المحاكم والقضاة يجب أن نضع قصة العسكر في الصف الأول فانهم أعم الأركان في الأسرة القضاية وتشكيلات المحاكم .

وقد ذكرنا فيما تقدم إنشاء منصب قاضي القضاة في عهد هارون الرشيد واستداده الى الامام ابي يوسف القاضي وبيننا وظيفته واختصاصاته وكيف أن السلطة القضاية فصلت ، ماشاء هذا المنصب ، من السلطات السياسية والادارية وأصبحت مؤسسة مستقلة وانه كان في الدولة الاموية قاض باسم « قاضي الجماعة » .

ونذكر هنا أنه لم يلبث في الدولة العثمانية منصب قاضي القضاة كما لم يكن فيها قاضي العسكر الى عهد السلطان مراد الاول فكان قاضي العاصمة يصحب

(١) هو من اليكسر بالانصول قرأ مبادئ العلوم على علماء عصره ثم وصل الى المولى بكخان الايدوبي قائم لديه وتولى التدريس بمدرسة « ديمتوقه » و« ملقره » . ثم عين قاضيا على « كليولى » فأدى عمله بمكفاءة وراعاة وقد ركاه محمود باشا لى محمد الفاتح فعينه مدرسا للمراكية في بروسه ثم قاضيا لها وبعد ذلك انفصل من القضاء وأمر بالتدريس في المدارس الثمان باستاؤل وولى قضاءها وفي سنة ٨٨٦ هـ اى قبل وفاة الفاتح ترقى الى منصب قاضي عسكر الأناصول ومن جملة مؤلفاته ميزان التصريف في عم الصرف ، حاشية التوضيح ، عرائف اللغات شرع في تأليفه بأمر السلطان ومات قبل اتمامه . حاشية على المقدمات الاربع ، وحاشية على تفسير اليباضاوى على سورة الاسام . وكان يقول الشعر واحسن الشعرى « وحيد » و « حامي » توفي سنة ٩١٦ هـ باستاؤل ودفن بخوار صريح اى ايوب الانصارى . ولتليده المحتار احمد بن سيدى مؤلف قيم اسمه اسرار الفقه .

الجيش في غروانه قائماً مقام قاضى القضاة ومؤدياً وظيفة قاضى العسكر .
وفي عهد اورخان ثانياً السلاطين العثمانية كان المولى خليل الاسود
الجندرى قاضى «إزنيق» مرجعاً للقضاة والخطباء الذين يعيرون في المدن
التابعة للدولة . وفي عهد السلطان مراد الاول سنة ٧٦٣ هـ كثرت صنوف
الجند فكثرت شئونهم تبعاً لكثرتهم فعين خليل الاسود الجندرى المذكور
آغا . وكان قاضى بروسه . قاصداً للعسكر .

ويؤخذ من بعض المصادر العربية أن مؤسسة قاضى العسكر قديمة في
الاسلام وكانت موجودة في بعض الدول الاسلامية (١) .

والى اواخر عهد السلطان محمد الفاتح كان في الدولة قاضى عسكر واحد
ولكن في آخر عهده أنشئ لقضاء العسكر مناصب ائدهما باسم قضاء عسكر
الروملى والآخر باسم قضاء عسكر الياصول (٢) فاستند قضاء عسكر الروملى

(١) ومن حملة من ولى قضاء العسكر محمد بن عبدالرحمن بن ابي بكر البغدادي
التوفى سنة ٣٦٢ هـ ولى قضاء العسكر وعاش ستين سنة وكان رأساً في علم الكلام
حبيراً بالتفسير وله كتاب في الرد على اليهود وكتاب عمدة الادلة وكتاب التفسير .
وقد استمر بعده هذا المنصب حتى ولىه الخليل نجم الدين بن علي بن الحسين بن علي
الملقب بحم الدين الجوى التوفى سنة ٦٤١ هـ فولى قضاء العسكر للملك العادل ابي بكر
ابن ايوب بعد الستائة

(٢) وكان ذلك عقب قتل مسيح باشا في فتح حريرة رودس سنة ٨٨٥ هـ فعزل
الفاتح من مناصبه وعين مكانه المولى مفيصا جلبي الذي كان يجمع في يده قضاء عسكر
الروملى وقضاء عسكر الياصول . واستدأ من ذلك الوقت فصل القضاء ان يخصصها
من بعض وأصبح كل منهما منصباً مستقلاً واستمر الامر كذلك الى أن فتح السلطان
سليم الاول مقاطعة ديار بكر ومدينة حلب وما حاورها من المدن سنة ٩٢٠ هـ
فأنشئ منصب ثالث باسم منصب قاضى عسكر بلاد العرب والعجم على أن يكون مركزه
ديار بكر [ت آمد] واسم هذا المنصب أول ما اسند الى المولى ادريس حكيم الدين
التليسي الذي له سمي مشكور وحصل كبير في الخلق البلاد المذكورة بالملسكة العثمانية .
وقد أئتمى هذا المنصب أحياناً واكتفى بقضاء عسكر الياصول .

الى المولى مصلح الدين الكنتلاني وقضاء عسكر الاناضول الى الحاج
حسن زاده .

وكانا [اى قاضى عسكر الرومى وقاضى عسكر الاناضول] اكبر الاركان
فى التشكيلات القضائية فى السولة وبصحبان الجيش ادا تولى السلطان قيادته
أحدهما اذا كانت الحملة فى أوروبا والآخر ادا كانت فى آسيا أو افريقيا وأهم
شئ فى وظيفة قاضى العسكر أنه كان مستشاراً قانونياً للسلطان مع الاشراف
على توزيع العنايم والفصل فى الخصومات الناشئة بين أفراد الجيش والدعوى
الجنائية والمدنية التى ترفع من الاهالى ضد أحد من يتعمون الى الجيش (١) .
وأما توقيع العقوبات الخاصة بالمخالفات العسكرية فيذهب بها الطل الى
أنه لم يكن من اختصاص قاضى العسكر وإنما كان ذلك من اختصاص
السلطات العسكرية .

كانت رؤية دعاوى التى تحدث بين احمهور والدعاوى الخاضعة بالاموال
غير المنقولة من اختصاص القاضى المدنى المحلى دون قاضى العسكر (٢) . هذا ؛
وكان قضاء العسكر عندما يكونون فى العاصمة يقومون بعمل القاضى المدنى

(١) ادا كانت تزيد من الاهالى المدنيين دعوى شرعية ضد بعض افراد الجيش
وأراد أن يرجع دعواه الى القاضى المحلى الموجود بالبدة التى هم مرابطون فيها فهل
للمحلى الذى هو المدعى عليه أن يرفض التقاضى أمام القاضى المذكور ويطلب
التقاضى أمام قاضى العسكر الموجود بالبدة المذكورة ؟ سم له ذلك .

فتاوى عبد الرحيم

(٢) قضاء قاضى العسكر لا ينعقد فى الغفار لانه موزع الى القضاء فى أمور العسكر
ولذلك يفضى فى المنقولات دون المقارات الا إذا نص على ذلك عند تقليده القضاء .
فتاوى الاخرى خلا عن جواهر الفتاوى

ويعينون القضاة الذين يرسلون الى البلاد الاخرى — ما عدا استابول والمدن المصطلح على تسميتها « مولويت »^(١) وكان هؤلاء القضاة المعينون من قلمهم يسمون نواباً وكان تفتيش أعمالهم وعزلهم من اختصاص قضاة العسكر .

واما النواب المعينون من قبل غيرهم — وكان يحدث ذلك في حالات خاصة تستوجب — فتفتيشهم وفصلهم من اختصاص القاضي الذي عينهم . والى عهد التنظيمات ، اى أوائل عهد السلطان عبد المجيد الاول كان القضاة تابعين لقضاة العسكر . وقضاة العسكر كانوا تابعين لصدر الاعظم [الوير الاكبر] وبعد التنظيمات ، أصبحوا تابعين للمشايخ الاسلامية .

الافتاء :

فلما فيما تقدم إن الافتاء مؤسسة تساعد المحكمة على تحقيق العدل (٢) .

(١) « مولويت » كلمة مولدة معناها منصب ورتبة القاضي الكبير المسمى « ملا » مثل ملا مصر اى قاضى مصر وملا مكة اى قاضى مكة المكرمة وغيرها من الأقطار الكبيرة التى كانت تابعة للدولة العثمانية وتطلق كلمة « مولويت » على القطر نفسه كما تطلق على المنصب ؛ فيقال مثلاً : « مكة مولويتدر » اى ان مكة قطر يتولى قضاءها قاض كبير من رتبة « ملا »

(٢) الافتاء فى الاصل حل مشكل وبيان . وفى العرف الرد على سؤال عن حكم شرعى يقال أفق المفق كذا اى أحاب على السؤال عن حكم شرعى بكذا ويسمى السائل المستفتى والحبيب المفق والجواب الفتوى تجمع على فتاوى .

القضاء والافتاء مؤسستان مختلفتان لكل واحدة منهما اختصاص ليس للآخرى فان قضاء يستند الى ولاية عامّة والافتاء مبنى على كفاءة علمية . يدرس القاضي القضية =

ونقول هنا . بدأ الفتيا مع الاسلام فقد أذن الرسول الاكرم في حياته لبعض اصحابه الكرام بالفتيا ولكن العهد الاكبر والامم من هذا العمل كان عني عاتقه عليه الصلاة والسلام . ذكر البخاري فتاواه صلى الله عليه وسلم في أبواب متفرقة من كتاب العلم . وقد تقدم الفتيا تقدماً ملحوظاً في عهد كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ولما كانت الفتيا مؤسسة علياً لتحقيق الغاية المنشودة منها كان لا بد أن تسند الى شخص يستطيع القيام بهذه المهمة العلمية والالتسند الى أي شخص يتفق وجوده كيفما كان . فقد عني بهذه النقطة عناية خاصة في عهد الرسول وخلفائه الراشدين فلم يؤذن بالفتيا الا لمن كانت فيه الكفاءة .

واول من أذن له الرسول عليه الصلاة والسلام بالفتيا هو سيدنا ابو بكر رضي الله عنه ولم يكن يفتي أحد محضره غير أبي بكر وفي خلافة سيدنا عمر

تاتي تعرض عليه ويصدر حكمه فيها بحسب ما يظهر له من الأدلة وحجج الطرفين ولذلك قال عليه السلام : « إنكم تختصمون الي ولعل يصحكم أن يكون ألحن بحجته من بعض من قضيت له شيء من حق أخيه فلا يأخذه إنما أقطع له دفعة من النار » دل ذلك على أن القضاء شمع الحجاج وقوة المحسن [— البيان] . وأما المقتضي فيدكر حكم الشرع في الحادثة حسبما يصحها المستفتي دون أن يدرسها ويحققها . ومتوى المقتضي بيان عني محسن ليس له طابع الإلزام والمستفتي كامل الحرية في القضية المتنازع فيها إن شاء أحد المتتوي وإن شاء لجأ الى القضاء .

وصعوبة القول في بيان الفرق بين القضاء والفتيا ان حكم القاضي ملزم لان عمله منى على ولاية عامة ومتوى المقتضي عمر ملزمة لان عمله مستند الى كفاءة عليه . وبعبارة أخرى . « حكم القاضي إنشاء وإلزام ومتوى المقتضي بيان وتبيين للقاضي منشىء والمقتضي مترجم »

رضي الله عنه قام بالفتيا أمثال علي وعثمان ومعاد بن جبل وعبد الرحمن بن عوف وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبي هريرة وأبي الرداء رضي الله عنهم ممن أذن لهم الخليفة بالفتيا . ومع عمر من تصدون للفتيا بدون إذن منه .

وفي الدول الإسلامية التي قامت بعد الخلفاء الراشدين عين المفتون ليقوموا بحل المشاكل التي تحدث بين الجمهور وقد عملت الدولة العثمانية أيضاً منذ قيامها بهذه السنة الحسنة حيث عهد السلطان عثمان بأبي الدولة العثمانية أمر الفتيا إلى حميه العالم الكبير والصوفي الجليل الشيخ «إدبالي» وبعد وفاته قام مقامه صهره الفقيه طورسون في الفتيا والتدريس . ولم يكن يقوم بهذا العمل العلمي الخطير في الدولة العثمانية أي عالم كائناً من كان فكان لا بد أن يؤذن له من الجهة المختصة . ومن أجل هذا كان المفتي سواء أكان في العاصمة أو البلاد التابعة لها يعين من مركز الحكومة ويعمى كل العناية بأن يختار للفتيا الأعلام والأفقه والأروغ من بين العلماء . وأما لدرك مبلغ هذه العناية بمجرد الاطلاع على تراجم العلماء الذين تولوا الفتيا في مركز الحكومة أو البلاد التابعة لها .

وكان مفتي العاصمة يسمى «مفتي الانام» وأما البلاد والأقاليم فكان مفتوها يسمون «المفتي» فقط ثم لقب «مفتي الانام» بعنوان «شيخ الاسلام» وأول من تولى منصب الافتاء بهذا العنوان الجليل هو المولى محمد شمس الدين الفناري (١) في عهد السلطان مراد الثاني .

(١) ولقد سنة ٧٥١ هـ في قرية «قار» وقرأ على المولى علاء الدين الاسود والمولى جمال الدين الآقسرائي ولما سافر إلى الحطار لاداء فريضة الحج مر بمصر فأكرمه السلطان مؤيد واستعاد من علمائها حضر دروس أكل الدين البارقي صاحب العناية شرح الهداية وكان من رملائه السيد الشريف الجرحاني ومحمود بدر الدين السيماوي والحاج باشا الحكيم ولما عاد إلى بلاده ولي قضاء روسه =

العلماء الذين تولوا منصب القضاء وشيخ الإسلام في عهد السلطنة

محمد الفاتح :

عز الدين العجمي (١) والمولى حسرو (٢) والمولى الكوراني (٣) .

ألفيتا مؤسسة إسلامية وباقعة جداً ليس لها مثل في أى دولة أخرى

ودرس مدرسة ماسترسة ٨٣٨ هـ وكان رحمه الله عالماً كبيراً وراهداً ورعاً وقدر فيه هذه المزايا السلطان مراد الثاني فعطف عليه واحترمه مستشاراً له . توفي سنة ٨٣٤ هـ ودفن في بروسة وله مؤلفات قيمة منها « فصول الدواعي في أصول الشرائع » في أصول الفقه ، وتفسير سورة الفاتحة ، أعودح العلوم ، شرح السراجة في الفرائض .

(١) عز الدين العجمي من أشهر علماء عهد الفاتح أخذ العلم من السيد الشريف الخراساني بإيران ولما قدم البلاد العثمانية عين مساعداً (معيداً) بمدرسة بروسة واشتغل بالتدريس في بعض المدارس ثم تولى القضاء في عهد السلطان مراد الثاني سنة ٨٣٤ هـ وكان رحمه الله راهداً متفتهاً فقد أراد السلطان مراد أن يربطه مرتبه فرغضه قائلاً : « بيت المال حلال ولكن الرائد على الحاجة والكفاية ليس بحلال » وكان له باع طويل في علم الحديث وقد كتب احترام الفاتح لما أنصف به من الاستقامة والكلمات العلمية والخلفية والصلاة الدينية . وله فصل مشكور في القضاء على البرعة الخروافية التي أشدها المدعو فضل البربري وأحد ينتشر في البلاد العثمانية وكاد يعيل إليها بعض الشخصيات البارزة في الدولة . توفي سنة ٨٦٥ هـ ودفن في مقبرة مسجد دار الحديث بأدره وقام بالفتيا رمتا طويلاً يزيد على ثلاثين سنة .

(٢) سبقت ترجمته في ص ١٠٢ - ١٠٣

(٣) هو شمس الدين أحمد بن اسماعيل الكوراني وله في « كوران » أحد العلم عن علماء مصر فأحضره ابن حجر العسقلاني ولما مر المولى بكان بمصر في عودته =

ومجتمع آخر غير الدول الإسلامية والمجتمع الإسلامي والحاجة إليها ظاهرة ملحة فان الانسان الذي يعيش في حالة الاجتماع يحدث مع اخيه الانسان شتى المساسات وليس لكل شخص أن يعلم - ولو كان المفروض فيه العلم - أحكام هذه المساسات حتى الدين يزعمون لأنفسهم معرفتها ولم يعد تعليمهم مرحلة الابتدائي ، لا يستطيعون أن يحددوا حكم كل معاملة كما أن الاحاطة بأحكام العبادات ليست سهلا ولا يشذ عما ذكرناه المسلمون الذين عي دينهم بالعلم أكثر من أى دين آخر وحده باسمى مكانة في المجتمع الاسلامى حتى قرر فيما قرر من مبادئه مبدأ ليس الجهل عذرا في دار الاسلام ، وحرص على تطبيقه كل

== من البحار لقي صاحب الترجمة فاعجب منه فأخذته معه الى عاصمة الدولة العثمانية. ولما قابل السلطان مراد الثانى قال له : هل أتيت البهايمدية من البحار ؟ قال نعم ، معى رجل فاعلم عالم كامل فقيه مفسر محدث بارع فى العلوم . قال : أين هو ، قال بالبهايم ، فأرسل اليه السلطان فدخل عليه وسلم وعحدث معه ساعة فرأى فضله واعطاه مدرسة حده السلطان مراد الاول فى بروسة ثم جعله معه لولده الامير محمد [السلطان محمد الفاتح] وما أصبح الامير سلطانا اكرم استناده عية الاكرام حتى عرس عليه انوارا فاعتذر عن عدم قبولها واعاقل قضاء العسكر سنة ٨٥٥ هـ وقام بأعباء منصبه براهة وكفاءة وصلاية لا تعرف اللين وقد فترت الصلة بينه وبين السلطان محمد الفاتح حصن منه فرحل للترحم له الى مصر ورحب به سلطانها السلطان قايتباى وبالح فى اكرامه ثم لم يلبث أن رضى عنه الفاتح فدعاه الى استاسول مرة اخرى فحاج الدعوة وفلده قضاء بروسة سنة ٨٦٢ هـ ثم احتباسه سنة ٨٨٥ هـ وتوفى الى رحمة الله سنة ٨٩٣ هـ فحضر السلطان جازته تفجيد الوصيته ومن مؤلفاته : « غاية الامانى فى تفسير لسبع المثاني » و « الكون والحار على رياض البحارى » وكان رحمه الله صدوقا نواه بقوله : الله المهادى عليه اعتيادى وبضع حملة « لعلم عدمه » بدل « الله اعلم » قبل الجواب . كما يؤخذ ذلك من التادح الموحودة فى « عليه ساله من سى » [دليل للعاهد الدينية لسنة ١٣٣٤ هـ]

الحرص كدستور لا يتغير ، فانهم ، مثل غيرهم ، حاجتهم ظاهرة وماسة الى معرفة الاحكام المشار اليها من يعرفونها وليس في الاستطاعة سد هذه الحاجة بواسطة القضاء . فان القضاة مع عدم اشتغالهم بالمسائل الخاصة بالعبادات فليس من صالح الحكومات ولا الافراد أن يقال لهم في قضايا المعاملات : « دوسكم المحكمة » . فإن هذه الطريقة تؤدي بالمجتمع الى حالة حطرة ضارة جداً يعسر علاجها لاسيما في بيئة إدارية تنشر العدالة بالمسال . وفي العهود التي كان للمفتي مكانها ومكانتها في الدولة والمجتمع كان المتسارعون في قضية يرجعون الى المفتي ومنه يعملون حكمها وعموجه يحلون مشكلهم فيما بينهم . وكان من النادر أن يرجع شخص الى المحكمة ويتحمل المصاريف التي هو احوج اليها اذا اقتنع بحضته واكثر الدين كانوا يلجأون الى المحكمة هم الذين كانوا يطعون أنهم على حق . ولعدة الاسباب كان الرجوع الى المحاكم لا يقع إلا في القليل النادر . ولا شك أن ما كان عليه الافراد من حسن الخلق وأخديم بمبدأ الاعتراف بالحق لها أثر كبير في ذلك .

وصفوة القول : أن المفتين كانوا يعملون على احقاق الحق وتحقيق العدالة في الظروف والملاسات التي ذكرناها والحاجة ماسة الى إحياء هذه المؤسسة في وقتنا الحاضر . فلفرض أن شخصاً وقع أمام حادث من حوادث المجتمع لا يعرف حكمه أو أن هناك قضية ميراث او وقف لا يدري حكمها ايضاً فالى من يرجع هذا الشخص لمعرفة الحكم ؟ ومن يعرفه ؟ نعم في الامكان أن يعرفه من استاد في الفقه والقانون أو محام ولكن في مقاس جعل كبير وليس في استطاعة الجمهور الذي معظمه فقراء أن يدفع الجعل المصوب مع العلم بأن المفتين كانوا يجيبون هذه الاسئلة بدون مقابل وكان المهم تنشئة مفتين في مستوى من العلم والخلق يبعث الى النفوس الثقة والاطمئنان . وفي عهد الفاتح وماو ليه من العهود تحقق هذا المهم حيث نشأ مفتون يوثق بهم من جميع الوجوه .

الفصل الرابع

القوانين و لظم في عهد العثمانيين والفاتح

الى ما حاولت أن ابين أنواع السلطات القضائية والهيآت التي اسندت اليها هذه السلطات ولعن القراء الكرام قد كونوا فكرة عنها . اما الآن سأحاول أن ابين اجمالاً ما كان موجوداً في عهد العثمانيين والفاتح من البظم والقوانين التي تتناول المناسبات الحقوقية بالبحث والتنظيم فاذا أحضعنا تلك القوانين لظم لترتب ، رتبناها كالآتي .

١ - القوانين الخصوصية

٢ - قانون الوقف

٣ - الاراضى

٤ - العقوبات

٥ - الادارة

٦ - القوانين العامة

٧ - قانون الحرب

واما القوانين المقول إنها قانون الفاتح، مستحكم عليها في آخر الكتاب كما أشرنا اليه في المقدمة .

لما كانت الدولة العثمانية دولة إسلامية إتخذت الشريعة الاسلامية دستوراً عملت به في كل شئ . وكانت الشريعة الاسلامية كفية بتنظيم الواجبات والحقوق سواء أ كانتا بالدسبة للأفراد أم الجماعات . فان الشريعة التي تشتمل - عدا الاحكام الأساسية المنصوص عليها في الكتاب والسنة - على قواعد عامة اخرى مثل : المشقة تحجب التيسير ، و ، يختار

أهون الشرى ، و « الضرورات تبيح المحظورات » و « الحاجة تلز منزلة الضرورة عامة أو خاصة ، و « يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام ، و « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، و « طاعة أولى الأمر واجبة في أوامره المشروعة ، و « التصرف على الرعية منوط بمصلحة ، إلى غيرها من المبادئ العامة : لجذيرة بالألا يعترض سبيلها أى صعوبة في حل المشا كل الاجتماعية أو الفردية . وإنما يكفي أن يكون من يتصدى لحلها نافذاً الى روح هذه النصوص والقواعد . وما أحسن الامام الشاطبي فهماً لروح الاسلام وألمه ياباً حين قرر قائلاً : « الشريعة مصلحة ، (١)

(١) لاشك ان المراد من المصلحة ما وافق قصد الشارع وروح الاسلام لانه لما امت أهواء النعوس وشهواتها ولا سيما أهواء من صبوا الهداء للإسلام وبادوا بتفديد العرب في كل شيء . كما لا حاجة الى التنبيه على ان كون المصلحة مصلحة من قبل الشارع لا مجال للعدل فيه كما هو رأى الأشاعرة . وقد صرح بذلك كله الامام شاطبي في كتابه « الواقيات » وعن نقل منه بعض جوس في هذا الموضوع انكى معهم أقواله بعضها مع بعض .

قال رحمه الله في سياق تقرير القاعدة القائلة : إن كل أصل شرعى م يشهد له من معين وكان ملائماً لضرقات الشرع ومأخوذاً بمعناه من أدلته فهو صحيح بمنى عليه ويرجع اليه اذا كان ذلك الأصل قد صدر بمجموع أدلته مقطوعاً به : « لا يقال : يلزم على هذا إفسار كل مصلحة موافقة لمقصد الشارع أو مخالفة وهو باطل لأننا نقول لابد من اعتبار الزاوية لمقصد الشارع لان المصالح إنما اعتبرت مصالح من حيث وصفها الشارع كذلك حسبما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب

الواقيات ج ١ ص ١٧ طبع مبرالمنشوق

وقال : « والراسع أن المصالح التي تقوم بها أحوال المصلح لا يبررها حق معرفتها ، لا حلقها وواقعها وليس لعبد بها علم إلا من بعض الوجوه والذى يحق عليه منها أكثر من الذى يبدو له فقد يكون ساعياً في مصلحة عنه من وجه لا يوصله اليها =

وإذا تركنا الأحكام المتعلقة بالشئون العامة والإدارية جانباً ووقفنا على الأحكام الأخرى لانجد صعوبة في تفهم الأسباب التي من أجلها احتلت تلك الأحكام في قلوب الأمة الإسلامية مكانة لا تزول . ولا في إدراك الوسائل التي كفلت القدرة والحيوية في بيان المجتمع .

— أو يوصله إليها عاجلاً لا آجلاً أو يوصله إليها ماقصة لا كاملة أو يكون فيها معدة ترى في الموارنة على الصلحة فلا يقوم حبرها شرها وكم من مدبر أمر لا يتم له على كماله أصلاً ولا يحى منه غيره أصلاً وهو معلوم مشاهد بين العقلاء فهذا بحث الله السيبين مشرق ومشرقين فإذا كان كذلك فالرجوع إلى الوجه الذي وصفه الشارع رجوع إلى وجه حصول الصلحة . . بخلاف الرجوع إلى ما حمله . . الخ

الموافقات ج ١ ص ٢٤٣ — طبع مطبع دمشق

وقال : وكل قصد يخالف قصد الشارع باطل .

الموافقات ج ٢ ص ٨٦ — طبع مطبع دمشق

وقال . لعقد الشرعي من وضع الشريعة إخراج العبد المكلف عن دعية هواه حتى يكون عند الله اختياراً كما هو عند الله اضطراراً . . . وذكر في سياق الاستدلال على ذلك . والثالث ما علم بالتجارب ولعادات من أن المصالح الدنيوية والديوية لا يحصل مع الاسترسال في إتباع الهوى وأنشئ مع الاعراض لما يدرم في ذلك من تهارج والتقابل والهلاك الذي هو مصاد لتلك المصالح وهذا معروف عديم بالتجارب والعادات المستمرة . ولذلك اتفقوا على دم من اتبع شهواته وسار حيث سارت به . . . وهذا أمر قد توارد الفعل وحق على محنته في الحملة وهو أظهر أن يستند عليه وإذا كان كذلك لم يصح لاحد أن يدعى على الشريعة أنها وصفت على مقتضى تشبه العباد وأغراضهم .

الموافقات ج ٢ ص ١١٤-١١٦ طبع مطبع دمشق

وقال . ان وضع الشريعة إذا سلم أنها لمصالح العباد فهي عائدة عليهم بحسب أمر الشارع وعلى الحد الذي حدد لا على مقتضى أهوائهم وشهواتهم ولذا كانت التكاليف الشرعية نسيئة على النفوس والخص والعادة والتحريم شاهدة بذلك فالأوامر =

إن مجموعة نظم ومبادئ تهدف إلى أمن المجتمع وسلامته وحرية الأفراد وصيانه أموالهم وأرواحهم وأعراضهم . وتأمّر بحماية الضعيف والاستقامة في كل شيء . والتعاون على البر والتقوى ؛ هل يشك في أن هذه النظم تؤدي إلى أحسن النتائج وتضمن أكفل الوسائل لسعادة الإنسان إذا أحسن تطبيقها ؟

لقد بلغ المجتمع الإسلامي الذروة من العلى والقمة من المجد والعزة وتمتع المسلمون أفراداً وجماعات بالرفاهية والسعادة إذ كانوا يعملون بهذه النظم والمبادئ . وهووا مهاوى الذل والشفاء حين تركوا العمل بها .

وقد تطورت القوانين الخصوصية وقانون الوقف وقانون العقوبات تطوراً كبيراً حتى بلغت درجة الكمال بفضل الجهود التي بذلت سبيل عديدة . وكانت تشتمل على الأحوال الشخصية وحقوق الأسرة والميراث والملك بجميع فروعها وتفصيلها وعلى أنواع العقود والمعاملات والواجبات مستندة

إلى ما هو محرر له من دواعي طمعه واسترمان أغراضه حتى يأخذها من تحت الحذر المشروع وهذا هو المراد وهو عين معالجة الأهواء والأغراض .

للموافقات ج ٢ ص ١١٧ طبع مير العسقي

وقال . والخامس أن كون مصلحة مصلحة تشهد بالحكم والمصلحة معسدة كذلك مما يختص بالشارع لا يحسن للعقل فيه . . على قاعدة من التحسين والتفصيل فإذا كان الشارع قد شرع الحكم لمصلحة ما فهو الواضع له مصلحة والأحكام يمكن عقلاً أن لا يكون كذلك إذ الأشياء كلها بالنسبة إلى وضعها الأول متساوية لا قضاء للعقل فيها بحسن ولا قبح ودأ كون المصلحة مصلحة هو من قبل الشارع بحيث يصدق العقل وتطمئن به نفس المصالح من حيث هي مصالح قد آتت النظر فيها إلى أهم اعتبارات وما ينبغي على التعبدى لا يكون الاتصدياً .

الموافقات ج ٢ ص ٢١٩ - ضم مير العسقي

في كل هذه الى أرقى ما وصل اليه العقل من النظم والاحكام . كما كانت حقوق وواجبات الافراد والجماعات بعضها نحو بعض واحكام القضاء والتشفيذ وقوانين الحرب والقوانين الدولية التي تستند أكثر ما تستند الى الجهود والمواثيق . كان كل هذه القوانين في متناول الفقه الاسلامي بحثها بحثا وافيا وقرر احكامها تقريرا شاملا في حين أن الغرب على الرغم من كثرة ما بذل من الجهود طوال العصور لم يصل بعد الى قانون علمي معقول اكبر شفا من الفقه الاسلامي بل انه لم يملك نفسه من التقييد باحكام مخالفة للمعقوى الطبيعية تحت تأثير القوانين البدائية واعادات غير المعقولة مثل قوانين ليوان والجر من وروما . كقبوله مثلا مبدأ توحيد المال وتفريقه بشكل يناقض ومما يتضيه الاستقلال الشخصي من الحرية في التصرف ، وتقييد بعض تصرفات المرأة . وأبطله ايراد أموال الاطفال الى الآباء والامهات ، والاتفاق على تنازل الوارث عن حقه في حياة المورث ، واسقاط حق الوارث في الميراث كحيلة لانقاده من الدائنين ، وتقسيم الورثة الى صحيح النسب وغير صحيحه في الميراث ، ووضع الوالدين في الدرجة الثانية في الميراث ، واحداث حق الاتماع فيه ، والتسك بمبدأ زوجة واحدة على الاطلاق من غير أن يحسب حساب للاحوال لضرورية التي تبرر تعددها ، وما أشبه ذلك من الاحكام المخالفة لحقوق الفرد وقواعد الميراث والاحلاق والشعور العام ، المتجاهية ومصالح الفرد والمجتمع وإنا نترك تفصيل هذه الاحكام ونقدها إلى كتب الحقوق مجترئين بإشارة بسيطة اليها .

الوقف :

إن المرص الاصلى الذى يهدف اليه الوقف مساعدة الانسان من مختلف النواحي فهو إذن مؤسسة اجتماعية عاينها دفع المجتمع بشتى لطرق والوسائل .

جامع السلجانية ومدارسها ومخططاتها



والواقع الذى لا سمن الى اكاره ان الوقف أنقذ - ولا يزال - كثيرا من
الاسر والذرارى أن تقع فريسة الفقر وصاحبها من ذل المسألة والعور وأسدى
- ولا يزال - الى العلم والمعرفة والعجزة والمعوزين والشئون البلدية والصحية
والأشغال خدشات كانت هى من واجبات الحكومات وبذلك حدم الوقف
الحكومات أيضا عن طريق غير مباشر .

ومنع بمساعدته المتنوعة الجهل والعقر والفوضى أن تنتشر في المجتمع .
وما شاهده الآن من ألوف المساجد والمدارس والمطاعم الخيرية المنتشرة
في ربوع البلاد ، ومن القاطر وحداول المياه والعمون الحارة والأسلة
والمستشفيات ونور الكتب والضيافة والطرق الممهدة والحمامات كل هذه
آثار حالة نطق بما أدى ولا يزال يؤديه الوقف للساننة من الخدمات
المشكورة .

على أن كثيرا من هذه الآثار تعد مفخرة قومية نفخر بها في ميادين العلم
والفن والصناعة . فاضر اذا شئت الى جامع السليمانية كيف أنه بماذه
الاهية السامية بعقيدة لتوحيد نحو السموات العلى ، بصق على حمال استأبول
جلالا يأخذ بالآلات ويحمل الانسان واقفا أمامه في خشوع واجلال يردد
قوله تعالى : « لم يخلق مثلها في البلاد » .

واطر كذلك إلى سبيل السلسل احده هذه القطعة الفنية الرائعة كيف
تشهد بما لعمه فنايوننا من دقة الصعة والدوق المي الرفيع البديع والى المدارس
ودور الكتب كيف تنطق بما كان لنا من الهبة العلمية والنشاط الفكرى .
والى دور اشفاء والضيافة العديدة كيف أنها تتأيل أقام احداثنا تمثل
تُحمل ما فى الانسانية من عاطفة الرحمة والحنان . والى غيرها وغيرها من
الآثار الخالدة المنتشرة في طول البلاد وعرضها أفلا تراها وشاهدها حتى
الآن بعين الفخر والمباهات وشعر إزاهها بالرهو القومى ؟

لبيت المال كانت تعطى للمحتاجين الى الارض في مقابل جرة من محصولاتها او اجرة محدودة يدفعها الرارع وتسقى الارض في تصرفه الى أن يموت . وكان معظم الاراضى التى تملك الدولة رقبها تتألف من الاراضى التى لا مالك لها والاراضى التى يملكها حاكم البلد المفتوح قبل الفتح وأراضى المقتولين فى الحرب والاراضى التى تستجد بتجفيف المستنقعات والبرك وما أشبهها فكانت هذه الاراضى تفوض الى المحتاجين من الرارع في مقابل العشر او أحر محدود يسمى «مقاطعة» ويستوفى سنوياً .

وعند ما تفتح أرض ما ، كانت تخطط قبل كل شيء فتحدد مواضع الطرق والميادين والأسواق والمراعى وغيرها من المرافق العامة وقد اتسعت الدولة العثمانية فى الاراضى التى فتحوها سواء أ كانت فى الابعاد ام فى الرومى قاعدة التصويض وترك الرقعة للدولة هى التى تولت إدارتها من أول الامر ولذلك وصفت مختلف النظم واللوائح فى ادارة الاراضى على حسب مقتضيات الاحوال واطروف وآخر هذه القوانين وضع سنة ١٢٧٤ هـ وادخلت عليها تعديلات كثيرة من حين الى آخر حتى ألغيت بالقانون المدنى الذى يعترف بمبدأ تملك الرقبة .

ومنذ قامت الدولة العثمانية عنت أكثر ما عنت بالجدة وما يتصل بها من انظم والقواعد محافظة على كيانها ودفاعاً عن سلامتها كما عنت بالاراضى التى لها صلة وثيقة بالخدمة حسب التشيكالات العسكرية فوضعت اصول ادارتها فى عهد السلطان أورخان بمعرفة أخيه الكبير وريره علاء الدين «شاه» والعالم الكبير خليل الاسود الجندرى ثم توسع فيها فى عهد السلطان سليمان القانونى بموجب فتاوى التى أصدرها مفتى الانام أبو السعود العمادى حيث وضع القانون المسمى «القانون السليمانى» المشتق على كثير من الاحكام والقواعد (١) .

(١) يوجد هذه الفتاوى فى الكسب المخطوطة التى تضمها دور الكسب وفى مجموعة فتاوى أبى السعود و «على تقعر مجموعة سي» (— مجلة البحوث الشعة) .

وبناء على هذه الضرورة أيضا احصيت كل ما كان في البلاد العثمانية من
القرى والمزارع والمراعى والمسابات والمصايف والمشاتي وما إليها من سائر
الاراضى مع بيان الجهات التابعة لها إحصاءً دقيقاً من أول عهد الدولة
الى عهد الفاتح وفى عهد كل من السلطان سليمان القانوني والسلطان مراد الثالث
يشكل أوسع ودونت هذه الاحصاءات فى سجلات توجت بحط السلطان
وطفراته [= الطرة]

وسجلات الاحصاء هذه البالغ عددها سبعين وتسعمائة سجل كانت فى
الاول محفوظة فى محارن محكمة نسيابة كبيرة كما أسلفنا الإشارة اليه اما
اليوم فتحت فى محكمة القضا [= التميز] بداخل دواليب رجح فى عهدة
موظف .

وتتضمن هذه السجلات إحصاءات عن القرى والمزارع والمراعى
والغابات وأماها من الاراضى وعن الجهات التابعة لها ، وأما الاراضى التى
كانت فى عهدة الاشخاص فكانت مدونة فى سجلات «السيابية» فانهم وان
كانوا ينتمون الى الجيش مع ذلك كانوا يقومون بأعمال تسجيل الاملاك
والاراضى وحفظ الامن ويشرفون على شؤون الزراعة أيضا ، وليس بين
أيدينا الآن أى سجل من سجلات «السيابية» التى لها أهمية كبرى من الوجهة
التاريخية (١) وانما يعثر من حين إلى آخر على سندات السيابية فى حيازة
بعض أشخاص .

(١) يؤخذ من « ملى تبحر بمحوه سى » [= محله بحوث شعبيه] ١٠
أصدرها المرحوم المؤرخ عبد الرحمن شريف (بك) أن هناك محارن مليئة بالوثائق
التاريخية لم تفتح أبوابها منذ سبعين طويلة . ولعله يعثر فيها على هذه السجلات القيمة
واكن ذلك متوقف على اهتمام إدارة التسجيل بهذا الموضوع التاريخي .

ذكرنا آنفاً أن إدارة الأراضي كانت متروكة إلى الدولة حسبما اقتضته الظروف ومن جراء ذلك وجدت في البلاد العثمانية خمسة أنواع من الأراضي نتيجة لمختلف التصرفات ونحى نذكر الأنواع الخمسة فيما يلي :

١ - الأراضي المملوكة

٢ - الأميرية

٣ - الموقوفة

٤ - المتروكة

٥ - الميثة

النوع الأول : الأراضي المملوكة

هي الأراضي التي يتصرف فيها ملاكها أنواع التصرفات الملكية بدون إذن من الموطف المختص بشؤون الأراضي وكان هذا النوع من الأراضي أربعة أقسام :

١ - قطع الأرض الكائنة في المدن والقرى . وما كان فيهما من المرافق التي يتوقف عليها الارتفاع بالدور والمائى ولا تتجاوز مساحتها نصف دونم (١) .
٢ - الأراضي التي كانت أميرية ثم ملكتها الدولة شخصاً على أن يتصرف

(١) هذا ؟ ولا يكون محدد وحود أرض في مدينة أو قرية سبباً لكونها ملكاً فلا بد أن تكون من الأراضي الميثة في الأصل ثم أُنحيت على أن تكون ملكاً عند إنشاء المدينة أو القرية ، أو تكون قد ملكت من قبل الدولة للأهالى . بيد أن قطع الأرض الكائنة في المدن والقرى القديمتين وحرى فيها التصرف على أيدي ملك ، تعتبر ملكاً . وأما الأراضي التي كانت أميرية ورخص بإنشاء قرية عليها أو مدينة في مقابل أجر ربطت به ، فتظل أميرية .

دوم فسان . قديم وحديد . قديم . أربعون ذراعاً معيارياً مرعاً . والحديد : مائة متر مرع .

في جميع التصرفات الملكية وذلك بناء على مساع شرعي^(١)

٣ - الاراضى العشرية وتسمى اراضى الصدقة هى الارض التى يملكها أصحابها وتستوفى الدولة من محصولاتها العشر ولا يسقط العشر حتى ولو وقفت الارض .

٤ - الاراضى الخراجية ، وهذا القسم من الاراضى ملك ايضاً كالاراضى العشرية . والخراج هو الضريبة وهو قسمان : خراج مقاسمة وخراج وظيفة . فخراج المقاسمة هو الضريبة التى تستوفى من الخارج من الارض بواقع العشر الى الصف حسب طاقة الارض وخراج الوظيفة هو الضريبة المقررة على الارض نفسها والمستوفاة سوياً .

النوع الثانى : اراضى الاميرية :

هى الاراضى التى تفوض الى الافراد ورقعتها ليست المال كالحقول والمواع والمصايف والمشاق والعيابات العامة والخاصة .

وكانت الاراضى العشرية والخراجية ادامات ملاكهما بدون وارث ولا وصية صارتا اميرية وكذلك الاراضى التى تفرس فيها الاشجار مثل الحدائق والكروم والتى تنبى فيها المصاح ، وأرضية الخطائر والمرايض تعد من الاراضى الاميرية .

— — —

(١) ومساع الشرعى الذى يدر عليك الاراضى الاميرية هو حاجة الخيرية الى المال ووقايه الارض من العطل و تقطاع عليها وما أشبه ذلك من الحالات . لم يكن عليك الاراضى الاميرية صححاً ، من مل أى شخص كان ، اذا لم تشتتر شراء صححاً . الا أن هناك رأياً آخر يصح عوجه عليك أرض من اراضى الخيرية من يكون لهم استحقاق فى بيت المال كشوهم الحرب المحتاجين أو الذين سبقت لهم خدمات مادية أو علمية وأدوية للدولة والمجتمع .

وكانت جماعة السباهية يقدمون مساعدات كثيرة لشئون الزراعة لأن عشر الاراضى وايرادها كانت لهم ومن أجل ذلك ما كانوا يتركون أرساً غير مروعة . وبصرفون تقاوى لم ليست لهم تقاوى ويعطون مواشى لم لم يملكوها وكان لهم مركز محترم في المجتمع فانهم كانوا يملكون اسرعريقة في المجد يجمعوا الى صفتهم لعسكرة الرسمية أصالة النسب وشرف المجد وكان الشعب يحترمهم ويحلمهم وانهم يقابلون هذا الشعور بالمثل فيحمونه من العايات ويعطفون عليه ويحسون معاملته . ولا تزال لهم في المدن والقرى ذكريات حميلة يرددوها الشعب بالتقدير والإعجاب .

كانت الاراضى تورع على المحتاجين اليها وفي حالة وفاة المتصرفين او تركهم الارض وتعطيلهم إياها صارت ، محولة ، ولا يؤول الى أولادهم وسائر ورثتهم بحناً . واستمر العمل بهذا النظام الى سنة ١٩٧٥ هـ وفيها وضع قانون بموجبه كانت الارض تؤول الى أولاد المتوفى الذكور بحناً والى أولاده الإناث في مقام بدل يسمى [طابوى مثل] (١) وإذا لم يكن للمتوفى أولاد تؤول اليهم الارض آلت اولاً الى ورثته الذين يؤول اليهم ما على الارض من عقار ومان وأشجار مما يتصرف فيه تصرفاً نسبياً . وثانياً الى نسبه بك والخيط . وثالثاً الى المحتاجين الى الارض من أهل القرية

(١) « طابوى » هو الرسم الحكومى الذى يسوق مقدماً في مقابل منح حق التصرف في الارض ويستوفيه الموظف المختص حين احراء انعامه الارامه ويصدق ايضاً على الوثيقة التى تثبت حق التصرف . وأما [طابوى مثل] فهو ما يحدده الحبراء الخالون من الاعراض من الرسم انما اذكر . ولا فرق بينه وبين بدل المثل الا أن « طابوى مثل » هو الرسم المثل المعجل الذى يسوق حين تحويل الارض الى من سيتصرف فيها وبديل المثل هو الرسم المثل المعجل المسوق ممن ترسو عليه الارض في الزايدة وبهذا الاعتبار يفرقان .

وذلك في مقاس [طاپوى مثل] يستوفى من الدين تؤول اليهم الارص .
وأخيراً صرح بتحويل أراضي من يتوفون بلا ولد الى شقيق المتوفى وأخيه
لاب في مقاس [طاپوى مثل] ولو لم تكن على الارصى عقارات ومان
وأشجار . وفي سنة ١٠١٠ هـ صرح بتحويلها الى أخت المتوفى ايضاً في مقابل
[طاپوى مثل] اذا كانت من سكان المنطقة التي تقع فيها الارص المذكورة .
وبعد سنتين من هذا التاريخ شمل هذا التصريح الأنوات اللاقى لس سواكن
في المنطقة التي توجد فيها الارص . وفي سنة ١٠١٧ هـ صرح بتحويل أراضي
اسين يتوفون بلا ولد ولا أح الى آبائهم أولاً وامهاتهم ثانياً في مقابل
[طاپوى مثل] . واستمر العمل بهذه النظم الى سنة ١٢٦٣ هـ وفيها قبل
مبدأ انتقال أرض المتوفى او المتوفاة الى أولادها المذكور والإناث مجاناً
وعلى السواء . وعظم الانتقال على ثلاث درجات بموجب قانون الأراضي
الصادر سنة ١٢٧٤ هـ وأبلفت ثمانى درجات بالقانون الصادر سنة ١٢٨٤ هـ
وقد توسع في درجات الانتقال توسعاً كبيراً بموجب قانون الانتقالات
الاموال عبر المقولة ، الصادر سنة ١٣٢٨ هـ (١)

وكانت الأراضي الاميرية في الاول لا تنتقل الى الورثة ولكن بموجب
القانون الآف أصبح الانتقال قانوناً يعمل به اعتباراً من تاريخ صدوره (٢)

(١) راجع كتابنا المسمى « الميراث والتطبيقات »

(٢) « ثم اعلم أن أراضي بيت المال للجهة بأراضي امملكة وأراضي الخور
اذا كانت في أيدي زراعتها لا تنزع من أيديهم ما داموا يؤدون ما عليها ولا تورث
عهم اذا ماتوا ولا تصح بيعهم لها ولكن جرى الرسم في الدولة انصافية أن من
مات عن ابن انتقلت لاسه محاباً ولا فليت المال . ولو له بنت او اخ لاب أحدها
بالاحارة العائدة »

كان من المنوع أن تعطى الاراضى وترك من غير ررع بحيث اذا لم يزرعها من كانت فى عهدتهم ثلاث سيراوا اكثر نرعت منهم واعطيت غيرهم . وعدا ذلك اخذت منهم غرامة مالية باسم دجفت بوران آفجهسى . [غرامة معطل الحرث] .

وكان لم تكون فى عهدتهم اراض أن يزل عنها الى غيره بدل وبدونه ولكن شرط موافقة السباهى ، المقطعة له تلك الاراضى .

والاحكام المتعلقة بمدى شمول حق التصرف كانت جارية وفقا لاحكام الشرعية فيما اذا لم يكن هناك قانون خاص او مادة صريحة . وللمعرفة التفاصيل فى هذا الموضوع يرجع الى : القانون السلجاقى ، وبجامع الفتاوى . وقانون الاراضى .

النوع الثالث : الاراضى الموقوفة :

أى الاراضى الاميرية الموقوفة . وهى ثلاثة أقسام :

الاول - وقف الضرائب الاميرية - كالمشر ورسم التسجيل - المستوفاة من الاراضى الاميرية الكائنة فى عهد الاشخاص ؛ على جهة ما .

الثانى : وقف حق التصرف مع الضرائب الاميرية .

الثالث : وقف حق التصرف وحده .

فى القسم الاول تكون الضرائب الاميرية هى التى وقفت - اى خصصت او أرصدت - وفى الثانى الضرائب الاميرية مع حق التصرف ، وفى الثالث حق التصرف وحده .

وفى حالة وقف حق التصرف وحده تكون إدارة الوقف هى التى تصرف فى الارص إما بالذات او بتأجيرها للآخر وقبص الاجرة .

وهذا القسم من الوقف أحدث اول ما أحدث من قبل وليد بن عبد الملك

سنة ٨٨ هـ حيث اشأ المسجد الاموى المعروف بدمشق فحبس عليه القرى والمزارع . (١)

وهذه الاقسام الثلاثة ليست وفقاً بمعناه الفقهى وانما هى حبس [= تخصيص أو إرصاد] شئ من مال بيت المال على مصرف [= حبة] من المصارف المعزوف بها لدى بيت المال أيضاً . وإنما سميت وفقاً باعتبار دواعيها .

النوع الرابع : الأراضى المتروكة

وهى قسمان :

القسم الاول هى أراض تركت ليرتفق بها الناس عامة ومنه الطرق العامة والاسواق والموانى والمصلى والمتنزهات العامة ومواقف المراكب والدواب .
انقسم الثانى هى الاراضى المتروكة لسكان قرية او مدينة او لقرى ومدن متعددة من المراعى والمصايف والشباقى والعايات ولا ينتفع بها إلا من خصصت لهم من سكان المدن والقرى .

النوع الخامس : الأراضى الموات

وهى الارض التى ليست ملكاً لاحد مسلماً كان او غير مسلم ولم تترك للاهالى عامة أو خاصة لينتفعوا بها . وتقع على مسافة نصف ساعة تقريباً من أقصى العمران ، من المناطق الجبلية والحجرية وما إليها من مواضع غير صالحة للزراع . وأما الاراضى الصالحة للزراع فلا تعد مواتاً .

(١) وفى بقية الجمل تفصيلات فى هذا الموضوع .

وهناك رأى فقهي لا يشترط البعد عن العمران لتكون الارض مواتاً وانما المدار عده على الانتفاع فإذا كانت الارض يتفجع بها فليست بموات وإلا فموات ولو كانت قريبة .

الاحكام المتعلقة بأنواع الاراضي والوقف صحيحة وغير صحيحة منسوخة في كتب الفقه وقوانين الاراضي والكتب المؤلفة في الاوقاف . والعرض من ذكرها هنا الاشارة الموجرة الى المؤسسات الموجودة في عهد العثمانيين والفاتح . وأما تفصيل هذه الاحكام فخرج عن موضوعنا ، فنقف عند ما وصفنا .

قانون الجرائم

وقانون الجرائم المسمى في الفقه الاسلامي العقوبات ، ينقسم الى حد وقصاص وتعزير . الاحكام الاساسية المتعلقة بالحد ولقصاص مخصوص عليها في الكتب والسنة لامة . والاجتهاد فيها . والمسائل التي يسوع فيها الاجتهاد قد بينت احكامها باجتهاد كبار الفقهاء المجتهدين ودونت بجميع فروعها وتفصيلها الدقيقة في كتب الفقهية .

أقسام الحد :

الحد ستة أقسام . حد الزنا ، حد الشرب ، حد السكر ، حد القذف ، حد السرقة ، حد قطع الطريق . وقد شرع حد الزنا بالحفظ الدم والشرف ، وحد الشرب والسكر لحفظ العقل . وحد القذف لحفظ العرض ، وحد السرقة لحفظ المال ، وحد قطع الطريق لحفظ الأمن في حالة السفر .

وهذه الشارح الحكيم من وضع هذه العقوبات الصارمة الى الترهيب اكثر من التنفيذ فان الاصل في الحدود الرد . بموجب قوله صلى الله عليه وسلم : « إدروا الحدود بالشبهات ما استطعتم » فلها تدري . لاسباب كثيرة ولأقل الشبهات واذا اندرأ الحد بالشبهة وجب التعزير .

منايط التعزير :

كل ذنب لم يرد فيه حد من الشارع وجب فيه التعزير . والفرق بين الحد والتعزير أن الحد مقدر شرعا وأما التعزير فتقديره الى ولي الامر . ويكون التعزير بالقتل والضرب والحبس والتقى والتأنيب واللوم . وفي بعض الآراء بالاستيلاء على أموال المتهم على أن ترد اليه اذا أصلح شأنه . واختيار واحد من هذه العقوبات الى ولي الامر .

فانوه الحرب :

سق أن ذكرنا فيما ذكرنا من القوانين الموجودة في عهد العثمانيين والفتاح قانون الحرب ، فلتكلم هنا على هذا القانون أيضاً بناء على أهميته لنقدم فكرة عنه اجمالية .

وقد ذكرت الاحكام المتعلقة بالحرب ومعاملة الأجانب بجميع فروعها وتفصيلها في السير الكبير ، وغيره من كتب الفقه . ولا يمكننا في هذا المختصر أن نأتى بجميع مسائل موضوع تلغ من الكثرة حداً يقتصينا أن نؤلف مجلدا كبيرا وإنما نجتزئ بالاشارة الى خطوطها الاساسية .

الاحكام المذكورة في الفقه تستند الى الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة الواردتين في هذا الموضوع والى آراء المجتهدين وقد تختلف الآراء في موضوع واحد اختلافاً منشؤه اختلاف النظر في تحديد احكام الآيات والاحاديث الواردتين في حوادث وقعت في أرمئة مختلفة . وإما عندما نحاول فهم معاني هذه الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة فلا بد من أن نبحث أسباب النزول والورود والظروف والملابسات التي كانت قاعة وقت النزول والورود . ولكن هناك أحكاما أساسية تطبق كدستور خالد لا يقبل أى

تعديل فانها قد نص عليها في الكتاب والسنة نصاً صريحاً لا يتطرق اليها أى شك . ويمكننا أن نجعل الأحكام الأساسية المشار اليها كالآتي :

١ — مراعاة المعاهدات والاتفاقات واجبة . لا ينقض العهد سواء أكان خاصاً بأصل الحرب أم بفروعها ما لم ينقضه الطرف الآخر بالفعل أو بتيقن أنه سينقض^(١) .

ولا تجب مراعاة العهد في الحالة الأخيرة — أى في حالة التيقن بالنقض ولكن يجب إخطار الطرف الآخر بأن الاتفاق المبرم معه سينقض .

والحق الذي لا مراء فيه أن مراعاة العهود واجبة من جميع النواحي فانها كما تجب من الوجهة الخلقية فكذلك تجب من حيث مصلحة المجتمع فيه اذا لم تبق قيمة للكلام والعهود لا تبقى اى قيمة للإنسانية فلا يبقى في الدنيا شيء يوثق به فيرتفع الأمان ويحتل الأمن والهدوء في المجتمع فيقوم مقامه الخوف والاضطراب والقلق وما يتبعه من سوء الحال .

ولذلك وصف الله سبحانه وتعالى نقض العهد بأقبح الأوصاف أعنى به الخيانة فقال عز وجل : « وإما تخافن من قوم خيانة فأنذ بهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » الآية ٥٨ الأنفال .

٢ — في حالة الخصومة والخلاف مع العدو يختار الأوفق للمصلحة من الحرب والصالح حتى يمحور في حالة الخطر قبول الصلح بدل .

٣ — لا يقتل أسرى الحرب ولا يؤذون اذا أمن جانهم .

٤ — لا حرج على الأطفال والمرضى والشيخوخة والعاجزين عن القتال والنساء اللاتي لم يشتركن فيه ورجال الدين حتى يستثنى هؤلاء من دفع الجزية عند عقد الذمة .

(١) يكون النقض معتبراً اذا وقع من قبل الأمير أو الجماعة وأما مخالفة بعض أشخاص لا يمثلون الجماعة فلا يعد نقضاً للعهد .

هذا ، ولا يسعى أن اترك هذا الموضوع قبل ذكر القصة الآتية التي قصها علي صديقي العزيز استادا الجليل فطين كوكس مدير المرصد السابق باستانبول واتي أنقذها كما سمعته من فمه قال : « كان الكونت استرولوج المستشار لقانوني الانجليزى فى الباب العالى قل الحرب العالمية الأولى جارى بحى « قنديللى » ، وكما نتقاس وتتحدث ولما أعلنت الحرب سافر الى بلاده وبعد أن وضعت الحرب أوزارها عاد الى استانبول فعدها تقديرا وتتحدث كالاول وكان أكثر أحاديثنا تدور على حوادث الحرب وكان أكثرها إثارة لاهتمامى الحادث الآتى : قال لكونت : عقد مجلس حرب كبير عقب هزيمة الانجليز فى كوة العماره وحضرت المجلس بوصفى مستشار الشؤون الشرقية فى أمالس الخريفة وفى أثناء المداولة قدم وزير الخريفة الى لوئيد جورج رئيس المجلس عدة برقيات وبعد أن اطلع عليها الرئيس قال : أيها البادة لست أستصع أن أفهم : جيوشنا ، نحن الأمم المتمدينة ، تكاد نقطب وحوشاً صارية فى حالة الحرب والقتال ، وجنود الترك لدير نعدهم متوحشين يكونون تمديدلين . هذه البرقية وردت من قائدنا فى العراق يشير فيها الى الخطابات التي تلقاها من قوادما الاسرى لدى الترك ويقول : إنهم يمدون من الترك معاملة حسنة تفوق العادة فانهم يوفرون لاسرايا جميع الوسائل الكفيلة براحتهم ويداوون جراحهم فى حدود امكانياتهم فليست أدرى العواامل التي تدفعهم الى ذلك . ومضى الكونت يقول : وبعد أن أبدي بعض آراء فى الموضوع قال وزير الخريفة : أنا أيضاً فى حيرة شديدة من هذا الامر : اسرنا فى إحدى معارك المرديين ضابطان وبعض جنود جرحى فوصعوا فى قاعة [عبر] للمعالجة وكانت بجوارهم قاعة أخرى تضم جرحى نفهين من الجنود الألمان ولم تكد أعينهم تقع على جرحانا حتى انقصوا عليهم يربدون الفتك بهم ولم يتقدم من أيديهم الا بعض الجرحى من الجنود

الترك المعالجين هناك . وبينما نحن الانجليز نحاول أن نصرب الترك في صميمهم ضربة قاصية فإنهم يقابون ذلك بمثل هذا العمل الإنساني . وبعد أن أتم وزير الحرية كلامه طلب أحد الحاضرين الكلام فقال مشيراً الى : حل هذه المشكلة عند الكونت استرولوج فلترك اليه الكلام . فقلت : المسألة بسيطة جداً نحن معاشر الأوربيين لم نعرف أن هناك أحكاماً وواجبات تحب عبي المائتين مراعاتها إلا قبل عصرين تقريباً فوضعناها في شكل قانون يتطور نحو الكمال بمضى الزمن ، وأما الاسلام فقد عرف هذه الأحكام والواجبات قبل ألف سنة وتزيد ، وعم بها كقانون إلهي حتى أصبحت سجة فيهم . وهنا انتهى السكوت كلامه وأنا ذكرت له ما أسعفتني به الذاكرة من أحكام الحرب نقلاً من ترجمة السير الكبير فشكرني ، انتهت القصة .

نعم أيها القارئ الكريم لم يكن في العالم شيء اسمه قانون الحرب في حين أن الاسلام عرفه قبل ١٣٠٠ سنة وزيادة ونظم ما سيحدث بينه وبين غيره من الأجانب حكومة كانت أو أفراداً من العلاقات والمناسبات في صورة تشريع مستند إلى حكم عالمية .

وأما المعاملة التي يجب أن يعامل بها الأجانب فقد ذكرنا آنفاً وجوب مراعاة العهود والاتفاقات التي تعقد مع الأجانب . إذن يجب أن تعامل رعية أي دولة أجنبية في حدود الاتفاق الذي يعقد معها ، فتراعى أحكام الاتفاقات المعقودة فعلاً — حتى صمتاً — ما لم تنقص من الطرف الآخر .

ولمعرفة أحكام الأمان والمستامن وغير ذلك يرجع إلى كتب البقية .

الفصل الخامس

النظارة والتفتيش

كان القضاة تحت إشراف قصاة العساكر وطارتهم العامة كما أسلفنا فكان قضاة الأناضول تحت إشراف قاضي عسكر الأناضول العام وقضاة الروملى تحت إشراف قاضي عسكرها العام . وكانت أعمال القضاة تفتش من حين لآخر إذا كان هناك ما يدعو الى التفتيش ويؤخذ من الوثائق التاريخية القديمة أنه في عهد السلطان محمد جلبي الأول (جد محمد الفاتح) عين جمال الدين محمد جلبي مفتشاً عاماً على القضاة باسمه . حاكم الحكام العثمانية ، وكان يشرف أيضاً على الأوقاف (١) . ثم اختلفت على نظم تفتيش الأوقاف تحولات عدة .

فصل السلطان محمد الفاتح في بداية حكمه الموظفين الذين حامت حولهم شبهة وعين بدلا منهم من توافرت فيهم الكفاءة والاستقامة (٢) .

وكان رحمه الله يأمر عماله في المراسيم التي يصدرها اليهم أن يتحذوا العدل والانصاف شعاراً لهم ويساووا بين القوى والضعيف ، وبين الشريف والحقير

(١) يراجع كتاب «أوقاف همايون بطارنتك تاريخچه» تشكيلاتي وطارنتك تراحم
أحوالى » [تاريخ تشكيلات نظارة الأوقاف السلطانية وتراحم النظر]
(٢) يقول المؤرخ كيريتو دولوس : « وبعد ذلك عمد الى شؤون محكمته وفتش
ادارتها وفصل الولاة والحكام الذين كانوا موضع شكاية الاهالى . وصب بدلا منهم
من توافرت فيهم الحاصل الحميدة من دوى العقول المستنيرة والكياسة والشجاعة والعدالة
وكان أقدم آماله أن تعم رعاياه بنعمة العدل » .

(ترجمة تاريخ السلطان محمد خان الثانى)

في الخصومة والادارة ويدفعوا أذى الظالم عن المظلوم . ولم يكن يكتفى بمجرد اصدار الاوامر والمراسيم بل كان يراقبها بعد إصدارها ليعرف نصيبها من التنفيذ .

وكان على ثقة تامة بأن عماله عامة ومحاكمه خاصة تسيران على منح العدل والحق وبناء على هذه الثقة طلب الى بطريرك الروم في القسطنطينية أن يختار قسيسين ليوفدهما الى بلاد العثمانية بمهمة تفتيش المحاكم الموجودة فيها والاطلاع على سير العدالة فيها عن كثب والمقارنة بينها وبين محاكمهم المملعة . وقد أختار البطريرك قسيسين من ذوى الكفاءة والاستقامة فأمرهما بالفتح بأن يطوفا بالبلاد العثمانية ويطلعا على حالة المحاكم ثم يقدما اليه تقريراً يتضمن مشاهدتهما وملاحظتهما كما هي بكل حرية وبدون محاباة ودفع اليهما مرسوماً سلطانياً بين فيه المهمة التي أوفدا من أجلها . فلما عادا من مهمتهما قدما التقرير الآتي :

« أن المحاكم التي أقامها السلطان في أربالات بلاده تسير على منح العدالة كالمحاكم المؤسسة في استانبول فإذا دامت هذه الحالة فإنا نجرأ على أن نطمئن جلالته بأن حكومته العادلة القوية ستصل عما قريب الى أقصى مراحل التقدم وتندوم دولته وتمتع رعاياه السلطانية بالرعاية والسعادة » .

ولاشك أن العناخ حين أوفدهما بالمهمة المذكورة كان متيقناً من ظهور هذه النتيجة كما أشرنا اليه آنفاً فإنه كان يعلم يقيناً كيف تسير الأمور في مملكته وكيف أن قصاته يؤدون أعمالهم بكفاءة ونزاهة ويتوخون العدل في أحكامهم . وجدير بنا أن نكرر هنا مرة أخرى أن تفتيش "القضاة" كان من الوجهة الخيرية والنشاط العلمي والآداب التي يجب على القضاة مراعاتها . وأما من الوجهة القضائية وإصدار الأحكام فلا . إذ لم يكن يؤاخذ أحد من القضاة من أجل رأى أدى اليه اجتهاده فحكم به مادام موافقاً لروح الاسلام فإنهم كانوا مستقلين استقلالاً تاماً من هذه الناحية .

وقد استمر الامر على هذه الوتيرة بعد عهد الفاتح أيضاً . ويعترف بذلك حتى الغربيون . يروى مونتسكيو في بعض هوامش كتابه المعروف « روح القوانين » نقلاً عن فولتير ما يأتي :

« لا يتدخل الماشوات باستايبول في الشؤون العادلة . فالاجبار المنافية لذلك غير صحيحة . يصدر القضاة الحكم الاتدائي . والقضاة تابعون لقضاة العسكر وهم تابعون للصدر الاعظم . وهو يصدر الحكم بالمداولة مع الورراء الآخرين . وفي الغالب يستمع السلطان إلى المداولات من وراء حجاب . وفي المسائل الهامة يرفع الوزير مذكرة عنها إلى السلطان سائلاً رأيه . ويبدى السلطان رأيه فيها ببضع كلمات يكتبها على المذكرة فتنتهي المسألة بهدوء وسرعة فائقة . فليست هناك حاجة إلى المحامين وكلاء النيابة ولا إلى أوراق الدفعة والاوراق الرسمية . وأعضاء المجلس يبدى كل منهم رأيه ولكن بدون أن يرفع صوته ولا تؤجل أى قضية أكثر من سبعة عشر يوماً . من الحكم يبنى على الحادث الواقع لا على الحق . ومن أجل ذلك يرجع في الشرق إلى الشهود في الشؤون الادارية وقد يكون المدعون ولشهود عرصة لعقوبة الضرب بالعصا » .

يظهر أن فولتير يقصد بقوله إن الصدر الاعظم . . . الخ قرارات الديوان الهيايوني التي أسلفناها ويا ترى هل الدين تولوا مشئون الجمهور في الغرب في عهد فولتير كانوا من أولياء الله الذين رفع عنهم الحجاب واطلعوا على العيب وحكموا بدون مشهود ؟ ! وأما حكاية الضرب فهاهي إلا حديث خرافة .

وحلاصة القول : إن التمساة العثمانيين من بداية عهد السلطان عثمان حتى النهاية كانوا علماء متدينين مستقيمين متوحين العدالة في أحكامهم . وقد استمرت السلطة القضائية العثمانية في كل العهود قوية عادلة نزيهة بحيث يصح أن يقال : « إن في البلاد العثمانية محاكم وقضاة » .

وأما ما يعزى إلى السلطان بايزيد الأول الملقب بيلديرم [= الصاعقة] من حبسه قضاة بعض السلاط في مكان واحد ومحاولة حرقهم عقوبة لهم على ما نسب إليهم من تهمة أحد الرشوة ، وانقاذهم من هذا الخطر بتدبير بعض الدماء : فلا يمكن قبوله كحادث صحيح واقع اد ليس من المعقول أن حادثاً خصبراً مثل هذا الحادث تذهب ازاءه محاولات كبار رجال الدولة سدى ويحل بوساطة تديم خصى جاهل .

لذلك يروى أحمد راسم (بك) الحادث بصيغة الشك ويستبعد وقوعه قائلاً : إما ازداد ظلم القضاة للجمهور حقيقة فزاد حنقهم وكثر شكواهم وإما أرادت الحكومة أن تظهر للشعب بمظهر الساهرة عن مصالحه والمعنية بشؤونه وأيا كان الأمر فقد امتشاط السلطان بايزيد الأول غضباً بجمع القضاة الذين حامت حولهم الشبهة . . . الخ (١) .

(١) واثبات انهموم من الحقائق أن هذه الشكاوى لم تكن من الرشوة وانما كانت من فداحة الرسوم التي كانت تستوفى من الوثائق كالأعلانات والحجج . ومن المعلوم أن القضاة الذين ليست لهم رواتب كافية يعمل لهم شرعاً أن يأخذوا من أهل الوثائق التي يمررونها بحرة بالقدر المعروف ويحدد القدر المعروف بقدر النعم والمؤرجون متفقون على أن القضاة في عهد السلطان بايزيد الأول لم تكن لهم رواتب كافية حتى انقصاة في العهد الأخير مع أنه كانت لهم رواتب مقرررة كانوا يأخذون احرة من بعض الوثائق .

وتشرح الكتب العتيقة هذه المسألة كالآتي :

« ويحل للقاضي أحد الاحرة بكتب السجلات والوثائق قدر ما يأخذه في امثاله في تحرير الكتابة والعلم بالشروط . قال نجم الدين ابراهيمي : والاصح انهم قد يقدرون المشقة وقد ازداد مشقة كنة الوثيقة في أحاسن محتلفة يبلغ ماليتها مائة على مشقة كتب الف الف النقود ونحوها »

شرح القدوري للرازي ملخصاً من فتاوى على الخالي

والخلاصة : أننا من أول الكتاب إلى هنا حاولنا أن نشرح التشكيلات العدلية والحكومية للعهد الذي نحاول أن ندرس الحياة العدلية فيه ونبين المستوى العلمي لقصائنه وسائر عماله . وقد اعتمدنا في دراستنا على المصادر الموثوق بها ولم نجعل في كتابنا مكاناً للخرافات والحوادث المشكوك في صحتها . مثلاً لم نذكر فيه ما يروى من أن السلطان محمد القانق أمر بقطع يد المعمار الذي بى مسجده لأنه خالف بعض أوامره ، وأن المعمار رفع قضية ضد السلطان وطرقت القضية أمام قاضي استانبول وحكم بإدانة المعمار . . . الخ الحادث الذي تناقله الالسن حتى الآن ووجد مكاناً في الكتب الاجنبية أيضاً . فقد أهملنا هذا الحادث لأننا لم نطلع عليه في المصادر الموثوق بها . فإن الغرض الذي نهدف إليه أن نروى للحلف الحقائق كما هي . إذ لا جدوى في وضع وقائع لا أصل لها أو تحريف الحوادث الواقعة . بل الامر على العكس يفتح طريقاً الى الشك في الوقائع الصحيحة كالتهمة التي وجهها مؤرخو الغرب والبريطانيون الى القانق بدافع الحقد والعداوة فانها لم تفد شيئاً سوى إثارة الشك والريبة في صحة ما قالوا .

وبعد ما أسلفناه من البيانات ، نستعرض الآن منظر الدولة التي على رأسها هذا العاهل العظيم ، فإذا نرى ؟ نرى دولة تعيش في أمن تام من العدوان الخارجي ليسها جيش باسل ذو تاريخ مجيد وشرف عسكري يوثق به في الملمات ويطمئن اليه كل آن ، يحرسها ويحمي زمارها ويدفع عنها ما يهدد كيائها وأمنها . ورعية يعم أفرادها برفاء وهدوء بالداحل ، كل فرد منها مطمئن الى ماله وروحه وعرضه وبعبارة اخرى وأحصر مطمئن الى جميع حقوقه . ومحاطة على هذا الهدوء والاطمئنان انتشنت المحاكم في كل مكان وبثت حفظه الامر في أرجاء البلاد . توجد مكاتب في أصغر قرية من البلاد ومدارس عالية في المدن الكبيرة وجامعات في عاصمة الدولة وتزخر أنحاء البلاد بالمؤسسات المدنية والعسكرية



مثال من العمالة التركية

صوره تلى الحاج يفتحه بحواذ البحر عدداً إلى الأسطوخ يقوه بحركة غير صائفة

والادارية والبلدية والزراعية . والصرائب من القلة بحيث يصح معه أن توصف بأنها لا شيء . والمعيشة سهلة يسيرة وأيراد الدولة يفي بمصروفها بالآمال بلغ . وتنشأ بما فصل منه مؤسسات خيرية مدنية صناعية .

ورئيس الدولة ذؤوب على العمل يواصل الليل بالنهار بدون فتور ولا ملل . ويأمر وزراءه وأمرائه وحكامه وسائر عماله بالسير على منح الحق والعدل وبمحبة المظلومين . ويراقب أوامره هل تنفذ أو تهمل ؟ دولة هذه صورتها التي يراها من يستعرضها فهل يتصور فيها شيء غير الأمن والعدل ؟ نحيل تقدير ذلك الى القارىء الكريم (١) .

(١) سفل فهايلي بعض مقتطعات من مراسيم السلطان محمد الفاتح تأييداً لما قلناه أولاً : من البراءة الصادرة الى عيسى باشا أمير امراء [بسكر بكى] الاناضول في سنة ٨٥٥ هـ .

و . . . وهذا أيضاً يجب عليه أن يتخذ السير على منح العدل والاصاف شعاراً له ويتجنب الظلم والمخانة عند الفصل في الخصومات وإجراء الحكومات . ولا يؤثر القوى على الضعيف ولا يميل الى الشريف دون الموضع . وأن يمين المظلومين دائماً ويحصل دفع شر الظالمين في مقدمة أعماله . ويتعقب المصومين والباعة ويقص عليهم حيثما وجدوا ويدفع عن الشعب أدام ولا يدع الفساد ينتشر في علة عنه فيقص عليه في وكره حتى يكون الافليم محفوظاً من المارة وحرف الاعداء ويعيش السكان في أمن وسلام مواظبين على ترديد الدعوات الخيرية للدولة القاهرة أيدها الله . الخ ثانياً : من الرأه العطاة للوزير احمد باشا :

و . . . ويجب عليه أن يسط ظل الرحمة على الجمهور ويعمض جناح الرأفة للشعب الذي هو وديعة الله تعالى لدى الحكام حتى يشاهد في مرآة الاعمال سباه الآمال وتحنى ثمرة السرور من شجرة الأمانى »

وما أشبه ذلك من الراسيم والأوامر . ويجب أن يعلم أن هذه المراسيم لم تكن مجرد كلام انشائي ينمق لمرص أدبى وإعما كانت تصدر لتبعد بكل دقة وبخدا فبرها وكان إهمال كلمة منها يعرض للمسئول لأشد العقوبات .

حاشية

قلنا في مقدمة الكتاب إنما سنبدى في الحاشية رأينا في قوانين الفاتح فقد
آن لنا أن نتجز ما وعدنا به .

مع الدين الاسلامى رئيس الدولة التى دستورها الشريعة الاسلامية
معنى سلطات فى وضع قوانين واصدار أوامر وهذه لسلطات وان كانت
معروفة للدين درسوا الفقه الاسلامى فمع ذلك نرى من المناسب أن تقدم
بعض معلومات إحصائية عن مدى تلك السلطة المخولة .

تمتج للشريعة الاسلامية ولى الامر سلطة اصدار قوانين فى الامور التى
تركها اليه تقديرها بما لا يمس فيه من الشارع بشرط ألا يحرم الحلال ولا يحل
الحرام ولا يتخالف الحقوق الطبيعية والأوامر الصادرة من قبل ولى الامر
واجبة الصراحة . ومن فروع هذا الاصل أن تقدير العقوبة فى باب «التعريض»
الى ولى الامر وهو الذى يحدد نوع ومقدار العقوبة التى لم يرد فيها نص من
الشارع وأما العقوبات المنصوص عليها كالحد والقصاص فلا مساع لاصدار
أمر يخالف حكم النص . على أنه اذا سقط القصاص بعفو ولى السم او ابدأ
الحد بالشبهة فتقدير العقوبة اللازمة بعد ذلك يرجع الى ولى الامر أيضاً .
ولولى الامر اصدار قوانين تتعلق بكيفية إدارة الأراضى التابعة لحكومته
وشؤون الإدارة العامة وله أن يأمر الرعية بالعمل بما أدى اليه اجتهاده .
ان كان أهلاً له . فى المسائل التى يسوع فيها الاجتهاد ، او رأى أى مجتهد آخر
يراه موافقاً للمصلحة العامة . وساء على هذا الاساس جاء فى المذكرة الايصاحية
التي قدمت لاستصدار المرسوم السلطاني بالعمل بمجلة الاحكام ، (١) ما تعريبه :
« اذا أمر امام المسلمين بالعمل بأى رأى فى المسائل المجتهد فيها يجب
العمل به » .

فالقوانين التي تتألف من فتاوى المحفورة وفق الامام أبي السعود العمادى والقوانين الصادرة بعدها المتعلقة بشؤون الادارة العامة وإدارة الاراضى ، ومجبة الأحكام المدعاة كل هذه القوانين تستند على الاساس المذكور آنفاً .

وخلاصة القول : ان بولى الامر أن يصدر قوانين إدارية وجزائية ومدينية فى حدود ما سمحت به الشريعة الاسلامية من سلطة ولكن يجب أن نكرر هنا مرة أخرى أنه ليس له لستة أن يصح قوانين تحالف المبادئ الاساسية العامة التي تهدف الى صيانة الأرواح والأموال والأعراض والحرية فى العمل وحماية الضعيف . فمثلاً ليس له أن يصدر أمراً بمصادرة أموال الناس بغير وجه حق ولا بطرح صرائب على الرعية فوق طاقتهم ولا بقتل شخص بدون سبب شرعى ولا بإباحة الرقى والميسر وما الى ذلك مما يبيع المحرمات ويحرم المباحات وعليه أن يراعى مصلحة المجتمع فى تصرفاته فان تصرفاته المصرة بمصلحة المجتمع لا تكون مشروعة .

ومن أمثلة التصرفات غير المشروعة أن يعفو عن مقتضى الحرائم الواجب عقابهم بدون أن يكون هناك ما يدعو الى العفو عنهم خصوصاً فى الحالات التي يفتب فيها حق الأفراد . وأن يؤثر بعض الطوائف بالاراضى الاميرية ؛ رن مرجح ولا مراعاة الاحتياج . ويقف الحقوق التصرفية الخاصة بمعظم الاراضى الاميرية ، وبصرف مال الدولة لاشخاص لا يستحقونها . ويقرر لشخصه او لحاشيته رواتب اكثر من الروم والحاجة . فأمثال هذه التصرفات غير مشروعة لأنها على حساب المجتمع . وأما الذين أسدوا الى البلد خدمة بغيرهم او سيوفهم او سياستهم او اكتشفاتهم فمن المشرو أن يقرر لهم ولاسرهم المحتاجة رواتب او يأمر بصرف مكافآت لهم .

فصداً يبحث عن مشروعية أى قانون من القوانين او عدم مشروعيته ينبغى أن يبحث على هذا الاساس .

وبعد هذا التمهيد الموجز نشرع في القانون المقبول إنه قانون الفاتح ، هل هذه اللسنة إليه صحيحة أولا ثم هل هو مبني على ما ذكرناه من الاسس أولا ؟

قوانين عهد الفاتح :

ولكي نكون فكرة عن قوانين عهد الفاتح يجب أن نستعرض الاسس التي قامت عليها الدولة في مبدأ قيامها والتطورات التي احتلفت عليها الى عهده رحمه الله . لذلك نذكر أولا النظم والقوانين المدونة في تاريخنا من عهد مؤسس الدولة الفارسي عثمان دون أن نقف عند النظم الخاصة براسم التشريفات والالقباب عما لا خطر له في حياة الدولة وإنما نعلم بالمؤسسات والنظم الاساسية ثم نبدي ملاحظتنا على المجموعة التي تضم القوانين المنسوبة الى السلطان محمد الفاتح .

أقام الفارسي عثمان دولته على أسس الشريعة الاسلامية وجعل نشر الدين الاسلامي غاية له (١) وسعى جهده للوصول الى هذه الغاية السامية حتى تقوم دولته على قواعد الحق والعدل وتسير على منهجهما .

ولما أحس رحمه الله بدنو أجله أوصى ابنه اورخان بك قائلا : هانذا أموت ولكنني غير آسف لانني تارك خلفاً مثلك كن عادلاً صالحاً رحيماً وابسط على الرعية حمايتك بدون تمييز واعمل على نشر الدين الاسلامي فإن

(١) الشروع في الحرب إبتداء للعاية المذكورة فرس كفاية . والدفع ومنع العدوان فرس عين . ولا يجب الجهاد على الاطفال وغير القادرين . والصلح مع العدو حائر للمصلحة كما أشرنا اليه فيما تقدم . وتحب مراعاة شروط الصلح والمهاد . وعقد الصلح في نظير المال جائز . يؤخذ في حالة الحاجة ويمطى في حالة الخطر . وإذا دعا الى الامر الرعية الى الجهاد فالاجابة واجبة والمخالفة توجب التمزير .

هذه هي واجبات الملوك على الارض . . .

وعلى رواية المؤرخ عاشق باشا زاده أوصى بما يأتي :

« إذا مت فادفني تحت تلك القبة الفضية في بروسه وإذا كلفك أحد بشيء لم يأمر به الله فلا تقبله واسأل من يعلم إذا كنت لا تعلم علم الدين » (٢) .

(٢) اختلعت الروايات في نصائح العارفي للشاراليه لابنه ويمكننا أن نحملها كما يأتي :

« قدم الاهتمام بأمر الدين على كل شيء . ولا تقتر في اللواظبة عليه . لا تستعبد الأشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدين ولا يهتمون الكبار ويضعفون في الفحص وحائب البدع المصرة وباعد الدين بخرصونك عليها وعلى الظلم . وسع رقعة البلاد بالجهاد واحرس أموال بيت المال من أن تنبذ . واعمل على إتمام ثروة الدولة . واعطف على رجال الدولة الذين وقعوا حياتهم على خدمتها بصدق وإخلاص وابسط حمايتك على أولادهم ودراريهم . واضمن للمعوزين قوتهم لا تعد يدك إلى مال أحد من رعيتك . وابدل عطفك وإكرامك للمستحقين خصوصاً اعمل على حسن استخدام طوائف الجند وتوفير الراحة لهم .

وبما أن العلماء والادباء بمثابة القوة للثبوت في جسم الدولة فاعطف عليهم وشجعهم وإذا سمعت بأحد منهم في بلد آخر فاستقدمه وأعره بالمال والأكرام حتى يقيم في بلدك حذار حذار لا يترك المال ولا الجند . ولا تبعد أهل الشريعة من بابك ولا تمل إلى عمل يخالف أحكام الشريعة فإن الدين غايتنا والهداية منهجا . حدد من عبدة . حضرت هذه البلاد كسمل ضعيف فاعطاني الله تعالى هذه النعم الجليلة . فالزم مسلكي واحذر حذوي واعمل على تعزيز هذا الدين الحمدي وتوفير أهله مع سائر رعيتك الطليعة . ولا تصرف أموال الدولة أكثر من لزوم ولا تنص على أخلافك بنصائحك واحم رعيتك من الظلم »

قلت فيما تقدم إن الشريعة الإسلامية منحت ولي الأمر بعض سلطات وحاولت أن أبين مدى هذه السلطة بقدر ما سمح به الموضوع وسأحاول هنا أن أبين كيف استعملت تلك السلطة وغرضي من هذا البيان أن من يطلع عليه يكون فكرة إجمالية عن وجه الحاجة إلى القوانين وتطوراتها نحو السكال (١) .

وقلت في كتابي "منصق الحقوق" : أن المجتمع الإنساني في حاجة إلى حمة قوانين مكفولة التأييد والتنفيذ للحفاظ على الأمن والهدوء والنظام . وهذه القوانين بطراً عليها من التعديل والتغيير بين حين وآخر ما تقتضى به مصالح الأفراد وجماعات تبعاً لتطوراته الحالة الاجتماعية والدولة وإن كانت تملك وضع القوانين فانه يجب أن تكون مستمدة من مصادرها الحقيقية فلا تصاع القوانين مخالفة للحقوق الطبيعية ولا تستجيب حاجات الإنسان الحقيقية . . . الخ وإذا تتبع لقاري "الكري" قوانين الدولة لغتهاية وتطوراتها من أول قيام الدولة إلى نهايتها أدرك مبلغ أصابها الحقيقية فيما رأيته في الكتاب المذكور .

(١) القانون هو القواعد العامة لموضوعة من قبل ولي الأمر لشطاع من قبل الرعية . وينقسم باعتبار الشمول إلى مطلق وسبي وقد يسمى بعض القضاة الشخصية قانوناً .

وينقسم باعتبار تعلقه بالعام أو الخاصة إلى قانون عام او قانون خاص . فالقانون العام في وقتنا الحاضر هو القانون المدني والقانون الذي والقانون العسكري والقانون الحراني [- قانون العقوبات] والقانون الخاص هو القانون التجاري . الخ وهذه القوانين أما دائمة أو غير دائمة . فالدائمة يعمل بها طوال المدة المحددة لها وينتهي العمل بها بانتهاء مدتها . تقسم القوانين إلى هذه الأقسام معيد جداً فانه يسهل للباحث مهمته .

أعلن الغازى عثمان الاستقلال فى جمادى الأولى سنة ٦٩٩ هـ مبدأ عمله كرئيس دولة ناشئة بتعيين قاضى و«صوباشى» (١) الأول يمثل السلطة القضائية والثانى السلطة الادارية والتنفيذية . وكانت الشؤون كلها من العدلية والمدنية والعسكرية والسياسية والادارية والبلدية تدير وفقاً للأحكام الشرعية . ويتولى تنفيذها السلطان وأمرأه السناحق [= سنجق بكلى] و«صوباشى» لم تكن هناك فى أول عهد الدولة ألقاب كلقب الورير والوكيل وما إليهما ولكن نجليه السجيين أورخان وعلاء الدين كانا يقومان بعمل الوزير وكانت قيادة الجيش عهدت إلى أورخان بك من قبل أبيه .

كالم تكن فى ذلك العهد جنود منظمة فكانت قوة الدولة العسكرية مؤلفة من المجاهدين الذين يكونون تحت إمرة السلطان ينفرون اذا استنفرهم . وكلما اتسعت رقعة البلاد بالفتوحات المتوالية إقتضت الحالة توسيع التشكيلات الادارية فقسم الغازى عثمان البلاد التابعة له الى ألوية وقضاعات فأقطعها للأشخاص الذين اختارهم من المجاهدين الذين قاتلوا معه فى الاستيلاء على تلك البلاد فأقطع «سلطان اوى» لاسه الغازى أورخان و«اسكيشير» «لسكوندوز آل ب» «وقلة» «إين اوى» [= ابنونو] لاويغور آل ب . و«يارحصار» «لحسن آل ب» «إينه كولى» لطورغود آل ب .

كان إيراد الدولة يتكون من الغنائم والجزية والعشر ورسوم المعادن والملاحات وكان مصرفها جد قليل . وكان معظم المنشآت الخيرية تدار بإيراد أوقافها كما أن المساجد والمدارس الموجودة قبل العثمانيين تدار بإيراد الاوقاف المحبوسة عليها .

(١) «صوباشى» مركب اصافى معناه الاصلى رئيس الجند فان كلمة «صو» فى اللغة القديمة بمعنى الحد و«باش» بمعنى الرئيس و«الياه» أداة الاضاقه . ثم أصبح عاماً على المحتسب والوليس ويسمى بالعرية «الشحنة» .

وكان السلاطين الاولون لا يرهقون الشعب بضرائب باهظة متنوعة حتى ان الغارى عثمان لم يوافق على استيفاء رسم قليل جدا من الذين يختلفون الى الاسواق لبيع بضائعهم الا بعد مناقشة طويلة جرت بينه وبين رجاله وأصروا فيها على استيفاء الرسم حتى أقصوه بانه عادة متبعة في جميع البلاد . فقرر استيفاء رسم بواقع « آفتجين » عن كل حمل من الذين يأتون الى الاسواق ببضائع اذا باعوها وعدم أخذ شيء إذا لم يبيعوها (١) .

وكان التصرف في الشؤون الادارية والمدنية في الاولوية متروكا الى امرائهم . والى القضاة في القضاة . وأما الشؤون الشرعية والبلدية والاحتساب فكانت الى القضاة سواء في الاولوية أو القضاة .

(١) يروى عاشق باشا راده في تاريخه هذا الحادث كما يأتي :

لما عين قاص و « صوباشي » أصبح الجمهور يظلمون الى قانون حتى حضر شخص قادمًا من « كرميان » فأبدي رغبته في الترام رسم السوق فقال القوم : قابل الأمير [اي الغارى عثمان] فقال وعرض عليه المكسرة فقال له الغازي : هل لك دين على أهل السوق فتريد أن تستوفيه من مالهم ؟ قال الرجل : مولاي هذه عادة في جميع البلاد يأخذ منهم سلاطينهم هذا الرسم . فقال الغازي : هل أمره الله تعالى أو أحد من السلاطين من تلفاء أنفسهم ؟ ومضى يقول عاصيًا : أيها الرجل من كسب شيئًا لم يكن لغيره ؟ وأي حق يكون لي في ملك الغير فأخذ منه المال ؟ ثم أئذره قائلا : اعرب عن وجهي ولا تسترسل في الكلام والأصابع في ضرر . فقال القوم : مولانا هذه الاسواق تابعة للسلاطين والأمراء على أهلها أن يدفعوا لهم شيئًا من المال . قال : حيث إنكم تقررون هكذا فاني أرسوم بانه أي شخص يأتي الى السوق ببضائع وباعها فليدفع « آفتجين » عن كل حمل ولا يدفع شيئًا اذا لم يبيع . ومن أجل بهذا القانون أحل الله بأمره في الدين والدنيا »

هذا ؛ ولم يكن أعمال امراء الالوية إدارية محضة قالى جانب أعمالهم المدنية كانوا يؤدون عملاً عسكرياً حيث يلتحقون بالجيش مع رجالهم ورجال ذوى الاقطاعات التابعة لادارتهم عند وقوع الحرب .

وكانت الاراضى تدار وفقاً لنظام الاقطاع كما أسلفنا الإشارة اليه أى أنها تفوض الى المحتاجين من الأهالى على أن يزرعوها ويستغلوها مع بقاء رقبته للدولة ولا تسترد منهم ما لم يعطلوها ولما كان التفويض عبارة عن تأجير الارض الى أجل غير مسمى فكان على القابض عليها أن يدفع أجراً محدوداً من المحصولات .

وكان عشر الارض ورسم التمليك وغيرها من الرسوم الأميرية وسائر الايراد للسباهية [أى الفرسان المقتطعة لهم الاراضى] يستوفونها من القابضين على الارض وفي مقابل هذا يشتركون فى الحرب ، عند وقوعها ، بمدد معلوم من الفرسان المجهزين تجهيزاً كاملاً حسب درجة الاقطاعة وإرادها . وفى الوقت نفسه يقومون فى مناطق إقطاعاتهم بأعمال الأمن والضبط وتسجيل الاملاك والاشراف على شئون الزراعة .

وقد وضع الفارى عثمان قانوناً كان بموجبه لا تسترد الاقطاعة من المقتطعة له بدون سبب وتؤول الى ولده بعد وفاته (١) .

(١) « وای شخص قطع له أرضاً لا تسترد منه اقطاعه بدون سبب وادامات آلت الى ولده ولو كان صغيراً على أن يشترك أتباعه فى الحرب الى أن يكبر الصغير ويصلح للاشتراك فى الحرب بنفسه . لا رضى الله على من أحل بهذا القانون » .

تاريخ عاشق باشا زاده

ويجد الفارى معلومات مفصلة عن نظام الاقطاع [البهار] فى تنائج الوقوفات وتاريخ حوادث .

قوانين عهد الغازى اورخان :

هذا العهد وماوليه من العهود ، عهد نشأة الدولة وشبابها . والنشاط الذى كان يبديه الغازى عثمان قد استمر فى هذا العهد أيضاً بحماس ملتهب فكان رجال الدولة يعملون جاهدين لمخلصين على توسيع حدود الدولة وتكوين وحدة متماسكة تستطيع الدفاع عن كيانها وإيجاد موطن تعيش فيها أمة مطمئنة . وفى هذا العهد كانت الوظائف المدنية والعسكرية يقوم بها امرأه اللولية والقضاة . ومع الاحتفاظ بنظام الإقطاع أدخلت عليه تعديلات وسعت من دائرتها تبعاً لاتساع رقعة البلاد كما عنت بالشؤون العسكرية أياما عنابة .

وقد أعقب وفاة الغازى عثمان حادث مبارك جلب للدولة الناشئة خيراً كثيراً وهدأ عنها شراً كبيراً .

ذلك أنه لما تولى الغازى عثمان الى رحمة الله تعالى عرض إليه الغازى اورخان على أخيه الكبير علاء الدين باشا أن يرأس الدولة مرص قاتلاً . كنت أنت معقد آمال المرحوم والدنا وموضع عطفه ودعائه أكثر منى فانه اختارك فى حياته لقيادة الجيش فأنت جدير برئاسة الدولة ، فوافق رجال الدولة على هذا الرأى وابعوا اورخان ثم عرض اورخان على أخيه الكبير علاء الدين الوزارة فقبلها ولقد أظهر بهذا العمل النبيل من الايثار وانكار الذات وحب الخير لأخيه وللدولة ما يشهد له بأنه كبير حقاً بجميع ما تحمله الكلمة من المعاني وكان رحمه الله مدبراً سياسياً بعيد النظر كما كان عابداً زاهداً فى حطام الدنيا . وهكذا تم الاتفاق بين الاخوين ورثى السلطنة : اورخان وعلاء الدين فعلاً منسجمين متحدين تحدهما غاية واحدة وهدف واحد دون أن يتنازعا ويتقاتلا على السلطنة فتوفر كل منهما للاحية من

شؤون الدولة فكان الغازى اورخان على رأس الجيش يجاهد ويفتح البلدان وكان الوريث علاء الدين على رأس رجال الدولة يصع من النظم والقوانين والتشكيلات ما يوطد أركان الدولة الناشئة ويحفظ كيائها ويصم نموها . وكانت من باكورة الاعمال التى تمت فى عهد اورخان القرارات الآتية التى أصدرها علاء الدين مع زملائه وأقرها اورخان .

١ — اتحاد زى عسكرى جديد لضوائف الجند تمييزاً لهم من
الاهالى (١) .

٢ — سك عملة عثمانية (٢) .

٣ — تقسيم الجند الى صفوف وأقسام وتقرير راتب لهم .
وفى مجلس صم علاء الدين پاشا والمولى خليل الاسود الجندى قاضى « بيله جك » وحضره السلطان اورخان تقرر بعد البحث والشورى إنشاء جند من أبناء الترك الصالحين للجندية عرتب يومى قدره درهم عثمانى على أن يشتركوا فى الحمة العسكرية وقت الحرب ويقضوا مرتباتهم وأن يعودوا

(١) أختبر للرأس لباس من اللبدة البيضاء يسمى « كلاء » [= قاذق] وكان لقبول رى خاص بالجند أثر حميد فى حفظ النظام والشرف المكرى .
(٢) وإلى هذا العهد كان التداول بين الجمهور العملة السلجوقية . فسكت النقود العثمانية أول مرة من الفضة والنحاس وكتب فى أحد الوجهين كلمة الشهادة وفى الوجه الآخر جملة « اورخان خلد الله ملكه » وسكت النقود باسم السلطان استكمل السلطان اورخان علامات السلطة وشعارها . وأول عملة سكنت فى عهده هى « آقچه » وإلى عهده كانت المعاملة حارية على نظام الدرهم (*) ومعنى آقچه فى اللغة المنغولية عملة بيضاء وفى المجلد الاول من تاريخ جودت پاشا معلومات عن العملة .

(*) الدرهم العثمانى ربع الدرهم الشرعى . وأفرمه الشرعى ريال مصرى وكسور

الى بلادهم بعد انتهاء الحرب ويشغلوا بأعمالهم الشخصية معافين من التكاليف
الأميرية . وعهد تنفيذ هذا القرار الى المولى خليل المذكور جنود نحو ألف
جندى من الأقوياء القادرين على القتال . وسميت هذه الفرقة المجددة «بابا»
اى المشاة وعين عليهم ضباط من رتب مختلفة : «اونباشى» ، [= رئيس
العشرة] و «يورباشى» ، [= رئيس المائة] و «بكباشى» ، [رئيس الالف] .

وبعد إنشاء هذه الفرقة واستخدامها بعض مدة لوحظ عليهم أنهم يأنون
بأمور غير مرضية سواء فى السفر او الحضر فعدل عن زيادة عددهم وحدث
بدلا منهم نظام «ديوشيرمه» ، [= الجمع] على النحو الآتى :

كان يجمع أطفال المسيحيين بعمرة الولاية والقضاة ثم يوزعون على
القصور والشكاك وبربون تربية اسلامية حتى اذا بلغوا سن التجديد جندوا
بمرتب يرمى قدره «آقجه» ، على أن يقيموا دواما فى الشكاك رهن أمر
السلطان . وبفس المعاملة كان يعامل الأصفال الذين يؤسرون من
دار الحرب .

وفى السنة الاولى من أحداث هذه المظمة [الوجاف] العسكرية جمع
نحو ألف طفل ثم زيد عددهم سنة فسنة ووصح لها نظام دقيق محكم فيما يتعلق
بتعليم أفرادها وتربيتهم وتزقيتهم وتأديبهم وطاعتهم وروعيت هذه النظم
بدقة تامة وعناية فائقة زمنا طويلا ولكن بعد مضي نحو ستين ومائتى سنة
على انشائها إختلت اختلالا كلياً فتحولت الى بؤرة الفتنة والفساد وفى
النتيجة اضطرت الدولة لالغائها . وقد نشأ منهم كثير من العلماء والوزراء
والقواد أمثال محمود باشا ورستم باشا ومحمد باشا الصوقولى ، أسدوا إلى
الدولة أجل الخدمات .

يروى أن الولي المعروف الحاج بكناش^(١) دعا لمنظمة الانكشارية ولذلك اعتقدوا أن منظمتهم مقدسة وما سمحوا لاحد أن يتكلم صدها وكان بينهم والروايش البكتاشية إخاء ومودة ولذلك العيت التكايا البكتاشية حين الفيت الانكشارية . ولما كانت مأكولاتهم ومشروباتهم تصرف من قبل الدولة اتخذوا الرجل شعاراً^(٢) [= رمزاً] لاتحادهم كما اتخذوا ألقاب ضباطهم من المعاني المناسبة للمأكولات والمشروبات مثل : جورباحي

(١) ونذكر فيما يأتي ترجمته فلا من الشقائق النماية : « . ومهم الشيخ المعارف بالله تعالى الحاج بكناش . كان رحمه الله من جملة أصحاب الكرامات وأرباب الولايات وقرة الشريف بيلاذ ترکان وعلى قرة قبة وعنده زاوية . يزار ويشرك به ولستجاب عنده الدعوات .

وقد انتسب اليه في زماناً هذا بعض من للملاحدة نسبة كاذبة وهو يرى منهم بلا شك قدس الله سره العزيز »

والواقع أن الطريقة النسوية الى الولي المذكور قد انتظمت معالمها بما طرأ عليها من نزعات باطلة لا يقرها الاسلام .

(٢) وكانوا يرسمون للرجل ويلقونه في «آت ميداني» [ميدان الخيل] باستابول كلما كانت لهم مطالب او ثارت ثأرتهم . ولما الفيت « وجاقهم » [= مظلمتهم] قال الشاعر عزت ملا :

« قویوب قالدیرمه دن اکییده برده

قازان دوریلدی سوندردی اوجاعی »

ومعنى البيت : بينما كان للرجل يرفع مرة ويوضع مرة اخرى فقد انقلب على « الوجاق » [= اللوقد] فأطفأ .

ويلاحظ أن معنى « الوجاق » حقيقة في اللوقد ومجاز في الاسرة والمنظمة وغيرها من المعاني . ولا يخفى ما في هذا التصير من التورية .

باشي، [رئيس الشورى بحيه] وه أشجي باشي، [رئيس النظارة] وه مقاشي،
[= رئيس المصفاة] (١) .

وبعد إنشاء فرقة الاستشارية، التي نظام صرف المرتب للمشاة
الذين أشرنا الى تأليفهم وانما اقتضت لهم تدلا من المرتب مزارع وأراض
على أن يشتغلوا بزراعتها بعد العودة من الحرب معافين من التكاليف الأميرية.
وربط هذا بنظام .

كان الجميع يبذلون نشاطاً ملحوظاً لصالح البلد وكان السلطان وابيه ،
وهو كبير قواده ، سليمان باشا يعملان دائمين على فتح البلاد . وعلاء الدين
باشا يوضح القوايين والاسس التي تقوم عليها الدولة من جهة ويعمل من جهة
أخرى على تعمير البلاد المفتوحة وتقدمها وتجميل المدن بالمسكنات والمدارس
والمساجد والمطاعم الخيرية والمقابر ودور الصياغة والطرفى المعسدة وغيرها
من المرافق الخيرية والمنشآت المدنية من صممها مسجد بروسه الذي شرع فيه
سنة ١٧٣٦ هـ وأبشي . بحواره مطعم خيرى وحن [وكالة] وحسنت على هذه
المنشآت الخيرية أوقاف كثيرة . هذا مع العناية بحفظ الاوقاف المتخلفة من
الدولة السلجوقية والامارات التي قامت على أطلالها .

والخلاصة ، حطت البلاد فى عهد الغازى اورخان خطوات واسعة نحو

(١) وروى احمد واسم بكشمة تسمية انفرقة الجديدة [الاستشارية] ودعاهم الحاج
بكتاش كالآتى : «روى أن الغازى اورخان لما أنشأ فرقة [وحاق] الاستشارية مع
منهم بعض افراد وتوجه الى المكان المسمى «مولوچه قره اوبوگى» فى حمة آفاميه
حيث يقيم به الولي المعروف بالحاج بكتاش فسأله أن يدعو لهم فوضع الشيع احدى
يديه على رأس احد الجود دعاه قائلاً : «ليكن اسمهم «يكيجرى» [الجند الحديد]
اللهم يرض وحوهم وقو أعصمهم واحصل سيوفهم فاطمة وسهامهم فاتلة وأظهرهم
على أعدائهم دائماً » ولقد كانت اعتبارت الانكشارية الولي للشار اليه أياً روحياً لهم
ومعواة سكاسة كما سمى رئيسهم بأما النكشابة .

التقدم والتعمير في جو من الأمن الشامل و زاد سكان المدن والقرى حتى بلغ تعداد سكان بروسه مائة ألف نسمة .

هذا ، وبعد أن فتح المازي اورخان بعض بلاد من الروملى أمر بكتابة الاوامر والمناشير باللغة التركية والتكلم بها في الأناصول وكانت الاوامر قبل ذلك تكتب تارة بالفارسية واخرى بالعربية وحيثاً بالتركية كما كانت لغة التخاطب مختلفة مثل الرومية والتركية . ولا يحى أن اللغة حطرها جد كبير في وحدة الأمة وحياتها الاجتماعية ومن ثمة أمر عمر رضى الله عنه بكتابة الاوامر والمناشير والخطابات الرسمية باللغة العربية والتكلم بها أيضاً في الجهات الرسمية بالبلاد التي فتحها . ومنع مخالفة ذلك كما كانت اللغة العربية لغة التخاطب بالاندلس أيضاً . وبما أن اللغة لها أثرها الإيجابى أو السلبى في الحياة الاجتماعية فدى كل شعب يعنى ببلغة ويعبر لها أهمية كبرى .

قوانين عهد السلطان مراد الاول (غردورگار)

مات الغازى اورخان بعد أن وسع رقعة البلاد وزاد من قوة الدولة وأنشأ جيشاً مطماً ووضع الطم والاسس التي تحتاج اليها دولة ذات سيادة واستقلال .

وقد سار ابنه مراد وريث هذه الدولة على نهج أبيه ولكن بخطوات أوسع وأثنت وعنى باستكمال نظم الدولة ، من جعلها أنه لما رأى الجيش كبر عدداً وعدداً وأنه تحدث بين أفرادها خصومات تحتاج الى الفصل ، أحدث منصب قاضى العسكر ليفصل في الخصومات التي تثب بين أفراد الجيش بعضهم البعض وبينهم والاهالى وليكون مرجعاً للقضاة أيضاً واختير لهذا المنصب المولى خليل الاسود الجندرى قاضى بروسه وهو أول قاضى عسكر في الدولة العثمانية . (١) ثم اختير لنصب الصدارة العظمى [رياسة مجلس الوزراء]

(١) وكان من التقاليد المرعية في عهد الغازى اورخان أن يصحب قاضى العاصمة الجيش عند وقوع الحرب .

باسم حير الدين باشا لما أبداه من الكفاءة الممتازة وأسداه من الخدمات الجليلة ودام هذا المنصب في أعقابه الى عهد السلطان محمد الفاتح وكان آخر من تولاه منهم خليل باشا الجندري وقد شهد فتح القسطنطينية . وعنى خير الدين باشا في أثناء توليه منصب الصدارة بتنظيم الجند فوضع له نظاماً دقيقة من جعلتها ما يقضى بألولة الاقطاع المحولة من الفرسان ذوى الاقطاعات الى أبنائهم .

كانت رقعة اللاد تنسج باستمرار وكلما اتسعت إزدادت الاقطاعات وازداد عدد الفرسان تبعاً لها ولكى هؤلاء الفرسان ذوى الاقطاعات كانوا يقيمون في مناطق اقطاعاتهم فإذا دعت الحالة التحاقهم بأمراء الالوية الذين يتبعوهم إحتاج ذلك الى مدة اسبوع على الأقل . وأما فرقة الانكشارية [= سلاح المشاة] فكانوا مقيمين بالعاصمة بالشككات وكانوا في وضع يسمح لهم بالقيام فوراً في اليوم الذى يؤمرون فيه بالسفر لذلك مست الحاجة الى إنشاء فرقة فرسان موطفة يقيمون في الشككات بالعاصمة رهن الامر على غرار الانكشارية . فأشبه آلاى فرسان باسم أبناء السباهية ، اختير أفرادهم من بين أطفال دوشيرمه ، ومن الاطفال المأسورين في الحروب المتربين في السراى السلطاني وقصور الوراء . (١)

كان العلم العثماني في عهد كل من عثمان واورخان أبيض اللون وصار أخضر

(١) سميت الاطفال المجموعة في عهد السلطان مراد « عجمي او غلامرى » [= الاطفال المبتدئون « التلمذ »] فكانوا يربون ويصلون ثم يلحقون بمنظمة « وفاق » الانكشارية وقد اشئت لهم شككات كبيرة بأمره اسكنوا فيها وكانت هذه الشككات بمثابة مدارس يقضون فيها مدة طويلة يدربون خلالها على الفنون الحربية والاعمال العسكرية على أيدي المدرسين الاكفاء .

في عهد مراد وأحمد في عهد محمد الأول كما وضعت الطغراء [الطرة] في عهد مراد . يروى أنه عقد اتفاق مع جمهورية راجوزه وحررت وثيقة الاتفاق في صورة مرسوم [فرمان] حالية من العلامات الخاصة بالسلطان فطلب ممثل الجمهورية أن تشتمل الوثيقة على علامة خاصة بالسلطان نفسه وإجاعة لطلبه وضع يده على الحبر وطبعها على صدر فرمان وهذا هو أول طغراء [طرة] استعملت في الدولة العثمانية وأنها أصل الطرة المعروفة بشكلها الحالي . هذا رأي ، وهناك رأي آخر يقول : إن طبع اليد على المراسيم والفرمانات عادة قديمة عند ملوك الشرق فكان جنكيزخان وغيره يطبعون أيديهم على المراسيم وأما الطرة المعروفة فكان إمضاء الغازي أورهان قريباً منها فتطور على أيدي مهرة الخطاطين فأصبح في صورته المعروفة . وإياً كان الأمر فالطرة تشتمل على اسم السلطان واسم أبيه وعبارة « المظفر دائماً ، وأما المكان الحالي للكائن فوق ذراعى الطرة على الجهة اليمنى فقد كتبت فيه تارة كلمة « الغازي ، وأخرى الاسم ، وترك حالياً كما هو في بعض الأحيان .

عهد السلطان بايزيد الملقب بـ (المصاعف) وعهد السلطان محمد علي : هما من أعظم سلاطين آل عثمان ولما تولى بدير السلطنة إقتنى اثر اسلافه فواصل الجهاد الذي بدأه فوسع رقعة البلاد الى أبعد حد وأقر فيها الأمن والهدوء ووحد الأتراك القاطنين بالاناضول وذلك بأن الحق الإمارات الصغيرة القائمة على أطلال الدولة السلجوقية بالجامعة العثمانية . وفتح بلاداً كثيرة ووفق لانتصارات عظيمة ولكن الكارثة التي حلت بالبلاد على يد الطاغية تيمورلنك حالت دون الوصول الى أهدافه كاملة فأسر في معركة أنقره فات كذا

كان أجداده يذكرون بلقب البك [= الأمير] وقد منحه الخليفة العباسي المقيم بمصر لقب « سلطان إقليم الروم » بعد الانتصار العظيم الذي وفق له في معركة « نيكبولي » .

لم يجد هذا السلطان العظيم في المدة القصيرة التي تولى فيها السلطنة وأمضاها في الحروب العظيمة ، متسعاً من الوقت للاشتغال بشؤون الإدارة وتنظيم البلاد ولكنه بناء على عدم رواتب مقررة للقضاة تبي حاجاتهم المباشية ونظرآ الى شكوى الجمهور وضع في سنة ٧٩٥ هـ قانوناً بموجبه كان القضاة يستوهمون رسماً قدره ٢٥ آقچه من الإعلام والحجة و ٧ آقچه من التسجيل و ٢ آقچه من عقد الزواج و ٢٥ آقچه من القسامة .

وقد أحال تيمورلنك كل بلد حل به الى بجرة بشرية وأطلق جيوشه الهابة على أنحاء البلاد فأمعوا فيها سلباً ونهباً وتخريباً وقتلاً حتى تحولت البلاد خرائب ومجارر وحلت من بشر وشجر وحجر .

وبعد أن إنتقل السلطان بلديرم الى جوار ربه ورحل الطاغية بمخافه الى بلده كادت ربح الدولة تذهب وتتلأشى ولكن الله أنى إلا أن يتم نور الاسلام في الاناصول والروملى فبعث في هذه الفترة الحرجة في حياة الدولة بطلا عظيماً مثل السلطان محمد جلبي فأقعد الدولة من الخطر الذي يهدد كيانها . فانه رحمه الله بعد أن أنهى تنازع إخوته الامراء على السلطنة وخرج من أمراء الاناصول الذين شقوا عصا الضعة ، رأس الدولة سنة ٨١٦ هـ وأخذ يعمل على رأب الصدع ولم الشعب وسار على اثر أجداده ليعيد الى الدولة سالف مجدها واه لكذلك توفى الى رحمة الله تعالى .

ويعتبر السلطان محمد جلبي مؤسس الدولة الثاني بحق فانه في خلال عشرين سنة من حكمه مضت في فن واضطراب كان حركة دائمة لا يحل اقليماً الا ليتقرر الى آخر وقد اشترك في أربع وعشرين معركة وأصابه نحو أربعين إصابة وكان رحمه الله قوى البنية ومعروفاً قبل توليه السلطنة به . گورشمحي جلبي ، [= الامير المصارع] ولكن كثرة الاعانات أهكت قواه فصعب جسمه وأصبح يقضى معظم أيامه مريضاً فشعلته الاحداث الجسام التي واجهته

عن تنظيم الدولة ومع ذلك يؤخذ بما يرويه التاريخ أنه أول من أرسل السفراء إلى الحكومات الأجنبية .

كان رحمه الله عظوماً على الفقراء بكرمهم وبطعمهم كل يوم جمعة . وهو الذي سن إرسال الصرة إلى فقراء مكة المكرمة والمدينة المنورة وعمل أحلافه بهذه السنة فكانوا يرسلون الصرة كل سنة ولكن التاريخ لا يذكر لنا شيئاً عما تحويه الصرة ومقدار المبالغ المرسلة فيها .

عهد السلطان مراد الثاني :

كان السلطان مراد الثاني ملكاً شجاعاً حكيماً رحيماً عظوماً تولى الحكم سنة ٨٢٤ هـ بعد وفاة والده في ظروف حرجية دقيقة فكان من حصل الله على هذه الدولة أن تقلد زمامها مثله في مثل هذه المرحلة الخطيرة التي تجتازها الدولة فإن الجروح التي أحدثتها كارثة تيمورلوك في جسم الدولة لم تكن قد التأمّت بعد والأجزاء التي استقطعتها الأعداء من بليان الوطن لم تكن قد استردت تماماً . وكانت تتوالى على الدولة محن داخلية وخارجية ، في الداخل ظهر الأمير مصطفى (١) بن السلطان بايزيد الملقب بيلديرم مطالباً بالعرش ومدعياً أنه أولى به من ابن أخيه وبالفعل وجد أتصاراً يؤيدونه . كما أخذ أمراء الإمارات التي قامت على أطلال الدولة السلجوقية بتحفظون للوثوب

(١) اختلف المؤرخون في الأمير مصطفى هذا فمنهم من يسمونه «دوزمه مصطفى» أي مصطفى السعى منكربن أنه ابن السلطان بايزيد . ومنهم من يعتقدون أنه إسه حقيقة وكان لحاً إلى امراطور القسطنطينية في كارثة تيمورلوك ولماسات العلاقة بين الامراطور والسلطان مراد الثاني أطاق سراحه وأيده بعض قوة بحرية ضد السلطان وهالك مصطفى آخر وهو أخو السلطان مراد ظهر أيضاً مطالباً بالعرش فكان نصيب كليهما الإعدام .

على الدولة . وفي الخارج بدأت هجمات الدول المسيحية المجاورة . ولكن السلطان مراد بجهاده المتواصل وسياسته الحكيمة الرشيدة تمكن من تلافى الخسائر التي منيت بها البلاد ومعالجة المشاكل والتعطب عليها وقد استرد البلاد المنتزعة كما عني في المدة الأخيرة من حكمه نظام الدولة والجيش .

والى عهده لم تكن في الدولة أركان تذكر غير الوزراء وقضاة العسكر . كما أن التشكيلات العسكرية وانتظام الجنود لم تربط بالنظم واللوائح كما يجب . وإنما كانت التشكيلات التي وضعت في عهد الغازي أورخان تستمر بفرق بسيط . ولما عاد من مغنيسا الى الحكم مرة أخرى اهتم بوضع نظم ولوائح لطائفة الجند ولكن مع الاسف ضاعت هذه النظم في خبايا الماضي ولم يحفظ لنا التاريخ منها الا الخطوط الاساسية وسرى في عهد محمد الفاتح الحالة التي آلت اليها التشكيلات العسكرية .

عهد السلطان المعظم ابو الفتح محمد خان الثاني :

عند ما تكلمنا على حياة محمد الفاتح في المقدمة ذكرنا ما أدى للامة الاسلامية من جليل الخدمات وما امتاز به من كريم الخلال وما اتصف به من الشجاعة النادرة والحب للعلم والفضيلة وليناثار أهلها بالعطف والرعاية . ولما كان موضوع كتابنا دراسة حياته العديدة والقوانين الموجودة في عصره فمعنى بدراسة الناحية القانونية تاركين النواحي الاخرى خصوصاً الاحداث الحربية لانها خارجة عما نحن بصددده .

على الرغم من كثرة ما واجهه الفاتح من جسام الاحداث المتعبة لم يهمل النظم اللازمة لسلام دولته فبنى بوضعها عاملاً على اصلاح ما كان موجوداً منها واستكمال نواحي النقص فيها حتى أصبحت التشكيلات الموجودة في عصره من السكك والصلاح بحيث تكفل إدارة دولة عظيمة وجماعة كبيرة سواء أكانت من الوجهة المادية او المعنوية .

مركز الإدارة :

وكان مركز الإدارة وأعنى به « الديوان الهمايوني » في القصر العامر ويتألف من الوزير الأعظم ووزراء القبة وقاضى العسكر وقاضى استانبول و « النشأجي » و « والدفتر دار » وكان هؤلاء أعضاء طبيعيين للديوان .
والى عهد الفاتح كان السلاطين يرأسون اجتماعات الديوان بأنفسهم .
وفى وزارة احمد باشا الكدك [الاثرم] حدث ذات يوم أن دخل الديوان رجل قروى رث الهيئة وقال بصوت جهورى ولهجة خشنة : « أيكم السلطان
فمندى مظلة » فلاحظ احمد باشا أن هذه المفاجأة استاء منها السلطان (١)
فاقترح قائلاً : من الأنسب أن يستمع مولانا السلطان لمناقشات المجلس من وراء حجاب [قفص] بعد الآن ووافق السلطان محمد الفاتح على هذا الاقتراح وأصبح تقليداً يتبع فيما بعد .

كان الوزير فى مبدأ قيام الدولة أى فى عصر العارى اورخان واحداً ثم أصبح اثنين وثلاثة وبلغ أربعة فى عهد الفاتح . وم الوزير الاول [الوزير الأعظم] والوزير الثانى والوزير الثالث والوزير الرابع . وكان الوزير الأعظم وكيل السلطان المطلق التصرف وإيذاناً لشمول سلطته وإطلاق يده فى تصريف شؤون الدولة يسلم اليه ختم عند تعيينه فى منصبه ويسترد منه حين تركه المنصب . وكان هو مرجعاً لكل فرع من فروع

(١) ويأتى ماذا كان السبب لاستياء السلطان من هذا الحادث الآن الرجل ظاهراً الديوان فى أثناء انهماكه فى بحث موضوع هام أم لانه لم يعرف شخصية السلطان ؟ وأما كونه رث الهيئة فطبعاً أنه لا يؤدى الى الاستياء بل يستدر العطف وأباً كان السبب فلا يستطيع المرؤ ألا يحس فى اقتراح احمد باشا هذا شيئاً من المسكر فانه قد استعمل هذا الحادث فنخلص من السلطان ليحلو جو المجلس من المهامة التى يضيفها وحوده ، فتدور المناقشات بحرية أكثر .

الحكومة وجميع السلطات حتى السلطة القضائية . وكان قضاة العسكر ركناً ثانياً في بناء الدولة . وكان قاضي العسكر واحداً في الاول فصار اثنين في أواخر عهد الفاتح أحدهم للرومى والآخر للاناصول كما ذكرنا فيما سبق . وكان المفتى [= شيخ الاسلام] دون قاضي العسكر في الرتبة حتى دون قاضي استانبول . وكان « الدهر دار » [وهو وزير المالية] ركناً ثالثاً من أركان الدولة وكان في عهد الفاتح واحداً وهو للرومى ويوجد له مساعد في الاناصول . و « النشاجى » ركن رابع من أركان الدولة ، وهو رئيس قلم التوقيع السلطانى .

وقد جرت العادة بأن تعرف مرقعة الموسيقى السلام السلطانى عند افتتاح جلسة الديوان الهابونى ويسمعه السلطان قائماً وذلك لانه لما ارسل السلطان علاء الدين السليوقى الى الفارى عثمان شعار الإمارة وهو العلم والطبل ضرب الطبل السلام السلطانى وسمعه الفارى قائماً تعظيماً للسلطان فصار تقليداً إتبعه أخلافه الى عهد الفاتح والى فى عهده

التقسيمات الإدارية :

قسمت البلاد العثمانية إدارياً الى ثلاثة أقسام : ولاية ، ولواء ، وقضاء فكانت إدارة شؤون القضاء محالة الى القاضى ، وشئون الامن والصبط والربط الى ذوى الاقطاعات [اى ذوى التيجار والزراعة] وكانت إدارة اللواء تعهد الى باشا ذى « طوغ » (١) واحد من يسمون « أمير آلاى » و « مير لواء » . واما الولاية فكانت تسند الى باشا ذى « طوغين » من يسمون « بكربكى » [= أمير الامراء] وكان بكربكى هذا تابعاً لوالى الرومى ومشيرها العام

(١) « طوغ » شارة تتخذ من شعر ذيل الفرس .

المسمى «روملى بگلىرىكى»، إذا كانت ولايته فى الروملى . ولوالى الاناضول ومشيرها العام إذا كانت ولايته فى الاناضول .

السلطة القضائية :

ويمثل السلطة القضائية قضاة العسكر وسائر القضاة . وقد كان فى كل ولاية ولواء وقضاء [- مركز] قاض أو أكثر حسب الحاجة . وكان للقاضى أن ينبى عنه نائباً ليفصل فى قضية إذا دعت الحال الى ذلك .

وكان القضاة يفصلون فى القضايا المدنية والجائية وفى الوقت نفسه يقومون بالشئون الادارية فى القضاات كما ذكرنا آنفاً .

وكانت هذه الشئون كلها تدير طبقاً لاحكام الشريعة الاسلامية ووفقاً للقوانين المدنية والطم البلدية التى يضعها ولى الامر فى حدود السلطة التى منحها الشريعة وقد سبق أن بينا مدى هذه السلطة بايجاز .

كان السلطان يستشير العباء والوزراء فى التكاليف المالية وشؤون الحرب والجهاد وعقد الصلح مع الدول والشؤون المالية والسياسية ويعمل وفقاً للرأى الذى تسفر عنه الشورى .

التشكيلات والنظم العسكرية :

بدأت الجديدة فى الدولة العثمانية بفرقة الفرسان المغيرين [آقينجىلر] انشأها دكوسه ميخال بك ، [- ميخال بك الكوسج] فى عهد الغازى عثمان وأصبحت فرقة منظمة فى عهد العازى اورخان وعهود من خلفه من السلاطين . وقد تطورت التشكيلات العسكرية فى عهد الفاتح نحو التكامل اكثر من ذى قبل فأضحت فى الوضع الآتى :

قسم الجيش الى قسمين سعى احدهما «قبوقولى» [عبد الباق] والاخر «ايبالات عسكرى» [= جندا الايبالات] فالقسم الاول هم جنود الخاصة كما يفهم من الاسم وكانت لهم ، ماعدا الراتب ، أرزاق تصرف عساً وكانوا يقيمون

بالشكات في العاصمة . وقسم هذا القسم الى فرعين : مشاة وهران .
وكان مشاة الخاصة مؤلفة من سبعة أسلحة : « بليجى » و « عجمى
اوغلانلى » و « جيه جيلر » و « طوپيجيلر » و « طوب عرپيجيلرى »
و « خبيرة جيلر » و « سقار » .

سبق أن يدا معنى كل من « بليجى » [= الانكشارية] و « عجمى
اوغلانلى » . واما « جيه جيلر » فهم جنود مهمتهم اصلاح أسلحة المشاة
وسائر معداتهم الحربية وتوزيعها عليهم وقت الحرب والمحافظة عليها وقت
السلم ويسمى قائدهم « جيه حى باشى » . و « الطوپيجية » [= المدفعيون]
مهمتهم استعمال المدافع في الحرب ، وصيها ووضع قواعدا واعداد سائر
الدخائر الحربية من قذائف وغيرها ويسمى قائدهم « طوپيجى باشى » ويسمى
مدير مصنع المدافع « دوكونجى باشى » . و « العرپيجية » هم سائقو « عربات
المدافع » و « خبيرة جيه » هم الجنود الذين يطلقون في المعارك القديفة المسماة
« الخبيرة » بواسطة مدفع « الهاون » .

وهالك صنف من الجنود يسمى « لعمجيه » مهمتهم حفر الالغام
والطرق تحت الارض في أثناء محاصرة القلعة المراد فتحها : والسقامون كان
عليهم أن يمدوا جنود الخاصة على اختلاف أسلحتهم بالماء .

فرسانه الخاصة :

هم الفرسان الذين يكونون تحت السلاح دوماً ولم تكن لهم شكات
يقيمون بها في استانبول وانما كانوا يقيمون في القرى والمدن الكائنة
بين استانبول وأدره وبروسه وذلك ليتيسر لهم تربية الخيول وليتجمعوا
بسرعة إذا دعوا الى القتال . وكان سلاح الفرسان هذا مؤلفاً من
ست صائل :

٦ - السلحدار

٢ - السباه

٣ - صاع عوره جيلر [- عوره جيان يمين]

٤ - صول ، ، [= ، يسار]

٥ - صاغ غربا بلوكى [غرباى يمين]

٦ - صول ، ، [، يسار]

وتسمى الاوليان من هذه الفصائل الست « باش بولكرى » والوسطيان « اورتى بولكرى » والاخريان « آشاعى بولكرى »

جنود الأمانىة :

بعد أن تكلمنا على جنود الخاصة مشانهم وفرسانهم وذكرنا أيضاً أن إدارة الولاية كانت بحانة الى امير الامراء [بگلربكى] وإدارة اللواء الى امير اللواء [سيجق بكى] وانهما يقومان بأعمال مدنية وعسكرية معاً . نتكلم الآن على تشكيلات جنود الأيالات فنقول : كانت تشكيلات جنود الأيالات موجودة في الدولة منذ أول عهدنا على أساس « ديريلك » ومعنى « ديريلك » ما يتوقف عليه المعيشة من الايراد والأراضي المقطعة (١) .

وعندما تعلن الدولة الحرب وتدعو امراء الولايات وامراء الاولوية دوى الاقصاعة كان عليهم أن يلبوا الدعوة ويشاركوا في الحرب بفرسان يجهزونهم تجهزاً تاماً بواقع فارس كامل السلاح قادر على القتال على كل

(١) هي الاراضي التي يعطى ارادها الاميرى من مشور ورسوم السباهية في مقاد خدمات عسكرية يؤدونها للدولة فاداراد الارض على مائة ألف آقچه سميت « حاص » وتوجه الى الامراء والامميت « تبار »

خمسة آلاف آفجه من إزاد إقطاعته فاذا كان إيراد إقطاعته ثلاثمائة ألف آفجه مثلاً كان عليه أن يشترك بستين فارساً . وكانت جنود الأيالات مؤلفة من مشاة يسمون «يرلى قولى» وفرسان يسمون «سرحد قولى» و«طوپراقى» وكان المشاة تحت قيادة وإدارة باشوات الأيالات وبكوات الألوية . وإذا دخل هؤلاء الجنود فى الخدمة قبضوا رواتب وأوراقاً عيالية . وكانوا خمسة أقسام : «عزب» و«سكبان» و«تفنگجى» و«إجاره لى» و«مسلم» و«العزب» هم الجنود العزب الذين لا أرواح لهم . و«السكبان» هم المتطوعون الذين يقدمون أنفسهم للخدمة بمحض اختيارهم وقت الحاجة الشديدة إلى الجند . و«الاجاره لى» هم المدفعيون الموجودون فى المدن والقلاع الكائنة فى الحدود وسموا بذلك لانهم كانوا يستخدمون فى مقابض الاجر . والمسلمون هم فرقة المهندسين الذين يتقدمون الجيش لمعاينة الطرق والكبارى و«صلاح ما يحتاج منها إلى الإصلاح» وكانوا فى الغالب من أهالى الرومى والمسيحيين . وكان مسلمو الأناضول يسمون «يوروك» و«سرحد قولى» هم الفرسان الذين اشتموا لحراسة الحدود ودفع ما يقع عليها من العدوان الخارجى ولذلك كانوا يقيمون على الحدود دائماً .

الاسطول والبحرى :

لم يشتمل العازى عثمان ولا ابنه الغازى اورمان بشئون الاسطول فى بداية الدولة لانهما اشتغلا بالجهاد فى البر وحده ولكن الامير سليمان باشا نجل العازى اورخان قد اجترأ مع بعض الاصل من جنوده إلى «كليبولى» على مراكب الروم ففتح فى الروملى مواضع كثيرة ألحقها ببلاد العثمانية . وفى هذه الاثناء جمعت بعض مراكب فى ميباء «كليبولى» ثم انشئت فيها «ترسانة» فعملت بالسلاح البحرى أيضاً لما مست الحاجة إليها . وفى فتح القسطنطينية اعدت قوة بحرية كافية لتطويق المدينة من جهة البحر أيضاً لأن تطويقها برآ لم يكن كافياً للاستيلاء عليها .

وعبر الفاتح سليمان باشا بلطه اوغلو قائداً بحرياً عاماً سنة ٨٥٥ هـ وهو أول من ولى هذا المنصب . وبعد فتح القسطنطينية ضوعفت العناية بالسلاح البحرى فلم تنقص إلا مدة من الزمن قليلة حتى سيطر الاسطول العثماني على البحرين الاسود والايض .

وكان السلاح البحرى يدار من قبل الترسانة وهى إحدى فروع جنود الخاصة [قوقولى] وكانت تسمى « طائفة العزب » أيضاً وبلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف جندى تتألف من القبطان وقواد السفن والضباط والبحارة .

وكذا خرج الاسطول للقتال أخذ حاجته من الجند من انباع ذوى الاقطاعات الكائنة فى ألوية السواحل المسماة « نديا قلى » [- قلم البحر] المكلفين بالسفر وحتى من « فرقة الانكشارية » وغيرهم من طوائف الجند ثم أبحر الى وجهته . وأما الباشا القبطان وطائفة العرب فكانت مهمتهم مقصورة على الشؤون البحرية وإجراء مناورات الحرب البحرية لحسب .

وفى عهد السلطان سليم الأول نقلت الترسانة من دكليولى الى استاسول . ومن أراد التوسع فى هذا الموضوع فعليه بتاريخ جودت باشا .

الموسم والمعارف :

ذكرنا فيما تقدم ما كان فى العاصمة وملحقاتها من الجامعات والمعاهد والمدارس وغيرها من المؤسسات العلمية التى أنشأها السلطان محمد الفاتح كما ذكرنا النظم المتبعة فى هذه المؤسسات سواء فيما يتعلق بالدراسة او الامتحانات فليس بنا حاجة الى تكرارها . وانما نريد أن نتكلم هنا بإيجاز على مدرسة « أندرون » وتسمى « أندرون همابون » وهى مدرسة انشئت بداخل القصر السلطاني وظلت تؤدى رسالتها العلمية مسين عديدة فخرج فيها عدد لا يحصى من العلماء والادباء والشعراء والقواد ورجال الدولة .

وأُسست هذه المدرسة التي تعد مؤسسة علمية مستقلة عن سائر المدارس في عصر السلطان مراد الأول فتطورت على مر الزمن حتى بلغت أوج الكمال في عهد السلطان محمد الفاتح . وكانت مدرسة « أندرون » مرتبة على ثلاثة فصول باعتبار القاعة [قوغوش] ومدة الدراسة فيها أربع عشرة سنة وكان الفصل الأول يسمى « سفرلى قوغوشى » ، [= قاعة السفر]

وهو قسم ابتدائي وملشاً للفصل الثانى الذى يسمى « كيلار قوغوشى » ، [= قاعة بيت المؤنة] ، ويسمى الفصل الثالث الأخير « حزيه قوغوشى » ، [= قاعة الخزينة] .

وكانت برامج الفصل الاول تتضمن المواد الآتية : قرآن كريم ودروس دينية مما تجب معرفته على كل مكلف سواء فيما يتعلق بالعقائد أو الأعمال . ثم يضاف إلى المواد المذكورة التفسير والحديث والفقه والفرائض والمنطق والمعاني والهندسة والحياة والرياضة والجغرافيا والشعر والأشياء . كما كان تلقى فيها دروس فى الفنون الحربية والثقافة العسكرية بصفة خاصة ويعنى عناية بالغة برفع مستوى الطلبة مادياً كان أو معنوياً . وكان نظام وانتظام المدرسة فى غاية من الكمال . وقد حددت أوقات المذاكرة والاستراحة والمذاكرة وكان يسود بين الطلاب روح المودة والاحاء يعطف الكبير على الصغير ويحترم الصغير الكبير ويعطيه .

هذا ؛ ولم يكن هالك أى فرق بين مدرسة أندرون وغيرها من المؤسسات العلمية من حيث التعليم والتربية تجمعها كلها عقيدة واحدة وغاية واحدة وحلق واحد وشعور واحد .

وكان بصرف لهم يوماً ثلاث وجبات من الصدم وكانت الدولة تتعهد بجميع حاجياتهم . وتكاد تكون مناصب الدولة مقصورة على المتخرجين فى هذه المدرسة .

الأراضي والأوقاف :

يبا فيها تقدم كيفية إدارة الاراضى والأوقاف . وقد ادخلت على ادارة الاراضى فيما بعد تعديلات كثيرة وفقاً لمقتضيات الاحوال والحاجة . وأما الاوقاف فان لم يكن حظها كحظ الاراضى من كثرة التعديل مع ذلك احدثت فيها معاملات جديدة كتأجيرها بإجرتين : معجلة ومؤجلة ، والمقاطعة (١) ووصعت بظم ولوائح خاصة بانتقال الأوقاف ذات الاجرتين والمستعلات الوقفية ذات المقاطعة القديمة . (٢)

وقد ذكرت التعديلات التى ادخلت على ادارة الاراضى فى قوانين الاراضى ومجامع الفتاوى . وأما الظم والقوانين الخاصة بالأوقاف فمذكورة فى الدساتير ذات الترتيب الاول .

النظم المالية . الإيراد والمصروف

لا توجد فى أيدينا وثائق تتضمن تفصيلات عن النظام المالى المتبع فى عهد السلطان محمد الفاتح ومن تقدمه من السلاطين الاولين ولا عن إيراد الدولة ومصروفها فى عهودهم . ولكننا مع ذلك نجد فى التاريخ معلومات عن موارد الدولة يمكننا أن نحصرها فى الانواع الآتية :

(١) المقاطعة هى الاخر المقطوع - تنوى بدلا من العشر عن الاراضى التى وقعت حينما كانت مرروعة ثم تحولت الى حدائق وكروم .

(٢) الى عهد الفاتح كان مرتبة الاوقاف وحدها حق كسبتها - عدا الاسم والخطيب - يعينون ويحلون من قبل الطار . وفى عهد صدر ديون مصر من أمر التعيين او الفصل على السدة الملية وصدر برامة بذلك .

١ - الضمان والنق.

٢ - الضرائب المستوفاة من الحكومات المتاحة

٣ - العشر والخراج

٤ - الجزية

٥ - رسوم الجرك

٦ - المعادن والملاحات

٧ - صرية التركات

٨ - الضرائب المالية مثل : عوارض ، وغرامة تعطيل الحرث .

ومن المفيد أن تقدم بعض معلومات عن هذه الموارد حسب الترتيب .
الضمان جمع العيضة وهي اسم لما يؤخذ من اموال الاعداء على وجه
القهر والعلبة . وتنقسم الى قسمين : اراض و اموال منقولة . اما الاراضي التي
يستولى عليها قهراً وغلبة فالتصرف فيها الى ولي الامر اذا فتحت بدة عنوة
فولي الامر يحير إن شاء أقر أهلها عليها بجزية على رؤسهم وخراج على أراضيهم
او أخرجهم منها وأزل بها قوماً غيرهم ووضع عليهم الجزية والخراج وهذه
الصورة تكون تلك الاراضي خراجية ، وإن شاء قسمها بين الغراة ، هذا اذا
أراد سكان البلاد المفتوحة أن يحتفظوا بدينهم وأما اذا اعتنقوا الدين
الاسلامي برضاهم فتركهم في ديارهم وفي هذه الحالة تكون الاراضي عشرية ،
او لا يقسمها بين أحد فيتركها للدولة وفي هذه الحالة تكون الاراضي
دارص الملكية . فيتصرف فيها وفقاً لما تقتضيه مصلحة البلد . وبخلاصة
القول يتصرف في الاراضي تصرفاً تقتضيه مصلحة الجماعة .

وأما الاموال المنقولة فحكمها أن تخمس وبقيتها بعد الخمس للغانين خاصة .
والنق ما يبل من العدو بعد ما تضع الحرب أوزارها وتصير الدار
دار الاسلام وحكمه أن يكون لكافة المسلمين ولا يخمس . وعند الفقهاء

كل ما يحل أخذه من أموالهم فهو فيء . وتركه من يتوفون بلا وارث من قبيل اليتيم . وأحكام الضائم واليتيم مفصلة في كتب الفقه .

العشر :

هو عا يؤخذ من محصولات الأراضي الأميرية بنسبة معينة ويجوز أخذ المال بدلاً من العشر . وهذا الذي يستوفى عيماً أو بدلاً بمثابة الأجرة تؤخذ في مقابل التصرف في الأراضي .

وهناك نوع آخر من العشر وهو ما يستوفى من الأراضي العشرية وهذان العشران أي ما يستوفى من الأراضي الأميرية وما يستوفى من الأراضي العشرية مختلفان حقيقة وماهية والأراضي العشرية مبنية في قانون الأراضي الملمى وكتب الفقه . وأما أراضي الأناضول والرومي أراضي أميرية لا عشرية ولاخراجية . فإن الأراضي العشرية والخراجية من الأراضي الملكية يتصرف فيها أصحابها بجميع أنواع التصرفات الملكية .

الأراضي الخراجية هي الأراضي التي ترك في أيدي أصحابها غير المسلمين عند ما تفتح بلدتهم عنوة وهي قسمان : فإذا فتح الإمام بلدة أما بقر أهلها عليها ويترك أرضها في أيديهم فهذا هو القسم الأول . وأما يخرجهم منها وينزل بها قوماً غير مسلمين ويعطيهم أرضها وهذا هو القسم الثاني .

والأراضي الخراجية يؤخذ منها الخراج ، والخراج هو الضريبة وهي قسمان خراج الأراضي وخراج الرؤس ، وخراج الأراضي قسمان أحدهما خراج المقاسمة وهو ما يستوفى من محصولات الأراضي التابعة للخراج بواقع العشر إلى النصف حسب طاقة الأرض ، والآخر خراج وظيفة وهو المال المحدد المفروض على الأرض حسب طاقتها . وبعبارة أخرى الأول صريبة المحصول والثاني صريبة الملك . إذا مات أصحاب الأراضي العشرية

والحراجية بلا وارث آلت أراضيه إلى بيت المال واكتسبت حكم الاراضى الاميرية .

الجزية :

هى صرية الرأس التى تؤخذ من ذكور الرعية غير المسلمة وتسمى حراح الرأس أيضاً وبما فى عنها الأطفال والنساء والشيوخ والمرضى والفقراء العاجزون عن الكسب .

والجزية نوعان : الأول ما يقدر صلحاً وبإفاق فهذا لا سبيل إلى تغييره فإنه يوجب نقص العهد والآخر ما يطرح على الدين نقواً فى ديارهم هدم هزيمتهم فى الحرب وهذا يمكن تعديله حسب ما تدعو اليه الحالة وكما يراهولى الامر ويقدره .

الجزء

هو الرسم الذى يستوفى بنسبة معينة من البضائع المصدرة او الموردة وذكرنا احكام الجزء فى كتب الفقه تحت عنوان العشور مع بيان انواع البضائع التى يستوفى منها الرسم ومقداره . وبيان القدر الذى يستوفى من الاجاب ايضاً . هذا ؛ ولم نعرف فيما رجعنا اليه من المصادر على بيان عن مقدار الرسم الذى كان يستوفى فى عهد الفاتح وقبله ، وبأى وسائل يستوفى .

المعادن والمعادنات :

تقضى الاحكام الشرعية بانه اذا وجد ذهب او فضة او نحاس او ملح او اى نوع من انواع الاحجار والمعادن فى الاراضى الاميرية فى عهدة اى شخص كانت ، فهو لبيت المال فليس للقابضين على الاراضى المذكورة أن

يستولوا عليه أو يظلوا حصة منه فإن رقعة الاراضى الاميرية لبنت المال فالمعادن التى تحويها جزء من الرقعة فهى أيضاً لبنت المال ولذلك لاحق للقاضين على الاراضى المذكورة الذين هم فى الحقيقة مستأجروها لا مالكوها . وهكذا الحكم فى المعادن التى توجد فى الاراضى الموقوفة التى من قبيل التخصيصات والارصاد ، (١) . فلا يتدخل فيها القاضون على الاراضى ولا إدارة الوقف فان ما يخص إدارة الوقف منها انما هو حق التصرف او العشور والرسوم لا الرقعة . وانما يجب فى مثل هذه الحالة تعويض القاضين على الاراضى اميرية كانت او موقوفة بدفع قيمة الموضع الذى يعطل عن الررع او التصرف بسبب إخراج المعادن .

وأما المعادن التى توجد فى الاراضى المتروكة والموات فحسبها لبنت المال والبقية لواجدها والمعادن التى توجد فى الاراضى الموقوفة وفقاً حقيقياً لا وقف تخصيص وارصاد فهى خاصة بالوقف وكذلك ما يوجد من المعادن فى الاراضى السكاتية بداخل القرى والمدن تكون لاصحاب تلك الاراضى . والمعادن المستخرجة من الاراضى العشيرية والخراجية الصالحة للصهر والإذابة فحسبها لبنت المال والبقية للقاض على الارض واما غير الصالحة للصهر والإذابة فكلها للقاض على الارض .

هذه المبالغ التى تتكون بما يؤخذ من المعادن والملاحات لما للدولة من حق فيهما ، كانت جزءاً من إيراد الدولة وعدا هذه المبالغ كانت هناك صرائب قليلة المقدار تستوى فى بعض الجهات باسم العوارض وغيرها لم يكن لها شأن يذكر فى إيراد الدولة ، وانما تسد المصروفات المحلية الضرورية فحسب .

المصروفات :

لكل دولة مصروفات متنوعة مختلفة تعمل على الموازنة بينها وبين إيراداتها لكيلا تصرف أكثر من الإيراد فإذا دعت الحاجة إلى صرف مبالغ ضرورية أكثر من الإيراد حصلت عليها أما بعقد القرض أو طرح الضرائب على الشعب .

ويؤخذ من بعض الوقائع التاريخية أن حزية الدولة في عهد الفاتح كانت عامرة بالمال على الرغم من أن الشعب لم يكن مثقل الكاهل بالضرائب . فإنه رحمه الله عند ما جرد حملة عسكرية تحت قيادته ضد حسن الطويس ملك العراقيين أقرض جنوده مبلغ مائة حمز [كل حمل مائة ألف قرش] وبعد أن عاد من الحملة منتصراً عني حصمه ، وهب المبلغ المذكور لهم . ومن البديهي أن الخزينة التي تستطيع مع هذه المبالغ الصالحة بالنسبة لتلك العهود لا يتصور فيها أي أزمة مالية . وما يدل على مستوى ثروة الدولة في ذلك العهد أن الفاتح أمر بسك عملة ذهبية في عيار ووزن الذهب المجري وكانت العملة العثمانية إلى عهده تسك من الفضة .

وكانت أبواب المصروف في ميرانية الدولة كالآتي :

- ١ — مصروفات عسكرية
- ٢ — مرتبات الجند [= علوفه] .
- ٣ — نفقات القتاد الحربي من أسلحة وذخائر حربية .
- ٤ — المنشآت الخيرية والمراق العامة .
- ٥ — المعارف .
- ٦ — الفقراء والمساكين .
- ٧ — الغزاة المعالون [= مشوهو الحرب] .
- ٨ — أبياء السيل .
- ٩ — المستشفيات .
- ١٠ — المرضى المحتاجون .

وقد خصصت العشور من إيراد الدولة للوزراء والامراء والموظفين وجنود الايالات والسيامية يحصلون عليها باسم «خاص» و«زعامة» و«تيار» كما كان يصرف منها للتوسسات الوقفية أيضاً .

واما المرتبات اليومية المقررة لطوائف الجند المسماة «قبو قولي» ولبعض العلماء والسادات ، ونفقات العتاد الحربي ، والمنشآت الخيرية ، والمرافق العامة وسائر ابواب المصروف ، فكانت تصرف من سائر إيراد الدولة المتقدم بيانه . وكان يصرف على المدارس والمكاتب وسائر المؤسسات العلية والصحية والصناعية من إيراد أوقاف الدولة اى الاوقاف التي من قبيل «التخصيصات» ومن إيراد الاعيان المحبوسة عليها من قتل الاشخاص الخيرين .

وكان من الممروع منعاً باتاً مصادرة أموال الاشخاص واستخدامهم «سحرة» فإنهما مخالفان للحرية ومصونية المال التين أعلنهما الاسلام كسداً لا يتغير . وانما تجوز مصادرة الاموال التي جمعها موظفو الدولة عن طريق غير مشروع وترد الى بيت المال ، والاصل في ذلك ما في البخارى عن ابي حميد الساعدي قال استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الازد يقال له ابن اللثبية على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي لي قال عليه السلام : هلا جلس في بيت أبيه أو بيت امه فينظر أهدي له ام لا ؟ ، واستعمل عمر رضى الله عنه بعضهم فقدم بمال فقال من أين لك هذا ؟ قال تناججت الخيول وتلاحت الهدايا . قال : اى عبد الله هلا قعدت في بيتك فطرت أهدي إليك ام لا ؟ فأخذ ذلك منه وجعله في بيت المال وأقره الصحابة والتابعون على هذا التصرف . والحكم بعينه في الاموال التي تجمع من أموال الدولة بدون وجه حق ،

وعلى هذا الاساس تنسب الفتاوى المذكورة في الآتي :

١ — اذا مست الحاجة الى مبلغ كذا من المال لصرف مرتبات المجاهدين

المرابطين في الحدود لحراسة القلاع الكائنة فيها ، وإلى مبالغ أخرى كثيرة للاستعدادات الحربية من عتاد ودحائر ، وكان بيت المال في ضائقة مالية لا يستطيع تلبية هذه الحاجات كلها . وكانت عند همد أموال كثيرة جمعت عن طريق الرشوة ، ووردت من حواصل بيت المال فهل للحليفة أن يصادر الأموال المذكورة كلها دون أن يترك منها شيئاً ويصرفها للوجوه المذكورة من المرتبات والنفقات الحربية ؟ . الجواب : نعم له ذلك بل يجب حتى أن التأخير في ذلك مطة إثم ووبال . « الفتاوى الفيصية » .

٢ — إذا احتج إلى مبلغ كذا من مال لمرتبات المجاهدين الموطوبهم الدفاع عن القلاع الكائنة في حدود البلاد الإسلامية ، ولم يوجد في بيت المال ما يسد هذه الحاجة من المال ، ووجد لدى ريد وعمر وكمر وخالد مبلغ كذا من المال ورد من حواصل بيت المال وجمع من الرشوة المأخوذة من أشخاص غير معنومين فهل يجوز للحليفة أن يصادر الأموال المذكورة ، ويصرفها للوجوه المشار إليها ؟ الجواب : نعم يجوز . « الفيصية » .

٣ — إذا دفع لريد من رجال الدولة ورئيس طائفة الجند مبلغ كذا من بيت المال لصرف مرتبات الطائفة المذكورة ولكنه لم يصرف لهم جزءاً من المبلغ المذكور بل احتفظه لنفسه كما جمع مبلغ كذا من المال عن طريق استغلال نفوذه الحكومي ، فهل يستطيع أمام المسلمين وسيد السلاطين أن يصادر المال المذكور كله ويرده إلى بيت المال ؟ الجواب : نعم يستطيع . ويعم هذا الحكم جميع موظفي الدولة . وفي حكمهم بظار الاوقاف وكتبها ، يصادر الأموال التي حصلوا عليها عن طرق غير مشروعة ويفصلون من أعمالهم . « در المختار » .

وكذا لا يجوز لموظفي الدولة الحصول على المال عن طريق غير مشروع فكذلك لا يجوز لهم أن يصرفوا مال الدولة لمن لا يستحقه ولذلك إذا ملك موظف مختص شيئاً من مال الدولة لمن لا يستحقه أو خصص له ماله ينفى هذا التملك والتخصيص حتى ولو كان المملك والمخصص ولي الأمر .

وأما الأشخاص الذين يكونون قدموا إلى الدولة خدمة ممتازة أو أنلوا في المعارك بلاء حسنا فيجوز أن يمتلكوا شيئا من مال الدولة أو يجعل لهم منافع في رأى معمول به كما ذكرناه فيما سبق .

وعلى هذا الأساس أفتى شيوخ الاسلام ومفتوه وفقهاؤه دون أن يجيروا خلافه وفيما يأتي نذكر مثالا من فتاواهم في هذا الموضوع .

مات زيد بلا وارث وهو يملك منزلا قال المنزل الى بيت المال ووجهه السلطان احمد خان الاول هند وسله اليها ثم ماتت هند عن ورثة فهل تصح الهبة المذكورة ويملك ورثة هذا المنزل عن طريق الارث ؟ الجواب : لا يصح وفي هذه الصورة اذا استرد ملك الاسلام مداقه ظله الى مفارق الانام المنزل المذكور من ورثة هند ووجهه لعمره وسلمه اليه ووقفه عمرو لنفسه ومن بعده لاولاد اولاد اولاده فهل يصح الوقف المذكور ؟ الجواب : لا يصح . يصادر المنزل المذكور لبيت المال .

هذه المسألة تتعلق بموضوع الاقطاعات . والذين يموتون بلا وارث تؤول اموالهم الى بيت المال وتكون رقتها له ولا يصح تمليك او وقف اموال بيت المال مالم يكن هناك سبب شرعى يبرر ذلك .

والحكم بهيه في تمليك وتخصيص المنافع الاميرية وحقوق التصرف ايضا ومن ثمة قسمت الاوقاف التي من قبيل "التخصيص" الى قسمين تخصيص صحيح وتخصيص غير صحيح وبني هذا التقسيم على ملاحظة الصحة والاروم واذا كانت جهة التخصيص من مصارف بيت المال فالتخصيص صحيح ولازم ولا يجوز إلغاؤه واذا لم تكن من مصارفه يجب إلغاؤه .

هذا ؛ وانا قد عرصا لهذه المسائل على اعتبار أنها موضوعات فقهية وقانونية والافليس من عرصا أن تقدم إلى القارئ معلومات مفصلة عنها فانا لو اردنا ذلك لاقتضانا أن نفرّد لكل مسألة منها كتاباً مستقلاً .

ترجمة القانون المنسوب الى السلطان محمد الفاتح^(١)

كتاب قانون آل عثمان وصورة خط السلطان محمد خان أنار الله برهائه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا القانون المدون في هذا الكتاب هو قانون آبائي وأجدادي وقانوني أنا أيضاً فليعمل به أولادي سلا بعد نسل .

الحمد لله حمداً بغير حد والشاء له تعالى ثناء لا يعد ، جل عن الريب والمنون ، وحلق العالم على أحسن نظام وترتيب ، ودبر شئونه وفقاً لقانون الحكمة بدون مشير . والصورة والسلام على سيد الكائنات وحرر الموجودات سلطان المرسلين وأشرف اليبين . ظمت سلته الشريفة قواعد الدين وبيت أحاديثه الكريمة معالم الشرع المبين

ونعد ؛ فيقول العد الحقيق الكثير التقصير كاتب هذه السطور وجامع هذه الاوراق المتضمنة القواعد السلطانية والقوانين الخاقانية محمد بن مصطفى المعروف بليس زاده التوقيعي : استخدمت في خدمة التوقيع [— الطمراء العراء] في عهد سلطان سلاطين الدنيا وملك ملوك العالم حالياً الملك السعيد الرفيع القدر السامي المترلة سمر الشمس دان وجه

(١) حرصت كل الحرص على الحرفية في ترجمة هذا القانون . ماعدا الخطأ — لتكون صورته طبق الاصل فليعذرني القاريء عن ركاكة الأسلوب وما يجده من حمل عامضة أو غير معهومة فان الاصل ركبك وفيه حمل غامضة وغير معهومة ولم أجد ميلاً الى حلاء عموضها وفهمها .
للترحم

الأرض لحكمه وكادت السماء تنزل على إرادته فاتح بلاد الروم بصراقة الملك القيوم ناظم أمور الدين والدولة وواضع قوانين السلطة صاحب المعازي المشهورة في أنحاء المعمورة مالك سرير الخلافة بالجدارة بطل العصر صاحب الأمن والأمان السلطان الأعظم خليفة الله في العالم السلطان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان محمد خان أبداً الله دولته وأيد سلطته .

لما جلس هذا السلطان السعيد المعروف معرفة الشمس المنيرة على سرير السلطة وحصلت فتوحات كثيرة في أيام سلطته خصوصاً فتح القسطنطينية عاصمة السلطة حايا ، تلك المدينة الكبرى المحروسة العظمى المحمية المربعة مطمح أنظار سلاطين الدنيا ، لم تكن القوانين الموصوعة في عهد أجداده العظام مدونة في سجل خاص فأمر بتدوينها بعد أن استكمل وراعى النقص فيها بما أوتى من رأى ثاقب يستكشف ما وراء الحجب ليحلها في الديوان السلطاني أبد الآباد . وبموجب أمره الكريم قام هذا العبد الحقير بوصع القانون ناقلاً عن لسان ذلك العاقل الوقور خالياً من الاصطلاحات ليستفيد منه الجمهور مرتباً على ثلاثة أبواب :

١ - في بيان مراتب الأعيان والعطاء .

٢ - في بيان التشريعات والمراسم اللازمة لسلاطين العظام .

٣ - في بيان أحوال الجرائم [- العرامات المالية] وعوايد كل ذي منصب .

أعلم أن الوزير الأعظم هو رئيس الوزراء والأمراء وأكرهم جميعاً ووكيل مطلق لجميع الشؤون . ودغتردارى وكيل مالى وناظر عليه . والوزير الأعظم مقدم على الجميع في الجلوس والقيام وفي المرتبة .

وشيخ الإسلام رئيس العلماء وكذلك المعلم السلطاني في مقدمتهم .

يستحسن أن يقدمهما الوزير الأعظم على نفسه بحامته ورعاية . أما المفتي
وخواجه ، (*) فهما فوق سائر الورراء بمراتب كثيرة ويتصدران أيضاً .
وإذا عقد اجتماع عال أو مؤتمر عام لا يدخل في أمر الديوان غيرهم
من الأشخاص الآخرين ، فليجلس أولاً الورراء فقصة العسكر فالدهندار
فأما الاستشارية وسائر أغوات الركاب (١) وأمير العلم (٢) وقبوجي باشي (٣)
وأمير الاصطبل (٤) .

(١) أغوات الركاب هم أمراء الاستشارية وأمير العلم وقبوجي باشي [= رئيس
البوايين] وأمير الاصطبل ورئيس الجاويين وجاقرجي باشي وجاشيكباشي
وأغوات البلوكات الستة . وسمى هؤلاء أغوات الركاب لأنهم كانوا يعيشون بحوار
حواد السلطان .

(٢) أمير العلم هو حامل العلم السلطاني ورئيس فرقة الموسيقى [علم مهترى]
التي كانت تعرف إمام عجم السلطان وقت السمر . وإمارة العلم وظيفة قديمة في الدولة
وأمير العلم دون أمراء الاستشارية وفوق سائر أغوات الركاب .

(٣) قبوجي باشي . رئيس الدواوين . وظيفة قديمة في الدولة . وكان في الأول
واحداً ثم صار أربعة ثم بلغ عددهم عشرة . وعين أحدهم رئيساً عليهم . وكان إذا
عين أمير جديد لافلاق ومدان [رومانيا الآن وكانت تاسة للدولة] أرسل الأمير
الجديد إلى مقر إمارته في صحبة أحد منهم ويعود حاملاً الهدايا ومكافآت محرمة

(٤) وكان أمير الاصطبل اثنين أحدهما كبير والآخر صغير وكانت وظيفة الأول
الإشراف على حدم الاصطبل السلطاني والسروحية وحدم حمال وحيول السلطان
وبيع أعشاب المرائين الأميرية وتقديم صلح معين من أثمانها إلى الركاب السلطاني
وتترك الباقي لنفسه . وأما الآخر فهو رئيس حدم الاصطبل الصغير وسائق المركبات
السلطانية وكان من وظيفته توزيع الحمول على علان القصر في السفر والحفظ
على «عربيات» السلطان .

(*) «خواجه» كلمة فارسية تعني الأستاذ واليد لا تطلق وأنها كُنْها عبر موحودة
حتى الكلمة مكانا (حاجه) وتجمع على (خواجكان) وتعني (حاجكان) ، ومن القصور
منه مثل العلم السلطاني آلاف تذكر .

يجلس دفتردار ومالى فوق جميع الاغوات الموجودين فى باى العالى .
وهم فوق جميع نكوات الساجق ويتقدمون عليهم فى الجلوس ولو كان
ايرادهم مائة الف آتجه ست مرات والبكوات يجلسون تحت الدفتدارين .
وعا الانكشارية من الاغوات وكبير سائر الاغوات . يجلس أغا
الانكشارية فى الصدر فأمر العلم فريس السوايين فأمر الاصطبل — وقد أصمغ
أمر الاصطبل اثنين فى الدولة حالياً — فچاقرچى ناشى (١) فچاشنيگير ناشى (٢)
فسائر آغوات البلوك . فريس الجاوشين (٣) فكتحدا البوايين (٤)
ججهجى ناشى (٥) فطوبچى ناشى (٦) والجلوس فى الصدر بالديوان السلطانى
رسم اوزراء وقاضى العسكر والدفتدارين والنشاجيين .

يجلس اولا الوزراء وفى احد الجانبين يجلس قضاة العسكر والدفتدارون
وفى الجانب الآخر يجلس النشاجى . وإذا كانت رتبة النشاجى الوراة
او إمارة الامراء يقدم على الدفتدارين . واما إذا كان نشاجيا برتبة السنجق
فيجلس دون الدفتدارين فألقابه ألقاب الدفتدارين ومرتبته مرتبتهم .

(١) هو رئيس صيادى القصر السلطانى والمشرف على الطيور الجوارح التى
يصطاد بها .

(٢) هو المشرف على طعام السلطان .

(٣) كانت وظيفته الوقوف بالديوان العالى ، إذا احقده لىظر فى القضايا ، وفى
يده عصا من فصة ، وتنفيذ القرارات التى يصدرها الديوان

(٤) هو رئيس حراس أبواب القصور السلطانية — ماعدا باب السعادة — وكان
عددهم ٢٣٤٢ نفر .

(٥) رئيس عرقة المهات الحرية المحقة بسلاح شاة وكاست وظيفتهم تجديد
و صلاح الآلات والدحائر الحرية والمحافظة عليها وقت الحصر وتوزيعها وقت السلم .

(٦) مدير مصاح للدافع .

ويجلس دفتدارى فوق مرمى الامراء السلطانية ،

الوراء وقضاة العسكر والمفتدرون سواسية فى الخلع ، والشوية
والصيفية والجرابة .

والجلوس فى صفة الديوان العالى رسم الحائزين رتبة امير الامراء ويجلسون
تحت الوراء ويجلس المفتدرون تحت قضاة العسكر . ويجلس امراء السناجق
خارج الصفة .

وجميع دفتدارى سواء اكانوا فى باي العال ام فى البلاد متساوون فى
المرتبة ورسم الجلوس والالقاب .

والحائزون رتبة امير الامراء دون الوزراء بدرجة واحدة . ويتصدرون
على قضاة تحت ، ويجلس القضاة ، ماعدا قاضى عاصمتى ، دون دفتدارى .
والذين لهم أن يمرضوا بالذات على ركائى السلطانى هم الوزير الاعظم
وقضاة عسكرى ودفتدارى . وكذلك يملك المرض من رجال القصر الداخلين
« قبو آعاسى » (١) و « اوطه بائى » (٢) و « خزينه دارباشى » (٣) و « كيلارجى »

(١) « قبو آعاسى » أو « باب السعادة آعاسى » هو رئيس الطوائى وسائر
المتخدين بداخل القصر والشرف على دائرة الحرم السطانى وكان ينظر أيضاً
على أوقاف الحرمين . ثم أحدث معبد « دار السعادة آعاسى » واسداليه كثير من
اختصاص « قبو آعاسى » وبعد مدة كان « باب السعادة آعاسى » تاجاً « لدار السعادة
آعاسى »

(٢) هو رئيس الآعوات الداخلية وكان يقوم بالناس السلطان ملايحه وحلعيها
والملك كان أقرب للقرين منه .

(٣) هو رئيس مستحضى حزية السلطان والمخافط عليها . وعلى عمده
وسجادة صلاته .

باشى ، (١) و «آعاسراى العامة» ، (٢) . ولكن «قبو آعاسى» المس هو الرئيس يجب أن يعرض «اوطه باشى» ، و «قبو آعاسى» فى أكثر الاحوال . واما العرض كتابياً فرسم امراء الامراء والامراء والقضاة الذين هم «كوترى» ، (*)

الحصول على رتبة أميرالامراء طريق أربعة من رجال الدولة: دفتدارو المال ، والنشانيون الحاصلون على رتبة البكوية ، والقضاة الذين راتبهم خمسمائة آقجة ، وأمراء السناجق الذين بلغت رواتبهم أربعمائة ألف آقجة ويجلس امراء السناجق فوق آغوات «كوترى» ، (*)

الحصول على وظيفة النشاني طريق مرمى الداخل والصحن . وإذا كان أحد من الدفتدارين نشانجياً كان ذلك بحكم رتبة أميرالامراء . وإذا كان رئيس الكتاب شانجياً كان بحكم السنجق . (٣)

(١) هو رئيس مستحدى الكيلار [= بيت المؤن] السلطانى والشرف على الطابع والقائم بصنع الحلويات والشربات .

(٢) هو المشرف على الدائرة السجاء «أندرون هابون» للؤلؤة من المرف الخاصة والكبيرة والصغيرة والسرائى وكان فى مبعته أربعون آعا .

(٣) لم يكن عمل النشاعى وضع طعراء السلطان حسب دل كان عهد اليه تحرير الكائنات السلطانية الموحدة الى الدول ولذلك كان يختار من بين العلماء القادرين على الاشياء ثم عهدت وطبعة الاشياء الى رئيس الكتاب فاقصر عمل النشاعى على توقيع «الطعراء» وسجيل الاقطاعات وقرى الاوقاف كلما انتقلت من شخص الى آخر .

(*) معناه بالجملة ولعل المقصود هنا من يس هم ليراد محمد من الامراء و تقصده وغيرهم .

واذا قبل دفتر داروالمال سنجقاً يعطونه بخمسين وأربعمائة ألف. ويمح السجق آغا الاسكشارية وغيره من آغوات الركاب بثلاثين وأربعمائة ألف. ولا يكون أمير السنجق الذي ينقص راتبه [او إرادته] من أربعمائة ألف ، أمير الامراء . وإذا عين آغا دار سعادتي للسنجق عين بأربعمائة ألف .

وعند تناول الطعام بديوانى السلطان يتناول الورير الاعظم مع الدفتردار الاول ويتناول سائر الوزراء مع الدفتردارين والنشائجي ويتناول قصاة العسكر فى مائدة اخرى .

ومن الرسم وقانونى أن يكون دفتر داروالمال والنشائجي الحائز رتبة البكوية وزراء طغرة [دفعة] من غير تدرج .

والطعام المرفوع من أمام الوزير الاعظم لرئيس الجاويشين فليأكله مع زملائه . والطعام المرفوع من أمام هؤلاء الوزراء لرئيس الكتاب فيتناوله مع رؤسبه . والطعام المرفوع من أمام قصاة العسكر لكتبخدا البوايين .

رئيس الجاويشين ورئيس الكتاب وكتبخدا البوايين هم خدام ليس لهم أن يجلسوا فى الديوان . وإذا دعت الحالة الى حضور أمير العلم ورئيس البوايين من الاغوات الى الديوان فليس لهما أيضاً أن يجلسا . وإذا دخل أمير امراء معزول او أمير معزول لمصلحة فليجلس أمير الامراء المعزول دون الوزراء والنشائجي وليجلس الامير المعزول دون الدفتردارين . وأما إذا كان أمير الامراء المعزول فى وظيفة دفتر دار المال او آغا الركاب عن طريق منصب جديد فليجلس ١٩

ومن الرسم أن يجلس الوزراء وقصاة العسكر والدفتردارون خدمتهم

والمجورة» . (١) وعلى الخاترين رتبة أمير الامراء ، وامراء السناجق أن يلبسوا «اسكف» (٢) .

ولا بد من تعيين «سلام چاويشي» (٣) للوراء والدفتردارين . ومن قانوني أن يوقع الوراق الطغراء ويساعدوا الشانجي ؟ الدفتردار الاول سطر على جميع أموالى . وشئون العالم [المالى] مفوضة إليه فلايبت فيها بدون أمره بحيث لا تدخل واقعة ، ولا تخرج الابدنة . هو وامير امراء الروملى سيان فى المركز . وجميع دفتردارى أموالى وكلام عى فى أموالى . فالقبصر والصرف ، مفوضان إليهم . ونصب وعزل جميع الكتبة متروكان إليهم .

ليشاور الوريير الاعظم سائر الوراق ودفتردارى فى شئون السلطة ولا يطلع عليها احد غيرهم .

واصدار الاحكام بضرافى الشريف مفوض الى ثلاث جهات : فلتكتبه الاحكام المتعلقة بشئون لعالم بمرض [بيورلدى] الوزير الاعظم . والاحكام المتعلقة بمالى بمرض [بيورلدى] دفتردارى . والاحكام الشرعية بمرض [بيورلدى] قضاة عسكرى .

(١) المجورة من المهتم المتعلقة فى الدولة بعتابه وكات يمتار عن «القاق» الذى «سليمى» المحدث فى عهد امسطان سليم الاول بما عليها من القطعة الحمراء المشبه بالطربوش وكان يلبسها رجال قصر فى الايام العادية ويلبسها القيو كجنداءون (٢) و«أمين الشهر» والمختب وبعض الموظفين فى الاحتفالات

(٢) كلمة رومية . ومعنى نوع من لباس الرأس مسجج من الصوف الاحمر وكان يلبسها سكان البحر الايض للتوسط .
(٣) تشرىفاتى الوزراء والدفتردارين .

(*) ممثلو الولاة لدى الباب العالي باستا قبول .

وليشاور دفتردارى الأول ايضاً الوزير الأعظم فى الشئون المتعلقة بمصبه بحيث لا تبقى هناك شئون حفية تحتاج الى البحث مرة ثانية .
ليحضر وزراءى وقضاة عسكرى ودفتردارى جنارة من يتوفون من أولادى .

ومن أصول الدفتردارين أن يرقوا الى وظيفة الدفتردار الاول . ويرقى الى وظيفة الدفتردار من كان فى احدى المرتبات الثلاث :

اولا — من قانونى أن يكون كل من امين الدهتر^(١) ودامين الشهر^(٢) ، دفترداراً . ومن قانونى أن يكون القاضى الذى راتبه ثلاثمائة آقچه كبيرة دفترداراً . والقاضى الذى راتبه ثلاثمائة آقچه فى مرتبة حسمائة آقچه . والقاضى الذى راتبه ثلاثمائة آقچه واحد فى الوقت الحاضر . ومن قانونى أن يكون دفترداراً بعد أن يبلغ الراتب ثلثمائة . ومن قانونى أن يكون رئيس الكتاب دفترداراً اذا روعى . وفى المراتب يجلس امين الدهتر [اولا] ويليهِ دامين الشهر ، ويليهِ رئيس الكتاب .

ويملك دامين الشهر ، مرتباً قدره مائة وعشرون آقچه .

وفى مراتب الكتبة يجلس رئيس الكتاب [اولا] فكانت الانكشارية

(١) هو المشرف على شئون الاقطاعات باواها الثلاثة . « حاصى » رعامت ، تيار » وماتر المعاملات المتعلقة بالاراضى وما اليها من الرسوم والاعتبار . وكان امين الدهتر تابعاً للشراعى فى الاول ثم تقدم عليه .

(٢) « امين الشهر » هو المشرف على الاعمال الانشائية الحارية فى القصور السلطانية من اعداد مواد الانشاء وصرف احوار الصانع والعمال ومرنات بعض مستخدمى السراى . وليس المقصود بها رئيس البلدية كما فى عرف استامبول .

مكتاب روزنامی بالمقابلہ جی والمقاطعه جی فالتذکرہ جی مکتبہ الرئيس .
والکتابہ المقدم ذکرہم فی مقام « الخواجه » يحضرون الديوان لابسين
ملابس طويلة الأکام .

وکتبہ الرئيس [فی حکم] نمر . والکتابہ الآف الذکر عزلم وصہم
متروکان الی دفتردارى فاهم خدمہم . و « المتفرقة » ذوالمراتب مقدم عی
الچاشنیگیر (١) . وبعد الجاشنیگیرین متفرقة الاقطاعه [التیار] وبعدہم
الچاویشون (٢) .

الافدم من الجاویشین والکتابہ هو موضع الرعايه والاعتبار .
واقطاعه [تیار] الجاویش والکتاب حره .

وطریق « المتفرقة » ذوی الرواتب الی دفتردارية التیار . وطریق
دفتردار التیار الی وظیفه کتبخدا دفتردار (٣) . واذاروعی کتبخدا دفتراروملی

(١) ثم الندل [السرحية] وكانت مهمهم تقديم الطعام عندما يتناول السلطان
طعامه فی الغرفة المسماة « حاضراوطه » أيام انعقاد الديوان وكان عددهم أربعين فی
الاول ثم ابلغ مائة وسبعة عشر نادلا .

(٢) الجاویشية وطیفة قديمة فی الدولة وكانت موحودة فی الدولة السلجوقية
أیضاً وكان عددهم ثمانمائة أربعة وعشرين نمرأ يستخدمون فی أعمال العارة
والمخادئات السياسية كما كانوا یشدبون لأعمال التفتیش فی داخلية البلاد ثم اسدت
بعض هذه الاعمال إلی « چوچی باشی » كما اسدت العارات والمخادئات السياسية
إلی آخريں واقصرت أعمال الجاویشین علی خدمة السلطان فی السرى ومصاحبته
عندما یخرج للتحول فی العاصمة وحمد سلاحه المسمى « طوپور » وبدأ خرج
السلطان للسمر یقعون ثمام محبته عندما تعرف عرقه الموسیقی السلام السلطانی .

(٣) هو المشرى علی شئون الاقطاعات من نوعى ائتجار والرعاة وكانت تسمى
لامانة الدفتر .

جاز أن يكون مقر دارالمال .

وطريق كتابة الرئيس أن يكونوا كتاب الخزينة ، ومقاطعه جي ،^(١) .
ومحاسبه جي ، [= رئيس الحسابات]

ومدرسو الصحن [أى المدارس الثمان العالية] فى مقام «مولويت» .
[= القضاء العالى] فيتصدرون على جميع أمراء السناجق . وكذلك مدرسو
الداخل ومدرسو الخارج فى مقام «مولويت» ويكون [راتب المدرس]
فى كل من الخارج والداخل خمسين آقچه . وقد سميت المدارس العالية التى
أنشأتها حالياً «صحن» والمتخرج فى الصحن يصل الى وظيفة القضاء بمحملة
آقچه . وكذلك المتخرج فى مدرسة «آيا صوفيا» .

والملازم [المدرس] الجديد يلتحق بالمدرسة اول ما يلتحق بعشرين آقچه
ثم يصل الى خمس وعشرين آقچه فثلاثين خمس وثلاثين وأربعين وخمس
وأربعين وخمسين . والمدرس الذى راتبه خمسون آقچه يجلس فوق جميع
الأغوات وبعد أن يصل المدرس الى مدارس الصحن يكون قاصياً بمحملة
آقچه ثم يكون قاضى العسكر .

قاضى عاصمى وأمراء الامراء سيان .

وإذا كان مدرس بمدارس دايج ايل ،^(٢) وراتبه عشرون آقچه ، قاضياً
كان بخمس وأربعين آقچه .

والقاصى الذى راتبه ثلثمائة آقچه فى مقام «مولويت» [= القضاء العالى]

(١) هو رئيس الكتبة القائم بشئون المقاطعات الاميرية [= الالتزامات]
وامين السجل المدونة فيه المقاطعات المذكورة .

(٢) تطلق على مدارس استانبول وادرنه وبروسه وللدارس المتتارة الموجودة
فى المدن السكينة حوالى البلاد المذكورة .

وسائر القضاة الذين تكون رواتبهم مائة وخمسين آقچه يجلسون فوق
كتخداني القنطرة وامراء الآلاى . واما السنجق، فيجلسون تحتهم ولو كان
راتب احدهم [او ايراده] مائتي الف آقچه . واذا لم يبلغ [راتب منصبه]
ثلثمائة لا يستحق دفتر دارية المال . ومن قابوئى اسناد الدفتر دارية والشانجية
الى مدرسى الداخل ، ومدرسى الصحن ، أيضاً .

وليكن أبناء الوزير الاعظم متفرقة،^(١) بستين آقچه . وأبناء سائر
الوزراء بحمسين آقچه . وأبناء الشانجيين بخمسين وأربعين آقچه . وكذلك
أبناء الخاتوين رتبة أمير الامراء بحمسين وأربعين آقچه .

ليأخذ أبناء أمراء الساجق اقضاة [رعامت] ايرادها ثلثون ألف آقچه
وليأخذوا أبناء الجاوشين اقضاة [تيار] ايرادها عشرة آلاف آقچه

(١) لما بدأت الدولة تسد المناصب الكبيرة كالوزارة والقيادة وإداره الأيالات
الى الرجال الذين نشأوا من اطفال «ديوشيرمه» [= مجموعة] من أساء المسيحيين
ومن العلما المأسورين - فقد احدثت منظمة سميت «متفرقة» و«واحى الرعاية»
يلتحق بها أساء هؤلاء الرجال براتب حسب مناصب آبائهم ومراكزهم في الدولة ،
كما سبق ذكره في متن القانون وذلك لان أساء هؤلاء الرجال لم تكن لهم أصالة
النسب كأولاد رجال الدولة القديما ولم تكن القوايين للموحودة في ذلك الوقت
تسمح لهم بشغل المناصب الكبيرة بمحمودياتهم الشخصية مثل آبائهم فاحدثت لهم هذه
المنظمة المسماة « المتفرقة » ثم توسع في نظام المنظمة فأصبح يلتحق بها بعض رجال
القصر حتى أبناء بيات السلاطين واحوائهم وبعض افراد من رجال العلم والعن والادب .
ولم يكن لجامعة المتفرقة عمل في الدولة يؤدونه وانما كانوا يكونون في ممية السلطان
اذا خرج لتفتيش العاصمة مشوا أمامه واذا خرج للسمر كانوا في معيته وقد راد
عندهم حتى بلغ ستمائة نفر .

وليقبض كل من أبناء المفتى وخواجه، (١) من أسماء الموالي العظام
ستين آقچه من «أمين الشهر» . [وقد عرفت معناه في ص ١٨٤] . ولأبناء
قضاة العسكر راتب قدره خمس وأربعون آقچه .

ولأول معلم الأمير السلطاني راتب قدره ثلاثون آقچه . ولأبناء مدرسي
الصحف راتب قدره عشرون آقچه .

وإذا طلب الملازم الجديد «زعامة» ، فليعطوه «تياراً» ، إيرادها عشرون
ألف آقچه .

ومن قانوني أن يمنح الوزير الأعظم بدون عرض «تياراً» ، ينقص واحداً
من ستة ؟

ويصرح لقضاة عسكري أن يمحوا بدون عرض آقچتي الجهات التي
لا تتعلق بالسلطين .

ويصرح لدفترداري أن يمحوا بدون عرض آقچتين من حزينتي العامة .
وليوجه أمراء الأمراء الموجودون في أنحاء المملكة التيجار والزعامة
بالعرض ولقبيل عرضهم .

ليعرض دفتر دارونا الايراد والمصروف على سدق السلطانية في العام
مرة واحدة وليلبسوا [عند العرض] ملابس فاحرة .

المدرس الذي رآه حمسون آقچه بتصدر على رئيس الكتاب وأمين الدفتر .
وليقدم أمين الدفتر و «أمين الشهر» على أعوات البلوك . هذا ؛ وأمين
الدفتر قريب من الدفتر دار في الرتبة فليقدم على «أمين الشهر» ورئيس
الكتاب ويصرح لدفترداري أن يرشحوا من يخدمون الدولة لتولي
الجاويشية والسيامية والكتابة حسب استحقاق كل منهم وطريقه . وأن
يعرضوا ذلك . وليعرضوا ايضاً منح السنيقي والإعامة إذا لم .

ولتصرف حسب اذرع من الجروح والبفتة لكل فرد من افراد الاسكشارية كل عام .

قد نظمت شئون السلطة بهذا القدر ولجعل على اصلاحها من يأتى من بعدى من اولادى الكرام .

فى بيانه ترتيب المراسم المتعلقة بشؤون السلطة :

لتنشأ اولاً غرفة للعرض ولا جلس أنا وراء الحجاب فليدخل وورائى وقضاة عسكرى ودفتدارى عى سدى العلية أربعة أيام فى الاسوع للعرض . واذا حضر وورائى وقضاة عسكرى ودفتدارى الى الديوان كل يوم فيستقبلهم رئيس الجاوشين وكتخدا الوابين ما شين أمامهم .

وإذا كانت هناك اخبار خارجية تتعلق ببعض المصالح فليسامها آغا الباب كتخدا الوابين وليسلمها هو وورائى وقضاة عسكرى ودفتدارى . [أو: وإذا كانت هناك أوامر تتعلق بالمصالح الخارجية فليسلمها عى آغا الباب . . . الخ] قد أنشئت غرفة خاصة ايضاً فليكن فيها مع غلمانها السالع عدد من اثنين وثلاثين غلاماً ، د سلحدار ، (١) و د ركابدار ، (٢) و د جوقه دار ، (٣) و غلام الشاشة (٤) . والاشراف عى غلمان العرفة المذكورة مفوض إلى رئيس العرفة

(١) هو أمين سيف السلطان . اذا سافر السلطان الى جهة كان يعيش فى بيته حاملاً السيف المذكور . ثم ارتفع شأنهم فأصبحوا يلازمون السلطان كل يوم ويعرضون عليه اشئون وتولى كثير منهم الصدارة والوزارة والقيادة والابالات الكبيرة مثل مصر و امى هذا المنصب فى سنة ١٢٤٧ هـ عند وفاة السلحدار على آغا الكرىدى . وهو آخر من تولى هذا المنصب .

(٢) كان يعيش فى ركاب السلطان ويمسك به اذا خرج وحده للترمس . اذ لا يوجد فى مثل هذه الحالة أعوات الركاب .

(٣) كان يحمل معظم السلطان فى الاحتفالات الرسمية وعيشى فى بيته وكان ينوب عن السلحدار اذا غاب .

(٤) أمين عمايم السلطان والقائم بتفاتها .

[أوطه باشى] ومصرح للسلحدار أيضاً أن يؤدى العلمان المستدين [العشم] بالطم . وإذا لزم إخراج هؤلاء من القصر [أى تعيينه فى وظيفة خارج القصر] يكون كل من السلحدار والركابدار متفرقة بخمسين آقچه عن أله إذا روى يكون آغا البلوك ورئيس الجاشينكير . ويكون من عداهما من غلمان الفرقة المارة الذكر بخمس وثلاثين آقچه . وقد حدث أن كان السلحدار رئيس البوابين .

ويخرج غلام الخرينة ثمانى عشرة آقچه (١) . ورئيس بيت المؤنة [كدارجى باشى] هو الذى يضع الطعام أمام السلطان . قد عين للحديقة رئيس البستانين فإذا ركب السلطان القارب فليمسك هو بالدفعة وليضرب أحد البستانين المجداف (٢) . وكان من أوامرى أن يخرج العرش ويوضع بميدان الديوان فى الأعياد . وبعد مراسم تقبيل اليد يقف ورنافى وقضاة عسكرى ودفتردارى . . . يقفون حلق قبله وخواجهه ومفتى الأنام .

(١) كانت التقاليد تقضى أن الغلمان الأسرى وعمان الديوشيرمة [المجموعة] إذا تم تعليمهم وتدريبهم سواء منهم من كانوا فى القصور السلطانية أو فى شكاات العلمان المستدين [العشم] الحقوا بحلقتهم أسلحة الجيش وبوظائف الدية ويسمى هذا الإلحاق «جيقمه» [أى الخروج] . ولما ألقى نظام «الديوشيرمة» اقتصر هذا التعبير على الذين يخرجون من السراى السلطانية وحدها [أى يعيدون فى وظيفة خارج السراى] .

(٢) استخدم بعض من غلمان «الديوشيرمة» والغلمان الأسرى فى حداثق القصور السلطانية وسموا «بستانجية» ثم استعالت هذه الجماعة إلى مظنة عسكرية تحت إدارة رئيسهم وأسديله الأشراف على شئون الأمان حوالى التسعور مع القيام بالمحاطة على القصور السلطانية وحداثقها كما عهد إلى طائفة منهم العمل فى القوارب السلطانية الخاصة وفى المراكب التى تنقل الخشب اللازم للساحدا لجرى أنشاؤها واحتطت للسراى

ومن قانونى أن أقوم بنفسى لوزرائى وقضاة عسكرى ودفتردارى
الاول والنشائى .

ومن قانونى أن يقبل البلاويشون اليد . ومن قانونى أن يقبل اليد
ذو منصب من ذوى المناصب الصغيرة مثل الامير الاى . ومن قانونى
أن يقبل المتفرقة ، اليد اذا كان داراتب . ومن قانونى أن يقبل
« الجاشنيكير » اليد .

وليس بلازم أن يقبل اليد الزعيم [صاحب الاقطاع المسماة
« رعامت »] ولا أصحاب الاقطاعات المسماة « تبار » وأما اذا كانت متفرقة
[راتب] الزعيم مائة وحسين آقچه من قانونى أن يقبل اليد .

ومن قانونى أن يقبل اليد قضاة تكون رواتبهم فوق ستين آقچه ،
وسبعين آقچه .

ومن قانونى أن يقبل اليد المدرس الذى راتبه عشرون آقچه .

وليس من قانونى أن يقبل اليد من طوائف الكتاب كتبة الرئيس
وكتبة الدفترخانه الذين هم بغير : لاعد تعيينهم كتبة ولا فى العيد . ومن
قانونى أن يقبل اليد « محاسبه جى » (١) و « كاتب الاكشارية » (٢) و « كاتب
السياسة والروزنامى » (٣) من ذوى المناصب .

(١) هو المشرف على حسابات الدولة من ايراد ومصروف .

(٢) هو القائم بتسجيل اسماء جنود الاكشارية فى سجل خاص ووضع كشف
مراتبهم التى كانت تصرف فى ثلاث حصص فى السنة .

(٣) هو كاتب اليومية يقيد المبالغ الموردة للحزنة والمصروفة منها فى سجل يسمى
« روز نامه » [= دفتر اليومية] .

والدير يحصرون الديوان عليهم جميعاً أن يحصروا لابسين قفطاناً دأكم
طويل فهم في مقام (خواجه) (*).

وإذا توجه جناب العالي إلى السفر فمن القانون أن يقترب منى ودرائی
وقضاة عسكري ودفتردارى.

ومن قانونى أن يقترب ايضاً المعزولون من الحائزين رتبة أمير الامراء
والامراء اذا دعوتهم.

وليدفع لكل من ودرائی حسون قطاراً [القطار مؤلف من خمس
رؤس] من ايلي ويلي وحمة قطر من البعل لكل من دفتردارى وذلك
لتحمل خزائهم (عند السفر).

وليس من قانونى أن يتناول احد الطعام مع جناب العالي الا أن يكون من
الاهل والأسرة وكان أجدادى العظام يسمحون لورائهم أن يتناولوا معهم
الطعام فالتفت أنا هذا التقليد.

وإذا خرجت للسفر فليمش في ركابى السلطانى رئيس «الصولاق» (١)
ورئيس «اليك» (٢).

(١) «صولاق» على غير التقصود «احماعة» يحضر عددهم في أرهمائة، تحت
ادارة رئيس يسمى «صولاق باشى» وكاتب وطبقتهم المشي في ركاب السلطان
سواء في السفر او في الاحتفالات ارمية وكر رئيسهم يمشك بلحام حواد السلطان
عند اجتيازه قطرة [كبرى]

(٢) كلمة فارسية على المراسم والدائر في تلك العر. ولما رادها نوع من حدود
«الصولاق» وانما يقدموهم في المشي في ركاب السلطان ويختارون عنهم في الزى
حسب ولم يكن لهم اى عمل في الدولة سوى المشي المذكور فكانوا حدود ارمية وكفى

ويحملون صندوقاً صغيراً فيه عملة «لورى» لمصرف الجيب .
وأي شخص يتولى السلطنة من أولادى قس المناسب أن يقتل إخوته
من أجل نظام العام وأجاره أكثر العلاء فليعملوا به .
وليدفع الى غلام غرقى الخاصة حلعة وفتتان أربع مرات فى السنة .
وعلاوة عليها فلتدفع ثقية من «جائمه» ومداس [حذاء]
ليبق ختمى المارك لدى وريرى الاعظم . وإذا لزم أن تحتم خزانق
ودفترحاتى أوتفتحا فلتفتحا ولتقفلا بمحصر من دفتر دارى وبأوامرهم .
وما يورد الى حزبتى وما يصرف منها من القود فليورد وليصرف
بأوامر دفتر دارى .

فى بيان أهوال المحريم [- اعرامات المناصب] والمحصولات المفوضة
بنوى المناصب .

اولا - لتكر الحريمة [العرامة] فى القانون ثلاثة آلاف آقچه سواء
اصوباشى الميرى اولصوباشى ذوى التبار (١) . ولتكر [اى العرامة] حسنة
والف آقچه لفقاً العين . وألف آقچه لكسر اندراع . وحسين آقچه لشع الرأس .
إذا سب شخص شخصاً آخر برشرطاؤو تؤخذ منه عرامة أربعين آقچه .
إذا نظر شخص الى حرم شخص آخر تؤخذ منه عرامة عشرين آقچه .
اقتطاعة [تبار] الجاوش والكاتب حرة مطلقة من سلسلة البگوات
الآن تكون امور عظيمة . قري وتبار خواصى السلصاية حرتان مطلقتان
من سلسلة البگوات . وهكوترى خاص دفتر دارى ومفوض اليهم ما يدرم
له من الحل والمقد ٩١ .

(١) ترجمة حرية للأصل بدون أى تصرف . ولا سبيل الى فهم المقصود .
راجع من ١٤٥ لمعرفة معنى « صوباشى »

إذا وجد دهردارى لى أى شخص سواء لى و ررائى او غيرهم، خاصاً
 يصلح لى فليأخذوه من يده وليعصوه بدلا منه ما كان يعير حاصل من خواصى ؟
 وليكن و ررائى بمائة ألف آقچه اثنتى عشرة مرة . وليعين الخاص بهذا
 المقدار ١٩ .

عوائدهم :

إذا ورد الى سدنى لعلية حرايح وهدية من أى جهة كانت فلتد حصص
 لوررائى و دهردارى ايضاً . وليبع امراء الامراء مائة ألف ، عشر مرات
 واثنتى عشرة مرة . ليكن اولاً بمائة ألف ، ثمانى مرات ١٩ .

ليمنح دهردارى « خاصاً » وليمنحوا مائة ألف آقچه ست مرات . وان
 صرفت « سالانه » من الحرية فاسابينة عالية فتصرف من مائة وحمسين
 الف الى مائتين واربعين الف .

وان صرفت « سالانه » من حزينتى لوررائى فتصرف من مائتين
 واربعين ألف الى ثلثمائة وحمسين ألف آقچه وليصرف سائر و ررائى مائة
 وعشرون ألف آقچه .

وإذا طلب الوزير الاعظم التقاعد فليصرف له مائة وحمسون ألف آقچه
 فى السنة .

وليكن تقاعد امراء الامراء بمائة ألف آقچه . وليكن تقاعد سائر
 دهردارى المال بشاين ألف آقچه . وامراء السجق ستين ألف آقچه .

لا يمنح اولاد سائى وظيفه امير الامراء وليمنحوا وظيفه لسجق الثقلين .
 فليصرف لوررائى القدر الكافى من عشب مروجى وليقبصوا من « أمين
 الشهر » القدر الكافى من ثمن الحطب .

عائدة ودفتردارى :

ليأخذوا حق التوقيع بواقع ألف آفجه عن كل حمل [اِحمل مائة ألف قرش] من الاحمال التى هى قيمة الخواص ، التى يمنحها الامراء من خواصى ، السلطانية سواء بالالتزام او بالامانة .

وكما ورد الى خزينة العامة اى مبلغ فليأخذوا رسماً باسم « كسر الميزان » بواقع اثنين وعشرين آفجه عن كل ألف آفجه . وليأخذوا رسم الكتابة للكتبة الذين يخدمون الدهردارىز وليدهموا الدهردارىز معونة من عشور وخواصى ، السلطانية تساعد في ما كولاتهم

اذا جاءت هدية الى جنائنا العالى من اى جهة فليعطوا ورراى ودهردارى حصة منها .

وليأخذ القضاة سبع آفجات عن التسجيل الواحد ، واثنين وثلاثين آفجه عن الحجة واثنين عشرة آفجه عن استخراج صورة من السجل ، واثنين عشرة آفجه عن الامضاء ، وعشرين آفجه في كل ألف عن قسمة الاموال ، واثنين وثلاثين آفجه عن عقد الكاح إن كانت مكرراً وحس عشرة آفجه إن كانت أليماً .

وليصرف لقاصى عسكرى مرتب يومى (١) من الخزينة قدره خمسمائة آفجه . ولأغا الاسكشارية أربعمائة آفجه ، ولأمير العلم مائة وثمانون آفجه ، ولأمير

(١) هذه المرتبات وان كانت يومية ولكنها لم تكن تصرف يوميا وانما كانت تصرف لبعض المواعين مرة في الشهر بواقع التقدير للقرار عن كل يوم ، وفي اربعة أفساط معظمهم ، وكل قسط منها يسمى « مواجب » وكانت مواجب الجنود مصفا يصرف لهم في مكائهم ، والتمص الآخر في ديوان الصدر الاعظم وكان من التقاليد صرفها يوم الثلاثاء .

الاصطبل مائة وخمسون آقچه . ولكل من رؤساء البوابين مائة وخمسون آقچه .
ولكل من آغوات البوك مائة وحس وعشرون آقچه . ورئيس الجاويشين
ستون آقچه ، ولكل واحد البوابين ستون آقچه ، ولكل من رئيس الجه جية
ورئيس المدعيين خمسون آقچه .

ولتكتب الالقب كالآتي :

لقب الوزير الاول . ه الوزير الاعظم والدستور الاكرم المشير الاثم
نظام العالم ناظم ماطم الامم انيس الدولة القاهرة جليس لسططة الزاهرة
مدبر أمور الجمهور بالرأى الصائب متمم مهام الانام بالفكر الثاقب مؤسس
جباب الدولة والاقبال مخصص اركان السلطنة والاجلال المحفوف بصنوف
عواطف الملك الاعلى الوزير الاعظم ادام الله اجلاله .

وليختصر هذا اللقب قليلا اذا كتب الى سائر الوزراء .

وليكتب الى المفتي و « الخواجه » [لهه معم السلطان] وقضاة العسكر
كالآتي :

« اعلم العلماء المتبحرين افضل الفضلاء المتورعين يدبوع الفصل واليقين
وارث علوم الانبياء والمرسلين كشاف المشكلات الدبيلية وصحاح المعلقات
اليقيلية (١) كشاف رموز الدقائق حلال مشكلات الحقائق شيخ الاسلام
والمسلمين مفتي انام المؤمنين المستغنى عن التوصيف ولتبيين استاذى مولانا
محمد أدام الله فضائله . ومولانا بدر الدين القانم بخدمه الفتى ادام الله تعالى
فضائله » .

وليكتب من جانب الديوان الى دفتردارى على النحو الآتي :

« افتحار الامراء والاكابر مختار الكبراء والافاخر مستجمع المعالي

(١) في الاصل [متعلقات تيميه] .

والمفاخر ذو القدر الاتم والصدر الاكرم المختص بمزيد عناية الملك البارى
دفتردار خزىنى العامة دامت معاليه .

وليكتب من جانب المالية كالآتى :

« قدوة أرباب العز والاقبال عمدة أصحاب القدر والاجلال . جامع
وجوه الاموال . عامر الخزائن بأحسن الأحوال المحتص بمزيد عناية
الملك الاعلى دفتردار خزىنى العامة دامت معاليه . »

وليكتب الى امراء الامراء كالآتى :

« امير الامراء الكرام كبير الكبراء الفخام . ذو القدر والاحترام صاحب
العز والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك العلامة امير امراء « قرمان ، دام اقباله . »

وليكتب لأمراء السناجق كالآتى :

« قدوة الامراء الكرام عمدة الكبراء الفخام ذو القدر والاحترام
صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك العلامة . »

وليكتب لأعما الاسكشارية وسائر اغوات الزكاب كالآتى :

« افتحار الاساجد والاكارم جامع المحامد والمكارم المحتص بمزيد
عناية الملك الدائم . »

وليكتب لقضاة « تحت ، الدين مرتبانهم حسنة آقچه كالآتى :

« أقصى قضاة المسلمين أولى ولاية الموحدين معدن الفص واليقين وارث
علوم الانبياء والمرسلين حجة الحق على الخلق اجمعين المحتص بمزيد عناية
الملك المعين . »

وليكتب الى مدرسى الصحن ومدرسى الداخلى كالآتى :

« افتحار العلماء المحققين مختار الفضلاء المدققين . ينسوع الفص واليقين
وارث علوم الانساء والمرسلين المختص بمزيد عناية الملك المعين . »

وليكتب الى القضاة الدين روايتهم مائة وحمسون آقچه كالآتى :

« قدوة قضاة الاسلام وعمدة ولاية الانام يميز الحلال عن الحرام . »

وليكتب الى من هم أقل رتبة بحذف حمة .
وليكتب الى «أمين الشهر» ورئيس الكتاب كآلاتي :
« اقتحار الاعالى الاعظم . مختار الاهالى والاكارم المحتشم بمريد
عناية الملك الدائم » .

وليكتب الى الجاويشين كآلاتي :
« قدوة الامائل والاقران » ،
وليكتب الى الكتبة : « قدوة أرباب التحرير » ،
وليكتب « الاح » الى اخكام الجليلي القدر ذوى السلطة المطيعين اذا
كان صاحب سكة وخطبة في المملكة .
وليكتب « الأمير » اذا كان حاكم بلد أو أعز جد وليس بصاحب خطبة
ولاسكة .

وإذا لزم أن يكتب حكم الى ابي الامير ، أدام الله عمره ، فليكتب هكذا :
نحى الاعز الاسعد الاعدواث الملك السليم نور حدة عيسى السلطانية
سيد السلاطين صاحب العز والتمكين ، محض لطف الله الكريم نحى السلطان
جسم أدام الله بقاءه .
وليكتب الى أولاد المدرسين والناشوات : « قدوة المحاديم الكرام
عمدة المعاطيم العظام » ،

وإذا لزم أن يكتب حكم الى إحدى الحواتين أو إحدى بات السلاطين
والامراء فليكتب هكذا : حصرة صاحبة العفة والعرة والجاه والدولة ودرج
السلاطين وعرة برج سيد الخوانين الاعظم بات السلاطين « عائشة بنت
نحلى السلطان محمود دامت عصمتها » .
« تمت » (٢) الكتاب بعون الملك الوهاب .

« تحرير آفي عرة دى الحجة الشريفة سنة ١٠٢٩ »

هذا هو القانون المقبول من لسلطان محمد الفاتح أمر بوضعه وانه المجموعة
الاولى المنقولة من نسخة الاصلية الموجودة في المكتبة الملكية في دفسا .
وقد نقلناه مترجماً ترجمة حرفية (١) .

وهناك مجموعة اخرى يقال انها ايضا منسوبة الى لسلطان المشار اليه
ومدونة في فهرست مكتبة دفسا ، ولكنها حاسة من الامضاء والتاريخ
وطاهر ان هذه المجموعة الاخرى النحلة من الامضاء والتاريخ ليست

(١) ان المؤرخ التركي لمرحوم عبدالرحمن شريف بنام الطرقي التنكفة الاولى
لى عدم ذكر مؤرخين شذ عن وجود مثل هذا القانون ويقول : رى المؤرخين
الأفريحيين يحددون في كتبهم عن « قانون منسوب الى محمد » يتبع نقلاً عن المؤرخين
اروم وسكتة بعض على القانون المذكور مجموعة ومدونة لا في ديوانها القديمة
الحكومية ولا في كتبها تاريخية وذلك إما لان القانون المنحدث عنه قد أصبح
مما أضحى عليه في عهد السطان سليمان القانونى من التعديلات والمحققات ، فدمغاً
عريم الاعتدافاعه المؤرخون لهذا ، أو نسب آخر من الاسباب . ومع ذلك قد
دون وروى بعض مواد .

وقد أطلق المؤرخ هدمر لفس في كتابه على ما يحتويه هذا القانون من المواد
وواقع صفة خاصة عدد مدد من للاح وفعه ط ، يلة حيث وحديها فرصة طسة للاعراب
عن عدائه الموروث للدولة العثمانة وحدها حكيم عليها

للفاتح كما يفهم من صريح محتوياتها . ولا يقطع بوجود مجموعة كهذه المجموعة ولاى عهد من العهود .

يدكر كاتب چلبى فى كشف الظنون وجود ثلاثة قوايين للدولة العثمانية مع الاشارة الى موضوعاتها ولكن واحداً من هذه القوايين الثلاثة لا يوافق المجموعة المقولة من نسخة فينا فى ترتيبها . ولا شك أن هذه المجموعة الثانية ليست للفاتح كما قلنا آفاً وأصل المسألة هل المجموعة الاولى التى نقلناها حرفياً فيما تقدم للفاتح اولا ؟ هذه المسألة هى التى يجب دراستها .

رأينا أن مجموعتنا هذه مؤرخة غرة ذى الحجة سنة ١٠٢٩ هـ ولا ريب فى أن هذا التاريخ تاريخ النسخ ويوافق مرور ١٤٣ سنة على وفاة الفاتح . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ليس بمعوم من هو الناسخ ومن أين نسخ وأين يوجد الاصل ؟ اذ لم يعثر فى دار المحفوظات [حرية الاوراق] عندنا على مجموعة كهذه المجموعة إذن فى الضرورى أن نرجع الى الاصول العلمية لنعلم بصيب هذه المجموعة من حيث صحة نسبتها الى الفاتح او عدم صحتها إذ ان صحة مؤلف رسمى تثبت أولاً بأدلة رسمية . ثم أن المؤلفات على وجه العموم رسمية كانت او غير رسمية إنما نعلم صحة نسبتها الى مؤلفها بقوة الرواية عنهم وبما يحتويه الكتاب نفسه من أبحاث .

وتعتبر المؤلفات صحيحة النسبة الى مؤلفها اذا كانت روايتها عنهم قوية وكانت محتوياتها لا تنصب الى الشك فى صحة النسبة اليه . وأما اذا كانت الامر على عكس ما قلناه فالذى يحصى عندنا هو الشك لا العلم ولا الظن .

مثلاً إننا نعلم بالأدلة الرسمية وبالروايات المتواترة أن هناك مجموعة قوايين تعرف بقانون الاراضى ومجموعة قوايين اخرى تعرف بمجلة الاحكام الشرعية وأن هاتين المجموعتين وصعتا من قبل هيئة علمية وأعلنت قانونيتهما للعمل بهما ثم القيتا بعد أن عملت بهما مدة من الزمن .

وكذلك تعلم بالروايات أن التاريخ المنسوب إلى ابن خلدون مثلاً إنما هو له . والروايات المتواردة في هذا الصدد من القمّة والشهرة بحيث لا يحامر ما معه أى شك في ذلك . وهكذا الشأن في مؤلفات المولى خسرو وغيره من كبار العلماء .

وأما الكتاب المؤلف ضد يحيى الدين بن عربي المنسوب إلى العلامة سعد الدين التفتازاني فهناك بحث في صحة نسبه إليه طرأ إلى مندرجاته .

هذه المجموعة المقول أنها تحتوي قوانين الفاتح كما لا توجد في دار المحفوظات عندنا فكذلك لم يذكر مؤرخوها شيئاً عنها ولا عن محتوياتها إنما يتحدثون في بعض كتب التاريخ عن قانون ، ومع عدم التوافق بينه وبين المجموعة التي بين أيدينا في الترتيب لم يذكروا أنهم رأوه ولم يشيروا إلى شيء مما يحتويه . وليست هناك رواية أخرى غير هذه الرواية . ولنفرص أن شخصاً ما وضع من تلقاء نفسه قانوناً خاصاً بعهد من العهود وأودعه مكتبة من المكاتب فإذا تكون قيمة هذا القانون ؟ القانون الموجود في مكتبة « ثينا » الذي هو موضوع بحثنا من هذا القبيل وليس بينهما كبير فرق .

توجد في مكتبتى الخاصة مجموعة مخطوطة تحمل اسم « مجموعة القانون الجديدة » وتضم فتاوى ومسانن تعود إلى عهد المغفور له السلطان سليمان القانوني والعهود المتأخرة عنه . وهناك مجموعة أخرى تسمى « معروضات أبي السعود » تضم فتاوى في شتى الموضوعات ومختلف المسائل . والمفهوم أن شخصاً جمع هذه الفتاوى والمسائل من هنا وهناك ونسبها إلى أبي السعود وإذا لم تتأكد أنها صادرة منه فليس لها أى قيمة .

وبعد هذه الملاحظات نعود إلى المجموعة موضوع بحثنا للتي نظرة على ما تحتويه من الخطبة والمواد . نجد الخطبة تتحدث أن هذه القوانين وصفت بأمر السلطان محمد الفاتح ونقل عن لسانه بمعرفة شخص يسمى محمد بن مصطفى

الشهير بليس راده القنم بحده التوقيع السلطاني في ذلك العهد .

وتدل التحريات التاريخية على أنه لا يوجد توقيع بهذا الاسم بين من تولوا عمل التوقيع في عهد الفاتح وإنما يؤخذ من أقوال الباحثين المؤرخين أنه وإن كان يوجد شخص معروف بـ « ليس جلي » عاش في عهد كل من الفاتح وأمه لسلطان بايزيد الثاني ولكن ليس اسمه محمد وليس اسم أبيه مصطفى وإنما اسمه بور الدين حمزه واسم أبيه علي .

هذا : وكان المفهوم من خطبة المجموعة أنها تحتوي قوانين آباءه وأجداده . والحال أنها لا تحتوي عشر القوانين المذكورة كما أن أكثرها لا يوافق قوانين آباءه وأجداده .

يضاف إلى ذلك أن محتويات المجموعة عبارة عن الأمور التي تأتي في الدرجة الثانية أو الثالثة في الأهمية وعن شئون التي ليس لها أي أهمية ومن هذه الوجهة لا موافقة بين "عرض الوارد ذكره في الخطبة وبين المحتويات . ومن المشكوك فيه جداً أن الفاتح اطلع عليها ووافق من المطلع على هذه المجموعة يرى أن أسوأها بداق وفيها أخطاء لغوية ويقتصها الترتيب ويسودها الفوضى وعدم الأسس . مثلاً ذكر عنوان الباب الثاني في الخطبة هكذا : « في بيان الأصول والمراسم اللازمة للسلطين العظام » وعنوان الباب الثالث هكذا « في بيان أحوال الجرايم وعوائد ذوى المنصب » ولكن ذكر العنوان الأخير في المتن هكذا : « في بيان أحوال الجرايم والمحصولات المخصصة بنوى المناصب » .

وهذا الاختلاف المشاهد في عبارة العواين جدير بالالتفات إليه . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لا ماسة ولا ترتيب بين العواين والمواد المذكورة بعدها . وقد ذكرت الوظائف والممرات والمؤسسات التي يتخرج فيها

الموظفون مبعثرة ها وهناك ومختلطة لا رابطة تربط بعضها ببعض . كما أنه لا يفهم المعنى المقصود من بعض احسن والعبارات .

والخلاصة ان المجموعة ليس فيها ترتيب ولا تصنيف مع أن أهمية الموضوع ظاهرة . ومن المستبعد جداً أن شخصاً يشخص منصب التوقيعي الرفيع يصح قانوناً غير مرتب مثل هذا القانون ويقع هذا القانون . من سلطان علم اديب مثل السلطان محمد الفاتح ، موقع القول والمواقفة .

فاسا تعلم من كتب لتراجم أن الاشخاص الذين وصلوا الى منصب التوقيعي في ذلك العهد كانوا في مستوى رفيع من العلم وثقافة . وكانوا جميعاً من الذين حذقوا العلوم العقلية والعقيدة وكل بعضهم شاعرا مثلاً .

لسنا نريد أن نقول : لم يكن هناك قانون في عهد الفاتح إذ لا شك في أن السلاطين العثمانيين استلهموا من مؤسس السلطنة العلي عثمان أصدروا - بحكم سلطة المحولة لهم - أوامر وقوانين الى جانب الاحكام الشرعية وكان ضمن القوانين المذكورة قوانين وأوامر أصدرها الفاتح فيما يتعلق بشؤون الجيش والموظفين ومراتبهم . ويحس بقواعد التشرىفات والمراسم السلطانية والتعريف والتأديب . والشؤون البلدية والمراهم العامة والارواقف والبطانة عليها لح وقد ذكرنا أهم مواد هذه القوانين فيما تقدم .

نعم ، قد يكون بعض المواد التي نصمها المجموعة مطابقاً للواقع جمعها شخص وهو من هاهنا وهناك أو سمعها من آخرين فتدونها في هذه المجموعة هذا ممكن ومختص .

ولكن لا يمكن أن نمنحها ثقتنا ولا نبني عليها أحكامنا لأنها تتعلق بالعلم الاساسية التي تدير عيها الدولة . ولو كانت القوانين المذكورة وصفت ودوت بأمر الفاتح حقيقة لكان يتأقلمها الخلف عن السلف ولكانت نسخها توجد في دور الكتب وعبد العلاء ورجال الدولة وكانت نص اليا في عهدنا الحالي .

يا للعجب ! هذه القوانين التي تحس شؤون الدولة ولا توجد في دور المحفوظات ولا في دور الكتب الكائنة في بلادها وانما توجد في مكتبة امبراطورية اجنبية !

والواقع أننا اذا تركنا حص المسائل مما تحتويه المجموعة جانباً فما عداها يتعلق بالمرام والمراتب والمربّيات وانما المهم الجدير بالعناية هي المواد المتعلقة بقتل الاح والجرائم [العرامات المالية] وأسناد بعض الماصب .

غنى عن البيان أن القتل من أعظم الجرائم في الشريعة الاسلامية لا يقتل اى شخص بغير سبب . وقد وردت آيات كثيرة تنهى عن القتل وتدل على أنها جريمة شعاع منكرة . وكان قانون الدولة العثمانية هي الشريعة الاسلامية . وكان السلاطين لا يتنون في المسائل الهامة من غير أن يستشيروا العلماء ويأتى السلطان محمد الفاتح في مقدمة من يحترم هذا المبدأ ويحرص كل الحرص على تطبيقه (١) . انه كان عالماً دينياً كبيراً واقفاً على أحكام القرآن ومن كانت هذه ثقافته وصفته فلا بد أن يقدر شناعة جريمة القتل هذا الى انه رحمه الله كان دائم الانتباه بعلماء الدين مثل المفتي وقضاة العسكر وغيرهم من كبار العلماء . ومن المؤكد أن هؤلاء العلماء الاعلام كانوا يصرفون الفاتح عن نيته مجرد الإطّلاع عليها لو فرضا انه أراد أن يقرر مبدأ قتل الاخ خوفاً من أن تكرر الحوادث المؤسفة التى قام بها الامراء السابقون ، وحرصاً على سلامة اوص من الانقسام ، وتحبيب البلاد ويلات الحروب الاهلية ، وصحاناً لاسم العام . ولكن لم يصل اليها اى اعتراض أو لفظ اثير حول هذه المسألة الخطيرة .

وفي المادة الخاصة بقتل الاح نرى الحملة الآتية : « وأجاره أكثر الديار .. الخ » وينقل المؤرخ النمى هاجر الحملة المذكورة على النحو الآتى الى لايوافق نسختنا :

(١) كان الشعب العثمانى الى عهد الفاتح في حالة جيش مقاتل وهو الذى أحال هذا الشعب الى دولة شممينة منظمة فمست الحاجة الى وضع نظم وقوانين تنعق والوضع الجديد وتستجيب حاجة الدولة في وضعها الجديد واستشاره العلماء نظم ادارة الدولة ورتب مصالحها العامة . « نرجع الدولة العثمانية »

ذكر أكثر الفقهاء أن من جلس على العرش من أولادى وأحفادى
الاجناد فيه أن يقتل אחوته لسلامة الجمهور ، ومن أجل ذلك فعليه أن يعملوا
به ، ليس هناك عالم حقيقى واحد - بله أكثر العلماء والفقهاء - يجيز هذه الفعلة
الشعواء . فانا نعلم من كتب العلماء والفقهاء الذين نشأوا فى ذلك العهد والعهود
التي سبقتهم ملعبهم من الصلاة الدينية ومثانة الخلق . معتمهم حشمتهم الدينية
أن يضيفوا الى الكتب الفقهية شيئاً من تلقاء أنفسهم مع أن ثقافتهم الواسعة
ونضوجهم العلمى يسمحان لهم بذلك .

والواقع أنه يجوز ، سياسة ، قتل من يسعى بالفساد ويعمل على إخلال
الأمم بالبلد ويقوم بأعمال تهدد سلامته فى الداحى والحاج إذا نلت عليه
ذلك ثبوتاً شرعياً ولكن ليس بمجئز قتل أى شخص ساء على مجرد الوهم
والظن . ولا سيما الأطفال الأبرياء فلا بدور بجلد أحد مثل هذه الفكرة التي
ترمى الى قتلهم ساء على مجرد الوهم ولا يمكن أن يصدر أى عالم ديبى فتوى
بقتلهم . واما اذا كان المقصود من الاحوة المذكورة فى المادة المشار إليها
الاحوة الساعين بالفساد فلا يكون هذا موضع نقد أو اعتراض . ولكن
الاحوة الذين يترمون الصاعقة المصلحة ويعيشون لخدمة الدولة والمجتمع ،
وكذلك الأطفال الأبرياء كيف يستساع قتلهم حفظاً لنظام العالم ؟

نحن لا ببدى هذه الملاحظات مدفوعين بما نشعر به نحو الفاتح من الحب
والاحترام ، وانما سديها مستمدة من نور العقل وحكمة المصق . فانه اذا
لم تكن هناك وثيقة تصالح للاستدلال بها ولم يثبت أن العرض من المادة
المذكورة كما فهم المؤرخ هامر [وقصاه آناً] فالحكم الذى يصدره أى
شخص محايد حال من الاعراض لا يعدو عبر الذى وصلنا اليه .

الآن نتقل الى باب الجرائم

أشرنا فيما تقدم الى عدم المطابقة بين عنوان الباب الثانى المذكور فى
الخطبة وفى متر لقانون فإنه ذكر فى الخطبة نصيحه تختلف عمد كربه فى المتن ،

وبقطع النظر عن هذا الاختلاف لا يفهم المقصود من المواد الأولى الواردة بعد العنوان المذكور في المتن ، وذلك بسبب الاختصاص اللغوية

فالمادة الأولى من المواد المذكورة هكذا : « أولاً لتكن الجريمة في القانون ثلاثة آلاف آفجه سواء لصوباشي الميرى أو لصوباشي أصحاب تيار ، وتلك ^{آفجه} ١٥٠٠ وفقاً للغير ، وتلك ^{آفجه} ١٥٠٠ لكسر الدراع . وتلك

^{آفجه} ٥٠ لشح الرأس . وإذا سب شخصاً آخر فبمزر شرعاً ، وليؤخذ منه

عرامة أربعين آفجه . وإذا طر شخصاً إلى حرم شخص آخر فليؤخذ منه ^{آفجه} ٢٠

ومن الصعب جداً استنتاج معنى صحيح من هذه العبارات ، هل المقصود أن ، الصوباشيين ، هم الذين يحصلون هذه الغرامات المالية ؟ ولكن العبارة لا تسمح باستنتاج هذا المعنى .

فالجمعة ، أولاً لتكن الجريمة في القانون ثلاثة آلاف آفجه سواء لصوباشي الميرى . . . الخ أصبحت المعنى أيما فساد .

وخلاصة القول : لا يمكن قبول هذه المجموعة كمجموعة صحيحة ، ولا يبنى عليها حكم .

وما نقرر الحق ونقول : إننا لا نكتم إستغرابنا من أن بعض باحثينا في الملة الأخيرة أصبحوا يكتبون بحوثاً ومقالات طويلة حول هذه المجموعة كأنها صحيحة ومطابقة للواقع .

الحمد لله أولاً وآخر وأعلى الله على سيدنا وسيدنا محمد أفضل الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وتابعه أجمعين .

و فی أثناء الطبع ظهر ما بقصيدة رائعة جادت بها فريحة شاعرنا الباعثة
حصرة الاستاذ ابراهيم صری استاد الادب التركي بجامعة الاسكندرية
سجل فيها مفاتيح استنبول وجمال البحرى مع التوبة بذكريات الفتح وقد
جعلها حتام المسك للكتاب . وهاكم القصيدة نصها وترجمتها العربية .

استانبول

سبحان من دورته تنجي مناسيته

بريانه چامليجه يله يتيشمش سماره ،
بريانه گوكله يرله اينمش ده مرمره ،
استانبولك سحرلى برآينه يله عكسنى ،
نقش ايله مش ازله كي بر رسمه مبتنى ؛
درياه ، آسمانه ، زمين وزمانه هب ..
طلسملى حسن وآننه مطلق بودر سبب .
صيفاز خياله وسعت آفاق وهلة ،
درياه آسمان وسمارده بر كورده ،
طل ابر : ايمش اورده كي الواحى سيراچين ،
جنتار يله عالم لاهوت اولوب زمين .
الماس تراش بروازو حالنده در بوغاز ،
پارلار ايچنده ساق مناره يله يم يياض
زانيا قارك مثالى اولان نغلى قبه لر ..
يكباره مسجده سيله جوامع اورار كيدر .
محراب نى نهايتى كوربا كه برجسيم
هر سوده معبدك ، بوميانى من القديم ؛
هر شاه اثر ، عبادت ايچين ايله مش قيام ،
دورمش اوكنده صف ايله دمبسته نظام ،

باخود سرور فتح ايله تبريك ايدر غزا ،
 اهراملر گلوب دورو ویرمش ده بر حذا .
 خلقتده اولمش آبدۀ لر شهر ی . ملکوت :
 فیشقیرمش آسمانله دکز دن دمت ، دمت .
 بریاندۀ اولسکه لرجه معطم دینه لر ،
 ایران ، بحار و روسدن آئیش خزینۀ لر ،
 آلتونلر ، ایجیلر و جوهرله دهشته
 القا ایدرکن عالمی ، بریاندۀ دولته ،
 حشمتی ساحیلۀ خدای سرای اولان ،
 دهرک افقرندن آشوب ، داستان دولان ،
 تاریخ سطوتندۀ دورلر آچان بویر :
 استاسول ! .. ایشته گو کدن این بر جهان دگر
 شاهانه پایتخت ، بو شاهانه دولته .
 الله دیکش آبدۀ گویا طبیعتۀ ،
 آیات فتحی ذکر ایچین آفاق عالمۀ ..
 بر شهر بر گذار مقدس که قومه ،
 شایسته پادشاه جهانگیره قیقم ..
 استاسول ! ایشته . فانحک الک شایه منی ! ..

بویرلر ، یوم فتح حاطراتدن نه لر سویلر ،
 طبیعتدن مذهب جلدی بر ندر یحدر هریر .
 دکز ، هرمر مجلا برستونلر آبداتندن .
 او فور هر بقش آمواجده شعر داستان انسان ،
 دورور فرمانه رام اولمش بوغار ، حالا بو یون اگمش
 صاریق صارمش ده داعر هب ، حصار لردن قاروق گیمش

دعا ایتیش ولیلر بوردی گلمش یوسقی سرمشقر ،
 دوغارکن لجرلر برگون کیلیلش هر طرف عسکر ..
 ییقیلین دینمش ایمانیز یزانک برچی تیرکونلن ،
 اربلر کوستروب کچمش کرامت سورک اوستندن
 سلیمانیه ، سلطان احمد ، ایزلردر اودیورلدن .
 باصوب آفاقه ، آتمش آدییم گویا که جولردن .
 صابیر سک قبه لردن مردیون قورمش ده هریجه ،
 او یوکسلکدن آلمش چیقوب بر اولچوتاریجه ،
 بویوکسلکده بر دولت ایچین ناقطه گیتمش .
 اساطیرک ایچندن اورتک آلمش ، عودت آتمش ..
 بوحالتدرکه : برافسانویلك بخش ایدر شهره ،
 دیکه رتورکک دهاستندن دوعان برشاه اثر دهره .
 نه روحانی یاضلقدر دوعان ، مرمر معابدن ،
 ایدیلر هرق برچوق لویه دار آواره زاهدن :
 سیلر ، تربلر ، مسجد ، مدارس .. افقه دیز چوکش ..
 سلیمانک ، سلیمک ، فاتحک معاری ، هم دوکش
 اساطیری قازانلردن خور ایتیش ده احجاری ،
 هم آلمش ایشله مش نقش ایله یوب احجاره افکاری .
 مقاصیز بیچگی بیچمش ، طاشده اطلس نسجی کورمشلر ،
 مکر ایلك اکیومشله طاشندن ، اورتکو اورتشلر .
 ییزانس آرتق بومرمر اورتویلك آلتنددر : بجهول ،
 دوغوب عثمانلی معاریسنک ابداعی : استانبول ..

قلمره : ۱۶۹۰۲/۱۲/۲۸ م

« ابراهیم صبری »

استانبول

عمامة مرور خمائة عام ميلادى على فتح استانبول

انعكست قه جبل « تشامليجه » على بحر « مرمره »

فاذا هو قد سما بها حتى بلع السموات العلى

ثم انحدر بها الى قراره على الثرى

هرسم صورة استانبول بمرآة سحرية من اصل محفوظ في لوح الارل

رسمها على البحر والسماء والارض والزمن

هذا السحر هو سر جمال استانبول الفاتنة

يضيق الخيال عن عظمة آفاقه عند النظرة الاولى

ان من يرى السماء على الارض والارض فى السماء

يحين اليه ان العالم العلوى يجناه قد هبط الى الثرى

يتأمل مفاتها ، فم يملك إلا أن يفنى فيها

والبسفور كأنه قارورة من بلور يتلأل

تروح فيه المآذن كسيقان الأزهار

والقباب البيض الندية كزهر الخزامى

والمساجد كأنها سجدة واحدة استطالت صفوفها

فكأنها محراب لا نهاية له فى معبد عظيم متداع

قامت فى نواحيه آيات الفس تؤدى شعائر دينها

أو كأنها اهرامات قد جاءت فرحة لتشهد نبأ الفتح

واصطفت تنهى بالفرز والظفر

بلدة جعل الله أرضها منبتاً لآيات الابداع

فانشقت بياقات من البحر ومن السماء

أرض حوت ملا الدنيا ثروة

وحوت خزائن فيها غنائم إيران والمجر والروس
يذا تراها تبهر العالم ببريق الذهب واللازلي والجواهر
إذا بك تحالها بشاطئها الفخيم تصيرا أبدع الله صعه
كانت فتحاً جديداً في تاريخ عظمها
تاريخ غطت صحائفه آفاق الدهر وامتلأت بآيات الفخر والمجد
هذه الأرض ، أنها استانبول
هبطت من السماء لتصبح عاصمة لهذه الدولة العظمى
عاصمة لا نظير لها كأنها نصب مركز على هامة الدنيا
يذكر العالمين بآيات الفتح
تذكر مقدس لقوى الترك تليق بمكانة الفاتح
هذه هي استانبول أجد أثر حلفه محمد الفاتح

بقاع هي أبلغ لسان في الحديث عن ذكريات يوم الفتح
كل مكان فيها أصبح كتاب تاريخ جلده الطيبة وزخرفته
وما بحر مرمرة ، إلا نصب في صرحها
سطرت عليه اشعار الفخر المقوشة على أمواجه
وقف السفور ولي ناكس الرأس مطيعاً للامر الذي صدر اليه
لست الحبال عماؤها وشجحت بين هاماتها حصون قلعة حصار كأنها « قاروق » (١)
هنا نزل أولياء الله وتضرعوا الى ربهم
فلما بزغ الفجر برزت الأرض تغطيها الجيوش

(١) « قاروق » كلمة تركية وهي عطاء الرأس كان يلبسه رجال الدولة وجنود
الاستشارية .

ونادى مناد أن اهدموا أبراج يزنطة
 وظهرت كرامات المشايخ فقفزوا من فوق الاسوار
 واذا مسجد سليمان وسليمان أحمد أثران من اقدام هؤلاء العالقة
 كانت خطام في الجو من افق الى افق
 وكانهم اتخذوا القباب سلبا الى المريح
 لكي يقدروا سموه ليجهلوه مقياساً لتاريخهم
 انهم فتحوا أقطار الارض لكي تسع هذه الدولة الشاحنة
 ثم عادوا بانموذج من عالم الأساطير
 وكذلك نفذوا على هذه البقعة لونا من ألوان الأساطير
 لتكون آية الدهر منصوبة للمبقرية التركية
 فياله من لون روحاني يشع من بياض رخام المعابد
 هذه المدارس والأضرحة والمساجد والسبيل أشباح رابضة على الأفق
 يشق على العين تمييزها وكانها جماعة من الزهاد والمساكين ذوي اللحي
 ان بان مسجد سليمان وسليم وفاع قدعجن أحجارها في آية اسطورية
 ثم سبكها ثم جمع روائع الأفكار ونقشها على صفحاتها
 كانت الصخور بين أيديهم كلسح من الحرير فتشقوها بعير مقص
 غزلوا الفخر خيوطاً ثم نسجوه
 ضاعت معالم يزنطة تحت هذا البتر من الرخام
 وأشرقت استانبول آية ابداع الفن العثماني .

وَأَعَدَّ جَيْشًا فِيهِ كُلُّ غَصَصٍ يَجِبُ الْعَدُوَّ إِذَا رَأَاهُ وَيَقْرَعُ^(١٢)
 مِنْ كُلِّ مَنْ بَاعَ الدِّيَّةَ وَاشْتَرَى غَفَرَ إِلَهِهِ وَجَنَّةٌ تَتَصَوَّغُ^(١٣)
 لَا يَعْرِفُونَ سِوَى الْمُجُومِ وَيَسْتَوِي
 بَصَرُ لَدَيْهِمْ أَوْ تَمَاتَ يَرْفَعُ^(١٤)
 وَيَسْأَلُهُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ فِي الْوَعَى وَاللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ يَتَدَرَّعُ^(١٥)
 حَسْبِي فَخَارًا أَنَّهُمْ مِنْ أَتَمِّ تُعْرَى إِلَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَتَرْجِعُ^(١٦)
 هَجَبُوا قَتْلَ أَعْدَائِهِمْ أَشَدَّ الشَّرَى تُعْرَى وَتَنْطَلِقُ بِالرَّجَالِ وَتَصْدَعُ^(١٧)
 فَتَحُوا الْبِلَادَ وَلَمْ يُعَيِّنْ طُوقَاهُمُ أُمِّ قِيَانَتْ لِلصَّيَاحِ تَحْصَعُ^(١٨)
 فَالزُّومُ تَذْهَى وَالْبُلُوكُ تَبْلُتُ وَالْهُونُ هَاتَتْ وَالْفِرَاحَةُ تَجْرَعُ^(١٩)

(١٢) الفصم : الأسد ، يحف : يضطرب .

(١٣) تنصوع : تنتشر رايحتها الكية .

(١٤) الوعى : الحرب ، يتدرع : يتوسل .

(١٥) تعرى : تسب ، وللراد الأمة الإسلامية أعزها الله ، وكان العثمانيون من
 عيون أبائها ! والأنام : ما ظهر على الأرض من جميع الخلق ، وقيل : الإنس
 والجن .

(١٦) الشرى : جانب الفرات ، بضرب الثد بأسده ، ففي اللسان والأساس التثني
 بأسود الشرى - بالأنف للقصور - ، وتعرى : قطع ، يقال : أفرى الأوداح قطعها
 (١٨) الضياع : الأسود .

(١٩) البلون - بضم اللوحدة واللام - سكان يولونيا ، تبايلت : تفرقت آراؤها
 واختلطت ، والهون : سكان هنتاريا أي المجر ، والمرنعة هم الفريسيون ، والشعوب
 الأربعة المذكورة في البيت من سكان أوروبا .

وَعَلَىٰ حَيْى السَّكُونِ رَتَتْ ذِلَّةٌ^(٢٠) لَمَّا اسْتَبِيحَ عَمَّنْ بَصُولُ وَيَرْتَعُ^(٢٠)
وَيَصْدُرُ أَوْرَبًا نَدَتْ أَسْلَامَهُمْ^(٢١) حَتَّىٰ فِينَا كَالْكَوَاكِبِ تَلْعُ^(٢١)
فَإَذْ كُرْ كَاةَ زَيَّنُوا الدُّنْيَا وَمَا^(٢٢) رَأَتْ يَذْكُرَاهُمْ تُضِيءُ وَتَطْلُعُ^(٢٢)
أَرَأَيْتَ قَوْمًا فِي الْمَاعِيَجِ حِنَّةٌ^(٢٣) يَهْوِي بِهِمْ بِأَسُّ الدُّوِّ وَيُقَمِّعُ^(٢٣)
طَلَعُوا عَلَى الدُّنْيَا فَكَانُوا عَيْنَهَا^(٢٤) لَكِنَهَا مِنْ حَرَمِهِمْ لَا تَدْمَعُ^(٢٤)
وَأَنُتُوا مَدِينَةً قَيْصَرَ يَبْعُوهَا^(٢٥) بِحِمَاةٍ مِنْهَا الرِّجْلَى يَتَصَدَّعُ^(٢٥)
دُهَشَتْ عُلُوجُ الرُّومِ لَمَّا شَاهَدَتْ^(٢٦) شَمَّ الْجَوَارِي قَوْقُ أَرْضٍ تَطْلُعُ^(٢٦)
كَانَتْ تَتِيهُ بِأَنْ عَزَّ حُصُونَهَا^(٢٧) يَزُرِي عَلَى تَيْفُضِ الْأُنُوقِ وَيَشْنَعُ^(٢٧)

- (٢٠) السكون : من الألائف ، ومن أصول الإنجليز ، ورائت : غلبت ، استبيح : استوصل ، يصول : ينطلق ويذهب .
- (٢١) أوربا قارة معروفة كانت لاترك فيها صولات وحولات ، وفيها عاصمة انمسا وتقع على نهر الدانوب في وسط أوربا ، ووصل الترك إلى أسوارها .
- (٢٢) كاة : شجانا ، كما مر في البيت الثاني .
- (٢٣) المامع : شدة الحرب والجد في القتال ، وجة - بكسر الجيم - الجن ، يقمع : يقهر ويذل .
- (٢٤) مدينة قيصر هي القسطنطينة كما ذكرت في صحيح البخارى .
- (٢٥) شم الجوارى : السعن العالية ، وتطلع - بفتح اللام - من السعود في في الجبل ، خلافا لتطلع - بضم اللام - لشمس والكواكب .
- (٢٦) يزرى عليه : يحيه ، ويشع يسب ويفضح ، والأنوق - بفتح الهمزة وضم النون - الرخمة ، وقيل : ذكر الرخم ، يضرب المثل بكرة يفضه لأنه لا يظفر به حيث يكون في رؤوس الجبال .

حَتَّى أَحَاطَ بِهَا عُقَابُهُ عَزَمَهُ يُنْصِي إِرَادَتَهُ إِذَا مَا يُرْمَعُ (٢٨)
فَاجْتَنَحَ عَلَيْهَا وَحَظَّمْ سُوْرَهَا وَغَدَتْ كَتَائِبُهَا تَفِرُّ وَتُهْرَعُ (٢٩)
وَأَتَى السَّكِينَةَ فَاسْتَحَالَتْ مَسْجِدًا يُتَنَّى سَهْلًا لِدُرِّ الْحَكِيمِ وَيُسْمَعُ (٣٠)
لَمْ تَكْفِهِ تِلْكَ الْمَدِينَةُ بَلْ بَقِيَ صِنُوعًا يَحِلُّ بَيْنَ يَقُومُ وَيَرْكَعُ (٣١)
وَتَنَى الْمَدَارِسَ يَتَنَقَّى بِرِجَالِهَا مَتَعَلَّمٌ وَمُدْرَسٌ وَجُمُعُ (٣٢)
وَتَنَى مَكَانًا مِثْلَهُمْ فَلَقَلَّهُ يَحْدُ الْأَمَانَ بِهِ إِذَا مَا يُخْلَعُ (٣٣)

(٢٨) العقاب ملك الطيور وحده «اللاتينية Aquila» ويهم من يطنه السر

والسر «اللاتينية» نصيلة Vulturidae ، ويرمع الأمر - يثب عليه عزمه

(٢٩) احتاح : استأصل ، تهرع - صم أول وفتح الراء - نحت ، صمهم بعضاً على الإسراع في فرارهم .

(٣٠) هي كنيئة أيا صوفيا وتنتار بأنها السعد الوحيد الذي نى قول الإسلام ، وظل على صاته الأصل إلى اليوم فقد أقيم البناء الخالى سنة ٥٣٧ هـ . وكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٥٧١ هـ ، وصلى السلطان العاتج بها ظهر يوم الثلاثاء ٢٠ من جمادى الأولى سنة ٨٩٧ هـ وهو يوم الفتح وأعلنها مسجداً ، والمأمول من أولى الأمر في تركيا الآن أن يعيدوها مسجداً مجدداً لذكرى العاتج واحتراما لإرادته .

(٣١) الهدية أيا صوفيا إشارة إلى قول شوقي النوفى سنة ١٣٥١ هـ عنها :

كنيسة صارت إلى مسعد هدية السيد السيد

والصنو ، الشبيه المائل في الأصل ، والمراد جامع العاتج «الاستانة» .

(٣٢) جمع - بتشديد الميم - من جمع القوم شهدوا الجمعة وقضوا الصلاة فيها .

(٣٣) في هذا البيت وتاليه إشارة إلى ما ورد في هامش ص ٨٠ من كتاب

«السلطان محمد العاتج وحياته العديدة» طبع مصر سنة ١٣٧٢ هـ . من أن السلطان طلب حجرة في مدرسه التي أنشأها عند جامعها وقال : أقيم بها إذا خلعت من الملك فقال له القائمون عليها : إن شرطها أن يؤدي الطالب الامتحان ، خضع السلطان

وَأَرَادَ حَجْرَتَهُ قَالُوا شَرُّهَا فَأَنْصَاعَ يَخْنَعُ لِلطَّامِرِ وَيَصْدَعُ^(٣٦)
 أَغْظَمَ سُلْطَانٍ يُؤَدُّ حُكْمَهُ حَقٌّ يُزِينُ عَهْدَهُ وَيُرْشِعُ^(٣٥)
 وَهَذَا بَجَعَتْ مَعَ الْعَدَالَةِ قُوَّةَ أَثَّتْ مَمْلَكَةً تَسُودُ وَتَبْرُعُ^(٣٦)
 عَرْشُ الْفَيَّاهِمِ بِالْمَكَايِلِ نَلَّهُ لَا بِالْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ تَهْدَعُ^(٣٧)
 لَمَّا أَطْرَقَ عَلَى مَدِينَةٍ قِيَصَرٍ أَصْحَتْ يَدَيْنِ مُحَمَّدٍ تَتَمَتَّعُ^(٣٨)
 طُلُوبِي لِسُلْطَانٍ بَيْنَهُ عَلَى الْوَرَى وَيَبْدُلُ اللَّهُ الْقَوِيَّ وَيَخْشَعُ^(٣٩)
 لَا يَسْتَعِزُّ بِعِزِّهِ تَرْكِبِي لَكِنْ يَحْتَمِلُ اللَّهُ إِذَا لَا يُهْطَعُ^(٤٠)
 يَهْضِي الْخِلَابَةَ مُدْغِجًا وَمُكَافِحًا وَقَوَائِمَهَا تَيْصُ بِبَيْعٍ تُفْرَعُ^(٤١)
 مَاتَ أَوْرَمًا لَا تُطَاقُ حَيَاتُهُ وَمُنْعٌ مِنْ هَوْلِ الْمُنْعُوجِ وَتَهْنَعُ^(٤٢)
 وَرَجَالًا دَهْشَ تَحْبَرُ أَوْشَجِ يُنْجِي عَلَى إِخْوَانِهِ وَيُفْرَعُ^(٤٣)

= للطنام ، وُدَى الامتحان وبال حجرته بشرطها لا بالاستثناء ! انصاع : ذهب مسرعا ، صدع بالأمر : جاهى به اهـ .

(٣٦) تبرع : تفوق سواها في السؤدد .

(٣٧) امساكل : آلات يصرب بها سدق الرصاص في لمة العاربة (تاح العروس) ونله : أهلكه .

(٣٩) الورى : الخلق .

(٤١) المناع : المدافع . والمكافح : الذي باشر الأمور بنفسه ، يعض الأولى - منع الباء - جمع بيضة ، وهى الخوذة الحديد ، ويعض الثانية - بكسر الباء - السيوف .

(٤٣) دهش - بفتح فكسر - داهب العقل من العزع ، شج - بفتح الشين المعجمة وكسر الجيم منوبة - حزين ، ومضى - بضم أوله - على إخوانه بالأمم : يقبل عليهم به ، يفرع - بتشديد الراء - يصف ويوبخ .

لَسِيكُم مِّن بَطْشِهِ وَجِلَادِهِ دُكَّتْ عَزَائِمُهُمْ فَأَمَسَتْ تَحْتَهُ (١١)
وَالشَّهْمُ يَفْتَحِيهِ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى وَيَبَالُ نَضْرًا يَلَوُ نَضْرٍ يَقْرَعُ (١٥)
حَتَّى إِذَا وَخَطَ الْمَشِيبُ حُلَا حِلَا لَا يَسْتَمِكِينَ وَلَا يَبِينُ وَيَقْبَعُ (١٦)
قَالُوا اسْتَغْرَحَ قَالَ الَّذِي يَبْجِي الْوَعَى فِي اللَّهِ لَا يَغْنُو وَلَا يَتَصَنَّعُ (١٧)
أَكْرِمَ يَقُولِ زَانَ عَطْرِ بَعَا لَهُ حَبِجٌ غَدَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَدْمَعُ (١٨)
فَلَهُ يَقْبَلُ مَنْ يُبْجَلُ دِينُهُ وَعَنِ الْجَهَادِ إِلَى الْمَدَى لَا يُفْلَعُ (١٩)
وَإِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا وَرِضَالَهُ وَرَأَيْتَ إِبْجَارًا وَسِحْرًا يَصْنَعُ (٢٠)
فَاذْكُرْ نِظَامًا أَرْسَيْتَ آسَاسُهُ بِالْقَدْلِ حَتَّى فَاقَ دُرًّا يَنْصَعُ (٢١)
تَحَالُ الْوَلَاةُ عَلَى الْمَلِكِ دَلَالَةٌ فَالْوَجْهُ يُذِي عَنْ حَشَا يَتَوَحَّعُ (٢٢)

(١٤) الجِلَاد والمُحَالَّة: المصاربة بالسيوف ، نفع : تدل .

(١٥) يهرع ، بالعاء ، يعلو ويغرق .

(١٦) حلاحلا - ضم الحاء المهمل الأولى وكسر الثانية - سيداً ركبناً ، يقبع . يتحلف ويتأخر .

(١٧) الوعى : الحرب ، يحنو : يحض ويذل ؛ وفي البيت إشارة إلى ما سمعته من الأخ محمد شعراوي إن السلطان كان في عروة في أخريات أيامه ، فعمرت الخيل عن صعود جبل ، فترجل وتسلفه ، فلما بدا عليه التعب قالت له حاشيته : ألا تستريح فقال : إن الذي يجاهد في سبيل الله لا يتعب أبداً ، وأحبرني أنه قرأ هذه الحكاية في كتاب أوربي ، قلت : ناهيك بها من شهادة .

(١٨) عطر يف - بكسر المعجمة فسكون للهجمة - السيد الشريف السحي .

(٢١) الآساس ، بالمد ، الأسس ، يصع : يشتد يياضه ويخلص ، وفي البيت إشارة إلى نظام السلطان الذي وصمه للدولة .

(٢٢) الحشا : واحد الأحشاء ، وهي ما في جوف الإنسان من أعضائه .

وَيَطْلُغُهُ الْبُزْيُونُ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَتَلَى الْفَيَافِي يَسْتَعْرِ الْأَحْرَعُ^(٥٣)
 دَعَا عَنْكَ بَعْضَ هَوَاتِهِ لِفَتْوَحِهِ وَلَعَلَّ فِيهَا مَا يَسُوعُ وَيُشْرَعُ^(٥٤)
 وَاسْتَفِيرَ الرَّهْنُ لِلْسلْطَانِ إِذْ كَانَ الْحَصَمُ بِكُلِّ فَحْرٍ يُتْرَعُ^(٥٥)
 وَلَهُ حَوَى التَّارِيخُ فِي صَفْحَاتِهِ ذِكْرًا وَصِيئًا خَالِدًا لَا يُنْرَعُ^(٥٦)
 لَا تَفْتَحُوا مِنْ صِرْحَتِي وَإِشَادَتِي بِالتَّرَكِّ أَوْ أُنَى بِذَلِكَ مُوَلَعُ^(٥٧)

(٥٣) الربيون ، ضم الموحدة وسكون الزاي بعدها ، آخر الحروف مضمومة
 السدس وهو رقيق الדיح ورقيقه ، والاسترق : غليظ الدباج ، الفياي : الصحارى
 والأجرع : كثيب حاذب منه رمل وجانب حجارة .

(٥٤) والمراد من هواته ما حدث من السلطان من قتل أخيه الرضيع وتمذيب
 وزيره سان الدين باشا ، فأما الوربر فلعنه ارتكب أمرا ، ويكفى أن
 السلطان مع عمه الضرب بمجرد احتجاج أحد العلماء ، كما حكى صاحب
 « الشقائق النعمانية » ، وأما قتله الرضيع لحسك ما حدث بعد ذلك بين
 ولديه السلطان بإيزيد الثاني والأمير حم ، ومحاولة فرسان رودس والبابا ومملك
 فرنسا استملاء الأمير لإضعاف السلطة وكسر شوكة الإسلام ، فكان السلطان
 استشف ربح الفتنة من حياة أخيه ، وقد قص الله تعالى علينا في سورة الكهف
 قتل الغلام خشية أن يرهق أبويه طغيانا وكفرا . نعم ! إن السلطان لم يكن يوحى
 إليه كالحضر عليه السلام ، ولتكن فعلته غير حسنة ، ولكن ألا يكفى فتح الأستانة
 وجهاد ثلاثين سنة في سبيل الله لمحو هذه السيئة ، وقد قال الله تعالى : « إن الحسنات
 يذهبن السيئات » .

(٥٥) الحضم : بكسر ففتح المعجمتين وتشديد الليم ، الكثير العطاء . يترع على
 المجهول يمتلىء .

فَلَهُمْ لَدَى صَنِيعَةٍ وَخُزُوءَةٌ وَأُخُوَّةٌ فِي الدِّينِ لَا تَنْزَعُ (٥٨)
 وَشِعَارًا إِلَى الْإِسْلَامِ يَجْتَمِعُ نَحْمَتًا نَعَمَ الْوِشَاحُ بِهِ لَعَنَ يَتَلَفَعُ (٥٩)
 فَالْمُسْلِمُونَ عَلَى اخْتِلَافِ شُعُوبِهِمْ كُلٌّ يَحْنُ إِلَى أَخِيهِ وَيَبْرُعُ (٦٠)
 وَعَدًا عَلَى حَوْصِ النَّبِيِّ لِقَاؤَنَا وَلَنَا جَمِيعًا فِي الْفِيَاةِ يَشْمَعُ (٦١)
 ﴿ نَمْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ ﴾

أحمد فخرى

(٥٨) الصبيحة هو مولانا السكوني المتقل إلى رحمة الله تعالى بمصر يوم الأحد
 ١٩ من ذي القعدة سنة ١٣٧١ ولدى أمته من طوالت أربع عشرة سنة عما لا يزال
 فضله في عنق أبدأ ، والخزولة إشارة إلى أن والدني منحدرة من أصول من أترك
 الأناضول وأترك كريت والجراكسة .

(٦٠) ينزع إلى أهله ، بكسر اراء ، يحن ويشاقق .

﴿ نَمْتَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

أحمد فخرى

منظر لضريح السلطان محمد الفاتح من الواجهة



ثبت المراجع العربية

المؤلف	اسم الكتاب
كاتب جلبي [= حاجي خليفة]	كشف الطون
علاء الدين الكاساني	بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع
ابن عابدين	رد المحتار
جرجي زيدان	تاريخ تمدن الاسلامى
المرخسى	المبسوط
الشاطبي	الموافقات
ابن حجر	فتح البارى
البدر العيني	عمدة القارى
شهاب الدين القرافي	الاحكام
ابن حزم	المحلى
نحر الدين الزيلعى	شرح الكنز
جمال الدين الزيلعى	نصب الرايه
طاشكبرى زاده	الشقائق العمانية
عبد الحى اللكنوى	الفوائد البهيه
ابن القيم	اعلام الموقعين
برهان الدين المرغيسانى	الهدايه
محمد ابو زهره	ابو حنيمه
الآلوسى	روح المعاني
القرطبي	الجامع لاحكام القرآن
ابن العربي [القاضى ابوبكر]	احكام القرآن
عبد الله بن محمود الموصلى	الاختيار

تاريخ الدولة العلية	: محمد فريد
بداية المجتهد ونهاية المقتصد	: ابن رشد
سبل السلام	: الصنعاني
نيل الاوطار	: الشوكاني
مقدمة ابن خلدون	: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي

المصادر التركية

تاريخ عاشق پاشا زاده	: درويش احمد
• صولاق زاده	: صولاق زاده محمد افندي
• سلطان محمد ثاني	: فيرتيودولوس ترجمة قاروليدى
• ابو الفتح	: طورسون بك
• نشانجى	: نشانجى محمد پاشا
• نعيم	: مصطفى افندي
• جودت	: احمد جودت پاشا
• مفصل	: مدحت افندي
• دولت عثمانيه	: عبد الرحمن شرف بك
• الدولة العلية العثمانية	: خير الله افندي
عثمانلى تاريخى	: احمد راسم
تاج التواريخ	: خواجه سعد الدين افندي
تذكرة "سبى"	: ادرنه لى سبى
كنه الاخبار	: على افندي
اثار التواريخ	: خير الله افندي
دول اسلامية	: خليل ادم بك
فاتح سلطان محمد ورسام بالينى	: احمد رفيق

قصص انبیا و تاریخ خلفا	:	احمد جودت پاشا
سیاحتنامہ	:	ابن بطوطہ
د	:	اولیا چلی
قاموس الاعلام	:	شمس الدین سامی
عثمانی مؤلفری	:	بروسہ لی طاهر نک
ترجمہ القاموس	:	عاصم افندی
یزانس او تنده تورکلر	:	احمد رفیق بک
حالملر و صنعتکارلر	:	احمد رفیق بک
فتاویٰ مجموعہ لری	:	مشایخ اسلامیہ
علمیہ سالنامہ سی	:	المشیخۃ الاسلامیہ سابقاً
مللی نڈلر مجموعہ سی	:	ہیئۃ علمیہ
مجلہ امور بلدیہ	:	عثمان نوری ادرکیس

فهارس

- ١ - فهرست الأعلام
- ٢ - محتويات الكتاب
- ٣ - تصويبات
- ٤ - اعتذار

فهرست الاعلام

(1)

آدم (عليه السلام) : ١٨ ، ١٩ ، ٥٥

آق شمس الدین ، الشیخ : ۴۹

الألوي : هـ

الحی : ۳۹

ابراهيم الاماسى : ٤٥

أبراهيم ، تاج الدين : ٢٠٢

۱. ابراهیم صبری: ۲۰۷

ای ریاس المصری : ۲۴

این معجزه : ۳۰

ابن الخياط : ١٧

ابن حجر العسقلاني : ٦٥ ، ١٠١ ، ١١١

۱۱ حرم : ۶۵

ابن الحسن علي بن عبيد الله الباهي : ١٠٠

١٠ الخطيب : ٤٠ ، ٤١

اس جلدوں : ۷۶ ، ۷۷

اسی دستم سے والہ بن سام : ۱۰۴

ای رشد : ۶۴

اس الرومی : ۲۲

ابن سماعة ٥٨

ان ميلا : ۱۰۴

ابن طولون الدمشقي ، الحافظ : ١٠٠

ابن عباس (رضی اللہ عنہما) - ۶۱

ابن عربی، محی الدین : ۲۰۶

ایں اہم : ۶۳

اس النية : ١٧٣

اس باب ۹۹

تو اسحاق شیرازی : ۸۶

أبو أيوب الأنصاري: ٣٩، ٤٠، ٤١،

100, 102, 105, 108

١٠٩٠٧٢ ٩١٠٥٧ (١٠٩٠٧٢ ٩١٠٥٧)

ابو بكر بن ايوب اظہار الفتاویٰ

أبو بكر بن العربي: القاضى ١١٠
أبو بكر بن العربي: القاضى ١١٠

۱۱۰۰

11. *U. m. m. m.*

١٠٠

ابو حنیفہؒ کے بارے میں

— 10 —

أبو حنبل: ١١٠

أبي القاسم : ٧٩ ، ٨٠ .

أبو السعود الهادي: ١٣٩

أبو محمد السطاطي : ١٧

أبو قاسم الدين سويدي

أبو القاسم عبد بن محمد

أبو القاسم الهذلي : ٧٣

أبو موسى الأشعري : ٣

أبو النصر الصالح : ٨٦

أبو هريرة : ١١٠

أبو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم : ٨٥ ،

١٠٥ ، ٧٢ ، ٦٩

أبي بن كعب : ١١٠

أحمد ، السلطان : ١٧٥ ، ١١٩

أحمد بن الأدهم : ٧٤

أحمد بن حنبل ، الأمام : ٦٤ ، ٥٨ ، ٢١

أحمد بن سيدي : ١٠٥

أحمد باشا ، الورير : ١٣٩

أحمد خيرى : ٢١٣

أحمد راسم بك : ١٥٢ ، ٣٢

أحمد رفيق بك : ١٣٧ ، ٢٨

أحمد سعد الدين : ١٢

أحمد شوقي : ٢١٦

أحمد وفوق بك : ١٥٠

أحمد ولي الدين راده : ٣٠

أدالى ، الشيخ : ١١٠ ، ٨٤ ، ٧٩

إدريس حكيم الدين البتلى ، المولى : ١٠٦

استرولوع ، الكونت : ١٣٣ ، ١٣٢

اسفنديار بك : ٣٠

اسكندر الأكبر : ٣٣ ، ٦

أسماء بنت أبي بكر : ٦٧

إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : ٦٩ ، ٦٢

إسماعيل بن اليسع : ٧١

الأعمش : ٥٨

أفضل راده حميد الدين : ٩٢

أكل الدين الشافعى : ١١٠

إمام الحرميين : ٨١

الأمير أحمد : ٣٥

أمير سلطان : ٤٠

أنس بن مالك : ٩٩

أنوشيروان : ١٢٠ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٢٦

أورخان ، السلطان : ٨٠ ، ٧٩ ، ٥١

١٢٨ ، ١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٣١ ، ١٠٦

١٥٨ ، ١٥٥ ، ١٥٢ ، ١٥١

١٦٤ ، ١٥٩

أويغور آلب : ١٤٥

(ب)

البا : ٣٩

بايزيد الأول ، السلطان : ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨

١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٣٧ ، ١٠٢

بايزيد الثانى ، السلطان : ٢١٩ ، ٢٠٢ ، ٤٩

البحارى : ١٧٣ ، ١٠٩ ، ٦٤ ، ٦٢

بدر الدين ، شيخ الإسلام : ١٩٦

برهان الدين حيدر : ١٠٣ ، ١٠٢

بشر بن الوليد : ٥٨

بشر الضوى : ٢١

بكتاش ، الحاج : ١٥٢ ، ١٥١

بلى (ارسام) : ١٥

بوران : ٦٤

بهاء الدين : ٩٧

بهاء الدين النقشبندى : ١٧

بومير : ٣٣

(ت)

تاج الدين الكرورى : ٨٠

الترمذى : ٩٩ ، ٥٦

تيمورلنك : ١٧ ، ٢٨ ، ١٠٣ ، ١٥٥ ،
١٥٧ ، ١٥٦

شودوسوس الكبير : ٣٢

(ج)

حامى ، نور الدين عبد الرحمن : ١٦٠ ، ٣٩

حلال الدين الرومى ، مولانا : ٣٩

جمال الدين الأقرانى : ٨٤ ، ١١٠

جودت پاشا : ٢٨ ، ٩٢ ، ١٤٩

جم : الأمير : ١٩٨ ، ١٩٠

حسبكز خان : ١٥٥

(ح)

الحاج پاشا الحسبكز : ١١٠

الحاج يرم : ٨٣

الحاج حسى راد : ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧

حاجى حليمة — كاتبه جلى : ٢٠٠

الحارث بن عمر : ٥٦

الحافظ لدين الله : ٧٤

الحجاج : ٥٧

حسن بن حامد التبريزى : ٩٢

حسن بن عبد الصمد النصفونى : ٣٠ ، ٩٢

حسن آلب : ١٤٥

حسن جلى : ٩٢

حسن الطويل : ٤٢

حسين باقرا ، السلطان : ١٧

حماد بن سلمة : ٩٩

حميد الدس ، اللولى : ٨٤

(ح)

حالد بن الوليد : ٣٠

خريجة ، السلطنة : ٢٨

خسرو بك : ١٠٣

خسرو ، اللولى : ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٣

٨٤ ، ٩٢ ، ١٠٧ ، ١٠٣ ، ١١٦

خسرو بك بن خلال الدين : ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٣

٨٤ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤

خليل الأسود الجردى : ٧٩ ، ٨٤ ، ١٠٦

١٢١ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤

خليل پاشا : ٣٩ ، ٤٢

خواجہ جهان : ٣٩

خير الدين : ١٠١

خير الله بن عبد الحق : ٢١

(د)

داود عليه السلام : ٥٥

داود الطاهرى : ٧١

داود القيصرى : ٨٠

دسبنا ، السيدة : ١٨

(ر)

رستم الأسود : ٨٠

رستم پاشا : ١٥٠

ركن الدين فرامرز : ١٠٣

(ز)

زاغنوس پاشا : ٣٢

زيد بن ثابت : ١١٠

زيرك ، اللولى : ٣٠ ، ٣٤ ، ٨٣ ، ٩٢

زينب القسطنطينية : ٣٩

(س)

سالم أحمد الرشيدى : ٢٧

شمس الدين أحمد الحيايى : ١٠٤٠/١٠١
شمس الدين ، خطيب زاده : ٩٣ ، ٣٠
١٠٤٠/١٠١
شهمدى ، الشاعر : ٣٩
شيرزى بن ابرويز بن هرمز : ٦٤

(ص)

صمصمه : ٥٢
صولاق زاده : ٩٠ : ١٦٧
(ط)
الطبرى ، محمد بن جرير : ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤
طورسون ، الفقيه : ٧٩ : ١١٠
طورغود آلب : ١٤٥
الطيب اللارى : ٤٤ ، ٤٥

(ظ)

الظاهر ، الملك : ٧٤

(ع)

عائشه أم المؤمنين : ٦٧
عائشه بنت السلطان محمود : ١٩٨
عاشق باشا زاده : ٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤٦ : ١٤٧

عاصم (مترجم القاموس) : ٤٧ ، ٤٨
على (المؤرخ) : ٢٨ ، ٤٣
عبد الحق حامد : ٢١ ، ٢٣
عبد الرحمن بن عوف : ١١٠
عبد الرحمن شرف بك : ١٢٣ ، ١٩٩
عبد الكريم : ٩٣

سبط بن حجر : ١٠٠
السجاولى : ٣٤ ، ١٠٠ ، ١٠٢
سراج الدين ، المولى : ١٨٤ ، ٩٣
سعد الحق والدين الكاشغرى : ١٧
سعد الدين التفتازانى : ١٠٣ ، ١٠٣ ، ٢٠١

سعدى الشيرازى : ٨١

سليمان عليه السلام : ٢٠

سليمان باشا بن اورخان : ١٥٣ ، ١٦٤

سليمان باشا بلطه اوغلو : ١٦٥

سليمان القانونى : ٧٤ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٦

١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢٠١

سليم الأول ، السلطان : ١٠٦

سنان باشا : ٣٠ ، ٤١ ، ٤٤

سنان الدين باشا : ٢١٩

السروردي ، الإمام : ٨١

سوى الأدرنه وى : ٤١

سويل أنور : ٣٨ ، ٨٣ ، ١٠١

السيد الشريف الجرجاني : ١١٠ ، ١١١

سيزارى : ٣١

سيف الدولة : ٣٩

(ش)

الشافى ، نثر الإسلام : ٨١

الشافى ، الامام : ١١٥

الشافى ، الامام : ٦٤ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣

شاه ملك : ١٠٣

شكيب ارسلان ، الأمير : ٩

عبد الله بن شبرمه : ٩٩

عبد المجيد الأول السلطان : ١٠٨٠٥٤، ٢١

عبيد الله بن أبي حميد : ٧٣

عقاب بن أسيد : ٥٦، ٥٧، ٦١، ٦٢

عثمان رضى الله عنه : ٥٧، ٧٢

عثمان ، السلطان (باني الدولة) : ٤٧،

٥٢، ٧٩، ١١٠، ١٣٦، ١٤٥،

١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤، ١٦٠،

١٦٦، ١٦٤

عثمان بن قيس : ٥٧

عثمان بن الحبش : ٩٢

عثمان تيمورسي زاده : ١١

عثمان فاضل : ١٢

علاء الدين الأسود : ٨٠، ١١٠

علاء الدين ياشا : ١٢١، ١٤٥، ١٤٨،

١٤٩، ١٥٢

علاء الدين السلجوقي ، السلطان : ١٦٠

علاء الدين علي الطوسي : ٤٠، ٩٢

علاء الدين علي الفارسي : ٣٤، ٨٤، ٩٢،

١٠٢

علاء الدين محمد السمرقندي : ٦٧

علي كرم الله وجهه : ٤٨، ٤٩، ٥٦، ٥٧،

٧١، ١١٠

علي آغا الكريدي : ١٨٩

علي شيرنواي : ١٧

علي القوشجي : ٣٤، ٣٨، ٤٠، ٤١،

عليه ، السلطنة : ٢٩

عمر الفاروق رضى الله عنه : ٤٩، ٥٧،

٦١، ٦٦، ٧١، ٧٢، ٧٣، ١٠٩،

١١٠، ١٢٠، ١٥٣، ١٧٣

عمرو بن العاص : ٥٧

عوف : ٦٤

عيسى ياشا (بكركي) : ١٣٩،

(ف)

فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم : ٦٧

فاطمة الغدادية : ٦٧

فاطمة النقيبة : ٦٧

فخر الاسلام الشاشي : ٨١

فخر الدين المعني : ١١١

فرائيز : ١٥

الفرودسي : ٣٩

فضل التبرزي : ١١١

فطيم كوكمن : ٣، ١٣٢

الفارسي ، علاء الدين علي : ٣٤، ٨٤،

١٠٢، ٩٢

قؤاد سيرمن : ١٣

قولتير : ١٣٦

(ق)

قاضي زاده : ٩٢

قايتاي ، السلطان : ١١٢

قباد : ٢٦

قنادة : ٩٩

قرل أحمد : ٣٠

قسطنطين الأكبر : ٣٢

(ك)

كانت چلي (حاضي حليمة) : ٢٠٠

محمد بن أرمغان ، المولى (الشهير بالمولى
يكنان) : ۱۰۱ ، ۱۰۵ ، ۱۱۱
محمد بن الحارث الحنفي : ۱۰۰
محمد بن الحسن : ۵۸ : ۷۲
محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر
البلغدادي : ۱۰۶
محمد بن مصطفى الشهير بليس زاده : ۱۱۷ ، ۱۱۸ ، ۱۱۹
محمد أبو زهرة : ۵۸
محمد آغا : ۴۱
محمد باشا الروم : ۲۲
محمد باشا الصوقوالى : ۱۵۰
محمد باشا القرماني : ۴۵
محمد جلبي الأول : ۲۸ ، ۲۹ ، ۱۰۱ ، ۱۰۲
۱۳۴ ، ۱۵۵ ، ۱۵۶
محمد جلبي ، جمال الدين : ۱۳۴
محمد حمدي (الشاعر) : ۳۹
محمد ذهني : ۶۸
محمد رشيد ، القانعقام : ۶۸
محمد شامكر : ۱۲
محمد شاكر كركلي زاده : ۱۱
محمد شعراوي : ۲۱۸
محمد شمس الدين القساري : ۱۱۰
محمد عاكف : ۹۱
محمد علي باشا : ۷۴ ، ۸۸
محمد باشا : ۴۱ ، ۴۳ ، ۸۲ ، ۸۵
۱۰۳ ، ۱۰۵ ، ۱۵۰
محمد بدر الدين السجاري : ۱۱۰
محمد خان الثاني : ۲۱ ، ۵۱ ، ۵۲

كارتيودولوس : ۲۳ ، ۱۳۴
كاروليدي : ۳۳
كديك أحمد باشا : ۵۹ ، ۱۵۹
الكردي ، تاج الدين : ۸۰
كعب بن يسار : ۵۷
الكشفي : ۳۹
كمال اديب : ۱۶
كمال الاباري : ۸۱
الكوثرى ، محمد زاهد : ۲۲۰
الكوثراني المولى ، شمس الدين أحمد بن
إسماعيل : ۳۰ ، ۳۴ ، ۸۲ ، ۱۱۱
كوسه ميغال بك : ۱۶۱
كوندوز آلب : ۱۴۵
(ص)
لطفى ، المولى : ۴۰ ، ۴۱ ، ۱۰۴
لويده جورج : ۱۳۲
الليث : ۷۱
نيس جلبي : ۲۰۲
(ح)
مالك ، الإمام : ۶۴ ، ۶۵ ، ۷۱ ، ۹۹
الأمون : ۶۲
النتنى : ۳۹ ، ۴۱
النتوكل : ۶۲
محمد صلى الله عليه وسلم : ۲۱ ، ۲۹
۳۷ ، ۴۸ ، ۵۵ ، ۵۶ ، ۵۷ ، ۶۱
۶۲ ، ۶۴ ، ۶۶ ، ۷۲ ، ۷۵ ، ۹۸
۹۹ ، ۱۰۹ ، ۱۲۰

مهرى (الأماسيه وى) : ٣٩
(ن)

بافع بن عبد الحارث : ٦١

نامق كمال : ٣٢

نجم الدين الحوى : ١٠٦

نجم الدين الزاهدى : ١٣٧

نظام الملك : ٨١

نور الدين حمزة : ٢٠٢

نور الدين الشهيد ، الملك : ٦٧

نورى أركين : ٩٨

(و)

وليد بن عبد الملك : ١٧٧

(هـ)

الحادى : ٥٨

هاسر : ١٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٤

هرون الرشيد : ٥٨ ، ١٠٥

هشام بن عروة : ٥٨

هـ ٢٨

(ي)

يحيى بن أكنم : ٦٢

يحيى بن سعيد : ٥٨

يحيى بن معين : ٥٨

يعقوب باشا : ٩٢

يعقوب الحكيم : ٤٥

يوسف بن حسين الكرماسق : ٩٢

بوليوس قيصر : ٣٣

يحيى الدين محمد (منيسازاده) : ٤٣ ،

١٠٣ ، ٩٢ ، ٨٢

يحيوى السكافيه جى : ٣٤

مراد الأول ، السلطان : ١٠٥ ، ١٠٦ ،

١١٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٦

مراد الثانى ، السلطان : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٨٣ ، ١١٠ ، ١١٢

١٥٧ ، ١٥٨

مراد الثالث ، السلطان : ٣٠ ، ١٢٢

مردك : ٢٦

مسيح باشا : ١٠٦

مصطفى بن بايريد ، الأمير : ١٥٧

مصطفى مصلح الدين بن يوسف بن صالح

خواججه زاده : ٣٠ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٨٣

٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤

مصطفى مصلح الدين السكتى : ٩٢ ،

١٠٤ ، ١٠٧

مصلح الدين ، الولى : ٨٤

مصلح الدين البارحصارى : ٩٢

معاذ بن جبل : ٥٦ ، ٦٢ ، ١١٠

العنصم : ٦٢

معيضا جلى ، الولى : ١٠٦

مندر بن سعيد : ٧١

مونتكيو : ١٣٦

مؤيد ، السلطان : ١١٠

المهدي : ٥٨ ، ٧٢

محتويات الكتاب

ص	الموضوع
٣	إهداء الكتاب
٥	كلمة للترحم
١١	ترجمة المؤلف
١٣	كلمة للمؤلف
١٤	سبب التأليف
١٤	موقف مؤرخي الغرب من تاريخنا
١٥	الإشادة بعقيدة الفانج وعلمه وشعره والمناه بالعلماء
١٦	اعتراف العلماء والمؤرخين المعاصرين للفانج بمراياهم وعقيدته
١٨	رسالة جابى الفارسية إلى الفانج وترجمتها
٢٢	قصيدة عبد الحق حامد في مدح الفانج وترجمتها

مقدمة

٢٨	حياة الفانج ونشأته ، تعليمه ، أساتذته .
٢٨	اختلاف المؤرخين في تاريخ ميلاده ووالدته .
٢٩	الكتابة العربية التاريخية على باب ضربها .
٣٦	سياسة التسامح التي انتهجها الفانج إزاء الكنيسة
٣٦	حبه للعلم والعلماء والشعراء وحديثه عنهم .
٤٠	ترجمة بعض أساتذة الفانج وعمود باشا .
٤٤	وفاة الفانج في ظروف عامصة وترجمة حال الطبيب المدين قائما بمداوانه

الفصل الأول

٤٦	التشكيلات الحكومية والمدنية في عهد الفانج
٤٧	الديوان واختصاصه وانعقادته تحت رئاسة السلطان

الفصل الثانى

ص

الموضوع

- القضاء وتواجهه فى الإسلام . أهمية القضاء . استقلال القضاة وحكمهم باسم
المجتمع ، إنشاء منصب قاضى القضاة وأول من تولاه ، الشروط التى
يجب توافرها فى من يتولى القضاء ٥٥
- أقوال الأئمة فى قضاء المرأة ورأى محمد بن جرير الطبرى وحديث « إن يباح
قوم ولوا أمرهم امرأة » ٦٤
- كاتب العدل ، وطبيعة الشرطة والفرق بينها والقضاء ٧٥

الفصل الثالث

الحاكم والقضاة ومشؤمهم فى الدولة العثمانية وعهد الفاتح — العهد الإسلامى
ونظر المسلمين إليه — إنشاء مدرسة أرزبقي ومدارس استانبول وقيام

- هذه المدارس برسالتها المهمة فى تخرج القضاة وكبار العلماء ٧٨
- مراحل التعليم فى مدارس الفاتح ونظام الالتحاق بها ٨٤
- رسم للدارس وأستاذها وأوقافها ٨٧
- وظائف القضاة ٩٢
- سجلات الإحصاء للهيئة « قيود خاقانى » ٩٦
- الاحتساب ٩٨
- انقسام ومستواهم العلمى والخلقى ١٠٠
- تراجم خضر بك والولى خسرو وغيرهما من كبار علماء عهد الفاتح ١٠١
- قضاة العسكر واختصاصهم ١٠٥
- الافتاء وأهميته فى الإسلام ١٠٨
- العلماء الذين تولوا الافتاء فى عهد الفاتح ١١١

الفصل الرابع

القوانين والنظم في عهد العثمانيين والماع

الموضوع	ص
أقوال الشاطى في مراعاة المصلحة	١١٥
الوقف وما يؤديه إلى المجمع من الخدمات	١١٨
الأراضى وأنواعها	١٢٠
قانون الجراء ، أسام الحد ، التعرير	١٢٩
قانون الحرب	١٣٠
قصة تدل على حسن معاملة الترك أسرى الحرب	١٣٢

الفصل الخامس

الطارة والتفتيش

إعداد القامح قيسى إلى ابلاد العثمانية لتفتيش الماع وتقديم تقرير عن

مشاهداتها	١٣٥
حالة الدولة في عهد القامح	١٣٨

خاتمة

سلطة ولى الأمر في وضع قوانين في حدود ماسحته الشريعة الإسلامية	١٤٠
القوانين في عهد العارى عثمان ووصاياه لاسه انقارى أورخان	١٤٢
قوانين عهد العارى أورخان وسارل أخيه الكبير علاء الدين عن السلطة	١٤٨
إشاء منظمة والانكشارية	١٥٠
قوانين عهد السلطان مراد الأول إشاء منصب قاضى العسكر	١٥٣
عهد السلطان بايزيد للقب يلديرم وابيه السلطان محمد چلى	١٥٥

مس	للموضوع
١٥٧	عهد السلطان مراد الثاني
١٥٨	عهد السلطان العظم أبو الفتح محمد خان الثاني
١٥٩	مركز الإدارة
١٦٠	التقسيمات الإدارية
١٦١	السلطة القضائية ، التشكيلات والمنظم العسكرية
١٦٢	فرسان الحاشية وفصائلهم
١٦٣	جنود الايالات
١٦٤	الأسطول والسلاح البحري
١٦٥	العلوم والعارف : مدرسة اندرون
١٦٧	النظم للمالية والايراد والمصروف
١٧٢	أبواب المصروفات
١٧٩	ترجمة القانون المنسوب إلى السلطان محمد الفاتح الموجود في مكتبة قيا
١٩٩	رأى المؤلف في هذا القانون
٢٠٧	قصيدة الأستاذ إبراهيم صبرى وترجمتها
٢١٣	قصيدة الأستاذ أحمد خيرى
٢٢٥	فهرس الأعلام ومحتويات الكتاب

تصويبات

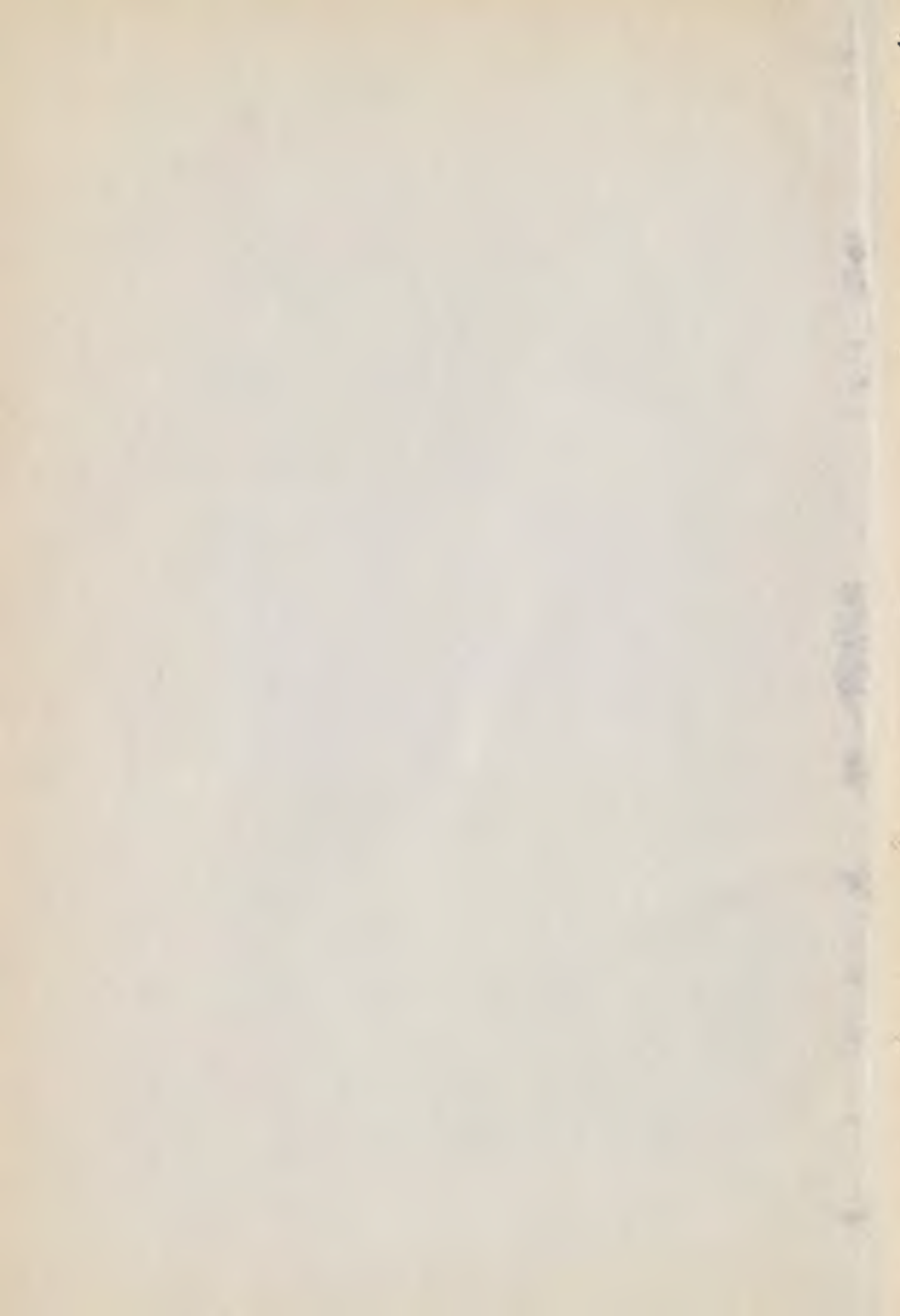
الصواب	غلط	السطر	الصفحة
بإرادته	بإرادته	٢٢	٦
يؤثر	يؤثر	٩	٧
الغناية	الغناية	٥	٩
مسوداً	مسوداً	١٢	١١
جيسة	جئ	١٦	١٤
حقيقة	حقيقة	٢٢	١٤
بهما	بها	١٧	١٥
بليى	بليى	٢١	١٥
رفيق	وفيق	٢١	١٥
بسجته	بسجته	١٤	١٦
دراى	دارى	١٠	١٨
ثم	ثم	٢٣	٢٠
المهمور	التصور	١٩	٢١
فى	فى	١	٢٣
الى	الى	١٩	٢٦
معيها	مضيها	٩	٣٠
كتمان	كمان	١٩	٣٨
إنشاد	إنشاء	١	٣٩
أبى	أبى	١٨	٤١
صوفيا	صوبه	١٨	٤٢
اعريور	اعريور	٢٤	٤٢
ثم	ثم	٦	٤٨
الديوان	الديون	٢١	٤٩
المختارين	المختارين	٢١	٥٠
هوصوا	فوضو	٧	٥٨
الرعة	الرعية	١١	٥٨

الصواب	عطف	السطر	الصفحة
فيه	فيه	١٢	٥٨
اسم	اسم	١٢	٧٠
الابليس	الابليس	١٧	٧١
يعين	يعين	١٦	٧٥
فاسها	فاسها	٥	٧٨
لقره حصار	لقر حصار	١٩	٧٩
آياصوفيا	آياصوفيه	١٦	٨١
آياصوبيا	آياصوفيه	٥	٨٢
يمسي	يمسي	١٦	٨٦
آيو	فو	٢٠	٩١
دروان	دروان	٢٢	٩١
العوائد	العوائد	١٨	١٠٢
سبا	سبا	١٦/١٥	١٠٤
يتصدون	تصدون	٣	١١٠
(٢)	(١)	١٦	١٣٤
ووالدقترداره	ووالدقترداره	٤	١٥٩
الساخوقى	الساخوقى	١١	١٦٠
تكمريكي	تكمريكي	١	١٦١
قطويعى	قطويعى	٨	١٧٩
دقتردارى	دقتردارى	١٢	١٨٨
عام	عام	٢	٢١٠
يعلى	يعلى	٥	٢١٣
راست	راست	١	٢١٥
الوسط طيبة	الوسط طيبة	١٦	٢١٥
الفاخ	الفاخ	٢١	٢١٦
حجج	حجج	٥	٢١٨
المعجمة	المعجمة	١٩	٢١٨
الصعافى	الصعافى	٣	٢٢٢

اعتذار

لظروف مطبعية نعتذر عن عدم نشر
فتوى الأزهري التي أشرنا إليها في ص ٦٧

مطبع السجاد بمصر



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY



32101 086544846

طبعة السقاية بصر

يطلب من :
مكتبة الخايمي بشارع عبد العزيز بمصر
مكتبة المتى - بغداد